

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 02

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

الحجاب بين الدلالات الرمزية وتأکید المواطنة

دراسة ميدانية على عينة من المحجبات في ضواحي العاصمة الفرنسية (باريس)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع
تخصص: علم الاجتماع السياسي

إشراف الأستاذ الدكتور:

رميثة أحمد

إعداد الطالب:

جنیدی عبد الرحمان

السنة الجامعية: 2014 - 2015

شكر وعرهان

الحمد و الشكر لله عز وجل الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع والصلاة والسلام على أشرف محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أقدم بالشكر الجزيل إلى:

❖ الأستاذ المشرف رميثة أحمد على نصائحه السديدة وتنبيهاته المنهجية والنظرية والتي تخللت كل جوانب ومفاصل الدراسة.

❖ الدكتورة الاصفر سندرة من جامعة السربون بفرنسا

❖ الدكتورة خوجة أمينة من جامعة ليل الفرنسية

❖ الدكتورة جندي مباركة من جامعة كيبك الكندية

❖ الصحافية جندي أم الخير .

شكرا على كل التسهيلات وعلى المساعدات وخاصة في جانب توفير المراجع باللغات الأجنبية والترجمة وتنظيم المقابلات وتوزيع الاستبيانات.

❖ إلى كل من ساهم من قريب ومن بعيد في إخراج هذه الرسالة.

عبد الرحمان

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

❖ الوالدين الكريمين أطل الله في أعمارهما، الأب الكريم شهامة وأناة
إلى الأم الحنونة القلب النابض بالحب والرفقة...
❖ رفيقة دربي نسيمة عبد العالي وعائلتها الكريمة.

❖ أخواتي البنات و إخوتي الذكور.

❖ كل الزملاء في مختلف تخصصات علم الاجتماع وخاصة عبدالفتاح
بودرمين، حميدات الميسوم، مزروعة مصطفى، عمار بوجمعة.

❖ كل الأصدقاء: كمال أولاد العيد، نعاس شاربي، أحمد بوعبدلي، لمين صديقي
جلول زناتي، بن عبدالله مسلمي، القلب النعاس، محمد بلخيري،

عبد الرحمان

فهرس المحتويات

- شكر وعرفان

- إهداء

- قائمة الجداول

- قائمة الملاحق

مقدمة..... أ، ب، ت، ث.

الباب الأول

(البناء المنهجي والنظري للدراسة)

الفصل الأول: المحددات المنهجية للدراسة

الصفحة

03	1- مسوغات اختيار الموضوع.....
03	2- أهداف الدراسة
04	3- إشكالية الدراسة
09	4- فرضيات الدراسة
10	5- تحديد المفاهيم.....
21	6- التفاعلية الرمزية كمقاربة سوسولوجية.....
25	7- الدراسات السابقة.....

الفصل الثاني : سوسيولوجيا الجسد والحجاب

تمهيد 37

المبحث الأول : الجسد من منظور النظرية الاجتماعية

1- الجسد في علم الاجتماع الكلاسيكي..... 40

1. المقاربة الأنثروبولوجية لماري دوغلاس..... 41

2. المقاربة البنائية لميشيل فوكو..... 42

3. المقاربة الرمزية لبيار بورديو..... 44

4. الأقتراب المسرحي لرفنج فوفمان..... 48

المبحث الثاني : الحجاب وعالم الموضة

1. مفهوم الموضة 51

2. دورة حياة الموضة 52

3. اختيار الملابس وتقدير الذات..... 54

4. آثار و مشكلات الموضة..... 56

المبحث الثالث: الحجاب سوسيولوجيا الاستهلاك

1. مكانة الجسد في مجتمع الاستهلاك..... 59

2. ثقافة الموضة و سوق الاستهلاك..... 60

3. حجاب الموضة وصناعة الاستهلاك..... 62

4. عروض الأزياء الإسلامية..... 63

خلاصة الفصل..... 64

الفصل الثالث: ثقافة الحجاب بين الدين والايديولوجيا

تمهيد..... 66

المبحث الأول : الحجاب في الأديان السماوية

1 . ثقافة العري كاتجاه عقائدي 68

2 . الحجاب في الديانة اليهودية..... 69

3 . الحجاب في الديانة المسيحية..... 70

4 . الحجاب في الديانة الإسلامية..... 72

المبحث الثاني: تمثلات الحجاب (المعاني والدلالات)

1- الزى الشعبي (الحايك والملاية)..... 76

2 . الحجاب التقليدي(العباءة والخمار)..... 78

3 . الجلباب والنقاب(الزي السلفي)..... 79

4 . حجاب الموضة(حجاب الحداثة)..... 80

المبحث الثالث: فعل التحجب (بين النسق والدلالات الرمزية)

1. نسق فعل التحجب..... 83

2. رمزية الحجاب..... 84

3. دلالات ومعاني الحجاب..... 86

خلاصة الفصل..... 92

الفصل الرابع: المواطنة اشكالية المفهوم وواقع الممارس

تمهيد.....	95
1- المبحث الأول: الاشكالية النظرية لمفهوم المواطنة والأبعاد القانونية والسياسية	
1. التعريف اللغوي والاصطلاحي للمواطنة.....	96
2. المواطنة والوطنية.....	99
3. المواطنة والجنسية والقومية.....	101
المبحث الثاني: المواطنة في الاتفاقيات الدولية والإقليمية	
1. المواطنة وحقوق الانسان في الاتفاقات والمواثيق الدولية.....	103
2. الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان.....	104
3. المشكلات التي تواجه تفعيل المواطنة وطريقة علاجها.....	105
4. مجالات المواطنة.....	107
المبحث الثالث: المواطنة وظاهرة الحجاب في فرنسا.	
1. الوجود الإسلامي في فرنسا.....	109
2. الإطار القانوني للمواطنة في فرنسا.....	112
3. قضية الحجاب في فرنسا.....	117
خلاصة الفصل.....	125

الفصل الخامس: التنشئة على الحجاب بين ترسيخ الهوية وتأكيد قيم المواطنة

تمهيد 127

المبحث الأول: التنشئة الاجتماعية للفتاة وقيم المواطنة..

1. مفهوم التنشئة الاجتماعية..... 128

2. التنشئة الاجتماعية والثقافة الذكورية..... 129

3. التنشئة الاجتماعية ومنظومة قيم المواطنة..... 130

المبحث الثاني: مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

1. الأسرة المهاجرة ونظام الحرمة..... 132

2. المدرسة آلية لتكريس الايدلوجية أم فضاء لتربية على المواطنة..... 134

3. الفضائيات الدينية – الميد لوجيا-..... 137

4.مؤسسة المسجد والخطاب الديني..... 139

المبحث الثالث: أساليب التنشئة الدينية للفتاة.

1. أسلوب التسلط..... 141

2. أسلوب الحوار والإقناع..... 142

3. أسلوب الإهمال واللامبالاة..... 143

4. الأسلوب التربوي المثالي..... 144

المبحث الرابع: خصائص التنشئة الاجتماعية الدينية

1 . التنشئة عملية تكيف واندماج اجتماعي..... 145

2 . التنشئة عملية ديناميكية مستمرة..... 145

3 . التنشئة عملية تعليم وتعلم..... 146

147 4 . التنشئة عملية توريث للقيم الثقافية.
148 خلاصة الفصل.
الفصل السادس: مواطنة المحجبة في ظل التنوع الثقافي وتحديات العولمة	
150 تمهيد.
المبحث الأول: الهوية الثقافية.	
151 1. مفهوم الهوية.
154 2. مفهوم الهوية الثقافية.
158 3. مستويات الهوية الثقافية.
المبحث الثاني: المواطنة وتحدي التنوع الثقافي والنسوية.	
160 1. مفهوم التنوع الثقافي.
161 2. المواطنة وتحدي التنوع الثقافي.
162 3. المواطنة وتحدي النسوية (الجنس).
المبحث الثالث: المواطنة العالمية وآفاق إنسانية	
164 1. المواطنة العالمية والعولمية.
165 2. المواطنة بين العالمية والقطرية.
167 3. محتوى برامج الإعداد للمواطنة العالمية في ظل العولمة.
169 خلاصة الفصل.

الباب الثاني

(الجانب الإجرائي والميداني للدراسة)

الفصل السابع: الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

172	تمهيد.....
173	1-7 - منهج الدراسة.....
176	2-7 - التقنيات المستعملة.....
182	3-7 - مجالات وحدود الدراسة.....
184	4-7 - العينة وطريقة اختيارها.....
185	5-7 خصائص العينة.....
194	خلاصة الفصل.....

الفصل الثامن: عرض وتحليل معطيات الدراسة الميدانية

196	تمهيد.....
196	1-8 - بناء وتحليل جداول الفرضية الأولى.....
208	2-8 - بناء وتحليل جداول الفرضية الثانية.....
220	3-8 - بناء وتحليل جداول الفرضية الثالثة.....
234	4-8 - بناء وتحليل جداول الفرضية الرابعة.....
243	5-8 - بناء وتحليل جداول الفرضية الخامسة.....
254	خلاصة الفصل.....

الفصل التاسع: النتائج العامة للدراسة

256	تمهيد.....
257	1-9- مناقشة وتحليل نتائج الفرضية الأولى.....
259	2-9- مناقشة وتحليل نتائج الفرضية الثانية.....
260	3-9- مناقشة وتحليل نتائج الفرضية الثالثة.....
262	4-9- مناقشة وتحليل نتائج الفرضية الرابعة.....
263	5-9- مناقشة وتحليل نتائج الفرضية الخامسة.....
265	خلاصة الفصل.....
266	خاتمة الدراسة.....
268	استنتاجات عامة وتوصيات الدراسة.....
270	قائمة المراجع.....

ملاحق الدراسة

فهرس الجداول

الرقم	الجدول	الصفحة
01	يمثل أفراد عينة الدراسة حسب الفئات العمرية	185
02	أفراد العينة حسب البلد الأصلي	186
03	أفراد العينة حسب امتلاك الجنسية الفرنسية	188
04	أفراد العينة حسب المستوي الدراسي	192
05	أفراد العينة حسب الوضعية المهنية	193
06	أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية	194
07	القرار الأول لفكرة ارتداء الحجاب	196
08	سن ارتداء الحجاب لأول مرة	198
09	يمثل علاقة قرار الارتداء بالسن	199
10	يمثل علاقة سن المحجبة بتدخل الأهل في اختيار ملابس الخروج	201
11	الشعور الشخصي حال الخروج دون حجاب	203
12	إمكانية مواكبة موضة الملابس	205
13	يمثل علاقة الاعتقاد بوجوب الحجاب مع الشعور اثناء الخروج بدونه	208
14	يمثل سن المحجبة وعلاقته بما يمثله الخمار للمحجبة	210
15	يمثل علاقة تدخل الأهل في ملابس الخروج وتحقيق القبول الاجتماعي	212
16	تعرض المحجبات للمعاكسات في الشارع	214
17	تعرض المحجبات لتحرش الجنسي	215
18	المهن التي لا تتناسب مع المحجبات	216
19	يمثل أفراد العينة حسب رمزية الحجاب	218
20	وجهة النظر حول قانون منع الحجاب في المدارس	220

الرقم	الجدول
21	يمثل علاقة فرص الحصول على العمل والوضعي المهني
22	يمثل اشكال العنصرية والتمييز
23	يمثل مظاهر الكراهية والعداء
24	يمثل الحرمان من امتيازات العمل
25	يمثل المضايقات التي تعرضت لهن
26	يمثل امتلاك روح المبادرة للعمل الجماعي
27	يمثل النشاط الجمعي
28	يمثل المشاركة في التصويت الانتخابي
29	المشاركة في الاحتجاجات السلمية
30	يمثل العلاقة بين قانون حظر الخمار وقانون منع النقاب
31	الصورة المشوهة التي يعكسها المهاجرين عن الاسلام
32	يمثل علاقة سائل الاعلام حول الحجاب بمختلف مظاهر الكراهية والعداء
33	انعكاسات تنامي ظاهرة الارهاب على أوضاع المحجبات

قائمة الملاحق

الرقم	الملحق
01	الاستبيان بالعربية
02	الاستبيان بالفرنسية
03	دليل المقابلة بالعربية والفرنسية
04	النص القانوني لحظر الحجاب في المؤسسات الحكومية
05	النص القانوني لمنع النقاب في الأماكن العامة
06	تعبيرات الوان العلم الفرنسي
07	موقع الدراسة الميدانية 1 (مسجد باريس الكبير)
08	موقع الدراسة الميدانية 2 (مسجد ايفري كوركورون)
09	موقع الدراسة الميدانية 3 (اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا)
10	مظاهرات واحصاءات نسب المنقبات في فرنسا
11	مظاهر الإسلاموفيبيا
12	شرح مرادفات الحجاب بالفرنسية

إن الحديث عن إشكالية الحجاب يحتل أهمية كبيرة عند الداعين له، كما عند المتحفظين عليه، ووصفه بالإشكالية لا يقتصر فقط إلى ما يعكسه من صراع ايديولوجي بين كلا الاتجاهين المناصر والمناوئ، بل إن الحجاب أكبر من كونه مجرد إجراء ديني وقائي وأخلاقي، وارتباطه بخيار المرأة وقرارها الشخصي.

وقد حاول الحجاب الخروج من عزلته التي فرضت عليه زمنا طويلا في شكله التقليدي الذي يرتبط فقط بمعنى الستر، وكأنما يريد أن يصنع قطيعة مع الماضي (كونه إرثا ثقافيا تمليه آليات الضبط الاجتماعي) ويتصل من قبضة ايديولوجيات المرجعيات الدينية ليوكب حركة الموضة ويبعث نفسه من جديد. فهو في صورة الجلباب أو الحجاب التقليدي يسلب من الجسد خصوصيته ليعوضها بالعدم ويوحد كل الأجساد. ويعتبر بذلك تعميم وإلغاء لحضور الجسد كشكل مميز في الفضاء العام. وليس غريبا أن يمتد الإلغاء إلى لون الحجاب ذاته. فلا يمكن تصور حجاب أصفر أو أحمر أو متعدد الألوان. لأن الهوية الذاتية لا توجد فيما يوحد كونها موجودة فيما يخصص ويعزل ويميز.

ومع ذلك يبقى الحجاب رمزا دينيا دالا على الهوية والانتماء إلى الأمة والجماعة. ونحسب بذلك أنّ قضية الحجاب خرجت عن طرحها القديم من زاوية (فريضة أم لا؟) وتجاوزت ارتباطها بالتخلف والتأخر واتخذت معركة الحجاب أشكالا أخرى... فلا تلبث إحدى معارك الحجاب أن تتوارى، حتى تبرز أخرى لتشغل حيزا كبيرا من الجدل الثقافي والسياسي. تبدأ هذه الجدالات من جسد المرأة ووضعها الاجتماعي لتمر بقضايا المجتمع كله.. الديمقراطية والحريات والمواطنة والهوية والخصوصية الثقافية. هذه المرة من فرنسا ومع تزايد أعداد المهاجرين المسلمين إلى المجتمعات الغربية في الثلاثين سنة الأخيرة، وبداية ظهور مشاكل الاندماج والتأقلم الثقافي والتهميش والبطالة والعنصرية والإسلاموفوبيا في صميم بنى هذه المجتمعات، فإن الحجاب أصبح رمزا محورياً لمشاكل الهوية والخصوصية الثقافية وحقوق

الأقليات. وزعزت مواطنة المتحجبات وعامل مغذي لكل النزعات العنصرية المعادية للأجانب والمحابية لليمين المتطرف من جهة أخرى.

والحجاب كإحدى الألبسة النسائية، يعرف في الفضاء العمومي الفرنسي كبقية دول العالم تمثلات وتمظهرات مختلفة، للحجاب، من أشدها تزمت الجلباب الأسود مع النقاب والقفاز إلي الحجاب الذي يكسو المرأة من رأسها إلي قدميها. إلا أن قناعات بعض التيارات المتطرفة في فرنسا تتعارض مع الحجاب. لأنه بانتقال الحجاب إلى أداء مفعول الرمز والعلامة، تصبح له قدرة خاصة على التأثير وذلك لأن له وظائف سيكولوجية واجتماعية تمنح النفس بعض الهدوء والتقدير الذاتي، كما تفعل اللحي الطويلة والثياب القصيرة للسلفي أو القلنسوة لليهودي أو كما تفعل العمامة لرجل الدين الشيعي. فالحجاب هو الذي يجعل من هذه الفتاة أو تلك مقتنعة به، إنها في لا وعيها تشعر بأنها متماهية مع هويتها الثقافية ومع البناء القيمي الذي يستمد تأثيره من التعالي والنزاهة والمقدس.

كثيرة هي الدراسات التي تناولت حقوق وأوضاع الأقليات الثقافية والعرقية في المجتمعات ذات التنوع الثقافي، وأبحاث قيم المواطنة والديمقراطية. أذن فهو مؤشر دال على أن مفهوم المواطنة التقليدي الممزوج بالمعنى القومي (وجود ثقافة واحدة ولغة واحدة وتاريخ مشترك) لم يعد قادرا على مواكبة التغيرات السياسية والاجتماعية. وهو ما يستدعي إعادة صياغته بشكل جديد يضمن حصول كافة المواطنين على حقوقهم كاملة. حيث تتكامل حاجاتهم واهتماماتهم المرتبطة بعضوتهم السياسية مع حاجاتهم المرتبطة بالعضوية الثقافية. مفهوم توفيق يضمن مواطنة متعددة الثقافات.

الصورة النمطية السلبية التي يحملها الإعلام الغربي، انطلاقا من الدلالة الرمزية للحجاب على انه تسلط ذكوري على المرأة وان الاسلام دين عدواني وقائم على الإكراه والعنف. وصار الحجاب كلمة تختزل كل مظاهر انحطاط مكانة المرأة. وصورة أو علامة رمزية لانحطاط الإسلام بكامله. أي أن كلمة حجاب تغذي نظرة الثقافات الأوروبية للمسلمين. لأنه المظهر الأكثر تواجدا في الشارع الأوربي الذي يعكس تواجد الإسلام لذا كان هو المستهدف

الأول في الحرب الإعلامية على الثقافة الإسلامية، والذي يهدد واقع ممارسة المحجبات لمواطنتهن كاملة.

الواقع أنه رغم تعدد الرؤى للمواطنة تارة باعتبارها المساواة في الحقوق والواجبات بين أبناء الوطن الواحد، وتارة باعتبارها خلق المواطن الصالح، وتارة أخرى كمرادف للديمقراطية إلا أن ما لا يختلف عليه اثنان، هو أن المواطنة هي نسق قيمى أو جملة من القيم المعيارية تمثل حق الإنسان في الحياة الآمنة والعدالة والمساواة في الحقوق الاجتماعية لكل فرد في المجتمع، بغض النظر عن جنسه أو دينه أو مذهبه، وكذا حقه في التعبير عن رأيه وانتخاب من يمثله على قمة السلطة السياسية. ومن ثمة تمثل المواطنة الإمكانية الوحيدة لتكريس سيادة القانون والمساواة أمامه وممارسة الحد الأدنى من الحقوق. وهذه الدراسة ذات طبيعة تركيبية تحاول الربط بين الحجاب في بعده التاريخي والثقافي (دلالاته الرمزية) من جهة، وبين ترسيخ وتأكيد مواطنة المرأة المهاجرة المحجبة في الغرب فرنسا بالخصوص من جهة أخرى.

ما يشد اهتمامنا في هذه الدراسة ليس الحجاب بمفهومه العام الذي يعني الستر لأنه لا يشكل ظاهرة اجتماعية كونه ثقافة تملئها الأديان السماوية على مر التاريخ وفي مختلف الحضارات. وإنما تحول الحجاب إلى قضية ترتبط بقيم المواطنة والحريات الشخصية في بلدان الديمقراطية وحقوق الانسان، تجعل منه في رأينا ظاهرة تستحق البحث والوقوف عندها، بالفحص لفهم دلالتها السوسيوثقافية.

وقد أقمنا هذه الدراسة في إطارها المورفولوجي على تصميم راعينا في مكونات فصوله منطلق الانتقال من العام إلى الخاص، ومن الكلي إلى الجزئي. اعتمادا على خطة مكونة من جانب نظري يضم ستة فصول: تناولنا في فصلها الأول أسباب اختيار الموضوع وأهداف الدراسة وبعض عناصر جهاز المفاهيم المرتبط بإشكالية الدراسة وفرضياتها إضافة إلى الدراسات السابقة. وفصل ثان استعرضنا فيه بعض الإسهامات النظرية المتعلقة بالجسد وهي مقارنة

أولية لأهم التوجهات أو المرجعيات التي نعتبرها كمدخل لفهم سوسولوجيا الحجاب واستثمار الحجاب من طرف كل الحركات السياسية المناهضة، أو حتى من سوق الموضة والاستهلاك. وفي الفصل الثالث: تناولنا الحجاب كثقافة بين الدين والايديولوجيا، فالحجاب موجود في كل الأديان السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلام). ومختلف تمثلات الحجاب الموجودة في المجتمعات العربية والغربية، ونسق فعل التحجب وبعض الدلالات والمعاني التي يحملها الحجاب.

وفي الفصل الرابع: تطرقنا الى إشكالية مفهوم المواطنة وواقع الممارس وعلاقة المواطنة بالجنسية والقومية، وحقوق الإنسان في الاتفاقات والمواثيق الدولية والاتفاقيات الأوربية والمشكلات التي تواجه تفعيل المواطنة وكيفية علاجها. وفي الفصل الخامس: تعرضنا إلى التنشئة الاجتماعية للفتاة على قيم المواطنة باعتبارها عملية ديناميكية تحاول عبر مجموعة من الميكانيزمات التوفيق بين ضغط الحركات المناهضة للحجاب في الغرب وتوريث المكتسبات الثقافية الدينية المتعلقة بالحجاب.

وفي الفصل السادس: تناولنا مواطنة المحجبة في ظل التنوع الثقافي وتحديات العولمة والمواطنة، وتحدي التنوع الثقافي وتحدي النسوية (الجندر). والمواطنة العالمية كأفاق إنسانية. أما الجانب الميداني لدراسة فقسمناه إلى ثلاثة فصول، الفصل السابع قدمنا فيه الإجراءات المنهجية للدراسة، من حيث المنهج المتبع، والتقنيات الإحصائية المستعملة وكيفية اختيار العينة وطريقة استخراجها والفصل الثامن تم فيه عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية والفصل الأخير تم فيه عرض النتائج العامة. فخاتمة للدراسة والمراجع والملاحق.

الباب الأول
جانب البناء المنهجي
والنظري للدراسة

الفصل الأول: المحددات المنهجية للدراسة

1- مسوغات اختيار موضوع الدراسة

2- أهداف الدراسة

3- الإشكالية

4- الفرضيات

5- تحديد المفاهيم

6- التفاعلية الرمزية كمقاربة سوسيولوجية

7- الدراسات السابقة

1- مسوغات اختيار موضوع الدراسة:

أ- مبررات ذاتية

- مواصلة دراسة ظاهرة الحجاب والذي كان موضوع بحثنا في رسالة الماجستير.
- معرفة مدى اعتزاز الفتاة بهويتها كمحبة وتقديرها لذاتها كمواطنة.
- اهتمامنا الشخصي كباحث في قضايا حقوق الإنسان والمواطنة.

ب- مبررات موضوعية

- الكشف عن الدلالات والمعاني لمختلف أنماط الحجاب وصلتها بالمواطنة.
- إبراز الضغوطات النفسية والاجتماعية التي تمارسها الحركات المناهضة وبعض المؤسسات الحكومية الرسمية على المواطنة المتحجبة.
- الاطلاع على أهم انعكاسات ظاهرة الحجاب على الصعيدين الإعلامي والسياسي.

2- أهداف الدراسة:

- التحقق من صحة افتراضاتنا وفهم أبعاد الصراع حول الحجاب في الغرب.
- التعرض للمسار التاريخي والثقافي لظاهرة الحجاب.
- تسليط الضوء على الدلالات الرمزية والخلفيات المرجعية والإيديولوجية لمختلف أنماط الحجاب.
- التأصيل النظري لمفهوم المواطنة وتكريس قيمه ومبادئه.
- تحديد العلاقة بين الحجاب ومسألة تحقيق الاندماج وتأكيد المواطنة.
- الكشف عن التحديات التي تواجه مواطنة المحجبات في ظل التنوع الثقافي في الغرب.

3- إشكالية الدراسة:

رغم أن قرار ارتداء الحجاب مسألة شخصية في المقام الأول يخص الحرية الفردية وحرية المعتقد وحرية العلاقة مع الجسد، لكنه ليس قراراً شخصياً مجرداً من ملابس ثقافية واجتماعية، تستدعي مناقشة أكثر تعقيداً، وأكثر احتشاداً بالمعاني والدلالات والمضامين. والتي تجعله يخرج عن كونه يحمل صبغة دينية تتعلق بخيار المرأة وقرارها الشخصي إلى كونه رمزاً للهوية والانتماء الحضاري والاجتماعي. كما تؤكد على ذلك دراسة حرة للدكتورة - فدوى الجندي- أستاذة علم "الأنثروبولوجيا تحت عنوان "الحجاب احتشام وخصوصية ومقاومة" إذن الحجاب يحمل دلالات العفة والاحتشام كمل يعكس في الوقت ذاته خصوصية الهوية الثقافية للمرأة المسلمة وإشهار المقاومة والالتزام. وتحوّل بذلك إلى ظاهرة حقيقية أصبحت تؤرق كثيراً من صنّاع القرار السياسي والاجتماعي والثقافي في الغرب. ولهذا يربط الاستراتيجيون الغربيون الحجاب بالإسلام ويعتبرون تنامي هذه الظاهرة تنامياً للظاهرة الإسلامية في حدّ ذاتها باعتبار أنّ الإسلام يتحرّك في الواقع الغربي بحقائق متعددة أبرزها الحجاب والمدارس الإسلامية والمساجد والجمعيات الإسلامية.

يعود عدم إقدام الكثير من الدول الغربية على محاصرة الحجاب إلى القوانين المعمول بها في هذه الدولة تلك التي تقدّس إلى أبعد الحدود حرية المعتقد والتدين للشخص، وهي قوانين العلمانية التي تمّ التوافق عليها بين مواطني هذه الدولة الغربية. ومن الصعوبة بمكان تغيير هذه القوانين التي جاءت استجابة للتطورات الحاصلة في الغرب على مدى قرون من الزمان. الأمر الذي تؤكد عليه دراسة للدكتور محمد الخضراوي (2006) بعنوان "الحجاب: بروتوكولات حكماء العلمانية" دافع فيها عن الحق في ارتداء الحجاب في المجتمعات الغربية والشرقية على حد سواء على اعتبار أنه قيمة حضارية يجب احترامها وأن الهجوم على الحجاب جزء من هجمة ثقافة علمانية لا تحترم الآخر بل تدعي ذلك. كما أن وجود الحجاب في الشارع الأوروبي يشير إلى فشل سياسة الاندماج التي يسعى من خلالها الاستراتيجيون

الغربيون إلى تذويب الفرد المسلم في الواقع الغربي منعا من قيام أثنية دينية في الخارطة الأوروبية أو ما يسمى (الجمهورية الإسلامية الفرنسية) في المستقبل المنظور. بالإضافة إلى أنّ الملازمة الأكيدة بين الإسلام والحجاب تجعل الإسلام دائما حاضرا في الشارع الأوروبي من خلال تلك الجاليات المهاجرة. ويدعم هذا الحضور أنواع من القنوات أو الاتجاهات الأيديولوجية التي تعتبر بمثابة المرجعيات الدينية مرتبطة بالمشروع الإسلامي السياسي والذي تسعى في إطاره بعض الحركات الإسلامية العابرة للحدود والمتواجدة في كل أنحاء أوروبا والتي تقع أصولها في دول إسلامية لتوسيع قاعدتها النضالية وتتميط أفرادها.

ويبدو التمايز جليا بين فصائل الإسلام السياسي والتي تعتبر بمثابة المرجعيات الدينية إزاء الحجاب: فالمنتسبات للتيار السلفي يلبسن الجلباب والنقاب، فيما آثرت عضوات "الإخوان المسلمين" الحجاب العادي. وتفضل فتيات الالتزام الشعبي حجاب الموضة. كما أن لكل تمثّل للحجاب أوضاع عملٍ وتعاملات خاصة في إطار ما تسمح به أيديولوجية الجماعة. إذن ليس الحجاب لباسا أو زينا للجسد فقط. وإنما لكل تمثّل من تمثلاته كوكبة من التصرفات والسلوكيات التي يجزّها، كالمصافحة والاختلاط والخلوة، والسفر والزينة وتأثير النساء غير المتحجّبات واتّهامهنّ بالتبرّج والسفور... الخ، إذ مهما تكن الدرجة التي تلعبها ذاتية المرأة في اختيار حجابها حسب ذوقها، فإنه يحدد إلى درجة واضحة التوجهات المعرفية والدينية الهادفة إلى تثبيت الهوية الثقافية للمرأة المسلمة. إنه علامة دائمة بالنسبة لهن، تكبر دلالاته وترتفع درجة التشبّث به كلما طال زمن ارتدائه، كما يعتبرنه العلامة الحقيقية لهويتهم انه دالة تحقق تداخل الحجاب المعلن مع الهوية المضمرة، فتوفر تلاحم الوشيجة بين حاملاته وثقافتهم الفردية.

مما لا يشك فيه أن أحداث 11 سبتمبر 2001 قد أفرزت تداعيات خطيرة على مستوى العلاقة بين المسلمين والغرب، وأصبحت ظاهرة - الإسلاموفوبيا - التي تهدد وضع الأقليات العربية والمسلمة داخل المجتمع الفرنسي، وما يرتبط بها من إشكاليات اندماج

الأقليات، من القضايا الجدلية المتصاعدة التي تطرح نفسها بقوة علي خلفية ليبرالية المجتمع الفرنسي وما يتعلق بها من حقوق المواطنة واحترام الخصوصيات الثقافية. ولعل أبرز تلك التدايعات بروز موجة من الحقد والكراهية والاستفزاز ضد العرب والمسلمين من أبناء الجاليات الإسلامية، وخاصة من الأوساط السياسية ولعل هذا ما تشير إليه الباحثة - نيكى كيدي- في دراستها الميدانية حول (نظرة الغرب الى الحجاب) بأن حقل دراسات المرأة والإسلام حقل محتقن أيديولوجيا!¹

قد تجلى ذلك في فرنسا بوضوح في دخول القانون الرقم /228/2004 الصادر بتاريخ 15مارس 2004، ارتداء الرموز الدينية بما فيها الحجاب داخل المؤسسات التعليمية الثانوية، المعاهد، الكليات ولقد تم تعميمه بموجب القرار الرقم 2044/84 المؤرخ بتاريخ 18ماي 2004.² ودخل منع ارتداء النقاب الذي يغطي جسد المرأة كاملاً مع وجهها في فرنسا حيز التنفيذ الذي، بموجب القانون رقم 1192 /2010 الصادر بتاريخ 11/ أكتوبر 2010 ليشمل تطبيقه جميع الأماكن العامة³، (انظر النصوص القانونية في الملاحق)، حيث أظهر التطبيق العملي لهذه القوانين، نتائج تلقي بظلالها على عملية إدارة التعددية الثقافية والدينية داخل المجتمعات الغربية وتشير إلى تنامي المنظور العدائي لكل ما يرمز إلى الهوية الدينية الإسلامية. وأن منع الحجاب ينتج عنه كل اشكال الإقصاء القانوني والإداري والحرمان من الحقوق الإنسانية كالتعليم والعمل وحرية التعبير وممارسة الطقوس الدينية وهذا ما يزيد من حدة الشعور بالاغتراب الثقافي ويزعزع مفهوم المواطنة الذي أصبح يمثل التحدي الأكبر لأي نظام سياسي ديمقراطي يحترم حقوق الإنسان، ويعرف تعددية عرقية وتنوعاً ثقافياً، لأن التركيبة السكانية للمجتمع الفرنسي يتشكل ثلثها من المهاجرين أغلبهم من أصول إسلامية (جزائرية، تونسية، مغربية، تركية....).

¹ كاترين بلوك، نظرة الغرب إلى الحجاب، تر: شكري عبدالمعج مجاهد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2011، ص29

² Loi no. 2004-228, du 22/3/2004, interdisant le port de signe religieux dans les établissements scolaires publics.

³ Loi no. 2010-1192, du octobre 2010, interdisant la dissimulation du visage dans l'espace public, p. 1.

بالرغم مما توفره القوانين الفرنسية من هامش للحرية؛ وحقوق لإنشاء المدارس والمراكز الثقافية الدينية انطلاقاً من مبدأ المساواة بين الأديان التي تكفلها القوانين. فإن الأسر العربية المهاجرة المقيمة في فرنسا تتعرض لحالة من الصراع؛ حيث يوجد عالمان مختلفان أولهما في ثقافة الأسرة، وثانيهما في الشارع والمدرسة والعمل، وخصوصاً الجيل الثالث والرابع منها والذي يعيش الحيرة وعدم وضوح الرؤية، وصعوبة الاندماج الاجتماعي حيث أن هؤلاء الأبناء يجدون أنفسهم تحت ضغط البيئة الثقافية والاجتماعية وتأثير وسائل الإعلام والتي تتدخل بقوة في تشكيل صورة الإنسان لعالمه ونفسه. وهذه العوامل يسميها عالم الاجتماع "إيريك إيريكسون" بانسياب الهوية؛ حيث يجد الإنسان صعوبةً في الاحتفاظ بهويته أو تطويرها بما يتلاءم مع قيم وثقافة مجتمع المهجر. حسب ما جاء في دراسة -

SABELLE GAGNE - بكلية الدراسات العليا في جامعة - Laval - في إطار الماجستير قسم الأنثروبولوجيا جامعة كيبيك عام 2009 تحت عنوان "الخطابات والتمثيلات وممارسات النساء المسلمات، المحجبات وغير المحجبات، في سياق الهجرة في كندا. هذه الدراسة كانت بمثابة محاولة لفهم الهوية الدينية والقيم الثقافية التي لها تأثيرات في المهجر.

من البديهي أن يكون للتنشئة الأسرية دوراً رئيسياً في الحفاظ على هوية أفرادها وقيمتها وعاداتها أمام مخاطر طمس الهوية الثقافية؛ نتيجة تواجدهم في مناخ متعدد الثقافات. وتزداد أهمية دور الأمهات في مجال تنشئة الأجيال في المهجر. وتعليم أطفالهن لغة الوطن وقيمه وتقاليدته. وخاصة إذا ما تعلق الأمر بتمثيلات الجسد الأنثوي (البنات) وعند لرفنج جوفمان " يقوم الجسد بدور مهم في توسط العلاقة بين الهوية الذاتية والهوية الاجتماعية والثقافية.¹ والتحكم في إنتاجه وإعادة تشكيله وكيف يتم التعاطي مع هذا الجسد في ظل شروط ثقافية محاطة بكثير من الطابوهات تتعلق بمسألة الشرف والعرض.

إلا أنّ التربية على قيم المواطنة لا تتم داخل الأسرة فحسب. بل تتواصل وتكتمل في مختلف الفضاءات الدراسية والمهنية، ينبغي أن تتجلى في الممارسات الواقعية اليومية وفي العلاقات

¹ كرس شلنج، الجسد والنظرية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 118.

في كل الأماكن والفضاءات، إذ ينبغي تصريف المفاهيم إلى مهارات ومواقف لضمان فعالية حقيقية لحقوق الانسان واحترام الهويات الثقافية الفردية والجماعية لمختلف الأجناس والأعراق التي تشكل التركيبة الاجتماعية. وينبغي تأكيد المواطنة في كل المجالات المدنية والثقافية والسياسية، وأن تمارس المحجبة كل الطقوس الدينية وتعيش مواطنة كاملة وليست مواطنة من الدرجة الثانية منقوصة الحقوق. حتى تستطيع المشاركة في مختلف الأنشطة داخل المجتمع المدني وفي الحياة السياسية وتتمتع بكل الحريات التي تضمنها قوانين الجمهورية وقيم الديمقراطية.

وما يهمنا في هذه الدراسة ليس الحجاب في ذاته كموضوع فقهي أو شرعي وإنما دلالاته الرمزية من قبل حاملته لتأكيد هويتها والتمتع بحقوقها كمواطنة، في بيئة مناهضة للحجاب كعلامة مميزة حاملة لتجربتهن ومكثف للمعاني الثقافية والدينية لأنه يسمح بتنميط حاملته. وتمير الموروث الثقافي عبر الهوية الشخصية. فالمحجبة من بنات الجالية المغتربة تعيش صراعا بين قيم ثقافتها الأصلية التي تملئها طبيعة التدين وبين قيم البيئة الأوربية التي تفرضها بعض مبادئ العلمانية الليبرالية. كما تركز على ذلك مقاربة ميشال فوكو حين يتحدث عن رؤية ابستمولوجية في الجسد بوصفه ناتجا وكيانا قائما في الخطاب.¹ ونركز في دراستنا هذه على الخطاب السياسي والإعلامي. والتي تمثله مؤسسات التيار اليميني المتطرف، وبعض الجماعات الضاغطة المناهضة والرافضة لوجود المهاجرين.

وواقع المواطنة في فرنسا تناولته دراسة جزائرية حرة حديثة(2003)، للأستاذ منير مباركية " مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة، وحالة المواطنة في الجزائر" والذي تكلم عن أزمة النموذج الفرنسي في التعاطي مع المواطنة في الحياة اليومية، تحاول هذه الدراسة تقديم إجابة عن سؤال مركزي: كيف تبدو حالة المواطنة في فرنسا مقارنة بالمفهوم العام للمواطنة، وتطبيقاته في الدولة الديمقراطية. كما تساهم وسائل الإعلام الغربية في ربط الحجاب بمسألة انتشار ظاهرة الإسلاموفيبيا في الغرب وهو ما أشارت إليه أطروحة الدكتوراه طالب بلال (2014) في موضوع "ما وراء الصور النمطية للحجاب: دراسة تفكيكية

¹ Foucault. M. *The Archaeology Of Knowledge*. Tavistock. London. 1974. P .101.

للخطاب الاعلامي الغربي حول الحجاب' حيث تناولت جوانب تحليل وتفكيك الخطاب السائد حول الحجاب في الإعلام الغربي. المحجبة تحاول التوفيق بين الحفاظ على مقومات هويتها الثقافية ومشاركتها كمواطنة في الحياة العامة ومقتضيات الاندماج مع ثقافة المجتمع الفرنسي. وفي الوقت الذي تريد ممارسة مواظنتها بكل حرية. فإنها تتصادم مع حركات مناهضة لحجابها وتحرمها من حقوقها المدنية والسياسية كمواطنة، في زمن تعد فيه المواطنة روح الديمقراطية وحقوق الإنسان. وتتناول الإشكالية العامة لهذه الدراسة انعكاسات الدلالات الرمزية للحجاب على واقع المواطنة في فرنسا، وتندرج ضمن هذه الإشكالية الرئيسية التساؤلات الفرعية التالية:

- 1- هل يمثل احترام الحرية الشخصية للمحجبة في الأسرة عاملا أساسيا لتنمية روح المواطنة؟
- 2- هل يعتبر احترام الهوية الثقافية للمحجبة في الفضاء العام (على المستوى الفردي) عاملا إيجابيا لتأكيد المواطنة؟
- 3- هل إقصاء وتهميش المحجبات قانونيا (التمييز المؤسسي) عامل يهدد قيم المواطنة؟
- 4- هل ممارسة المحجبات للحريات المدنية عامل ايجابي يؤكد حقوق المواطنة؟
- 5- هل تزايد وتنامي ظاهرة ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب عامل يهدد مواطنة المحجبات؟

4- الفرضيات:

- الفرضية الأولى: احترام الحرية الشخصية للمحجبة في الأسرة عامل أساسي لتنمية روح المواطنة
- الفرضية الثانية: احترام الهوية الثقافية للمحجبة في الفضاء العام (على المستوى الفردي) عامل إيجابي لتأكيد المواطنة.
- الفرضية الثالثة: إقصاء وتهميش المحجبات قانونيا (التمييز المؤسسي) عامل يهدد قيم المواطنة.
- الفرضية الرابعة: ممارسة المحجبات للحريات المدنية عامل ايجابي يؤكد حقوق المواطنة
- الفرضية الخامسة: تزايد وتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب عامل يهدد مواطنة المحجبات.

5- تحديد المفاهيم:

1-5-1 مفهوم الجسد:

أ- لغة: جمعها أجساد، وهو جسم الأنسان ولا يقال لغيره من الأجسام، وجسد الشيء أبرزه في قالب ملموس محسوسا، كما يعرف أيضا بالبدن.

ب- اصطلاحا: أكد علماء الاجتماع على أن جسد الأنسان يعد شكلا وهيئة لكافة أنواع التفاعل الاجتماعي. وبعد رؤية محتومة متعذر اجتتابها وله علاقة بعرض ذواتنا¹

"وقد أصبح جسد الإنسان في المجتمع المعاصر، هدفا ليس له نهاية لأنه خاضع للمراقبة ودوام الإشراف عليه والتحكم فيه وتنسيقه. ثم جاءت نظريات التمدن لتوضح أن جسد الإنسان متأثر بعمليات التمدن، وبعدها جاءت نظريات الأنوثة كاشفة أثر النمط الأبوي في تحديد المواقف الاجتماعية نحو المرأة، أي وضعها في موقع هش وسهل للكسر فنظرية التاريخ الاجتماعي توضح النظم الاجتماعية القديمة حول الإنسان واهتماماته بالرشاقة والوشم والرياضة والرقص والمعالجات الطبية والملابس..."²

الاختلاف البيولوجي بين جسد الرجل وجسد المرأة جعله من محل اهتمام الفن والأدب والفلسفة وتميز جسد المرأة بإثارة الفتنة والإغراء، فرضت عليه الستر بالحجب والحجاب وفق سيرورة تاريخية وثقافية عند مختلف الشعوب والحضارات. وسنفصل مفهوم الجسد من خلال فصل سوسيولوجيا الجسد والحجاب.

1-5-2 مفهوم الحجاب:

أ- لغة: " الحجاب بكسر الحاء هو الستار، وامرأة محجبة قد سُترت بستر، والحجاب اسم لما يحتجب به، ولكل ما حال بين شيئين، والجمع حُجُب."³ والحجاب هو كل حاجز أو ساتر يمنع من النظر لما وراءه وغايته العزل ومنع الرؤية...والحجاب ما احتجب به وكل ما حال بين شيئين وهو الستر. كما يذهب صاحب معجم متن اللغة إلى أن

¹ فؤاد الحوزي، إيديولوجيا الجسد، دار الساقى، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص297.
² معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص133.

³ رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2002، ص126.

لفظة الحجاب تأتي من حجبه حجباً وحجاباً أي ستره والمفعول مُحَجَّبٌ واحتجب وتحجَّب". هذا من حيث اللغة ودلالاتها.

ب- اصطلاحاً: الحجاب يختصّ بعلاقة المرأة بالرجل، فالحجاب كلّ حاجز يمنع الرجل من النظر إلى المرأة ويشمل أنواعاً من اللباس والأغطية يمكن للباحث متابعة تطورها اجتماعياً وحضارياً وما تعكسه من رموز ودلالات عبر العصور وفي مختلف البيئات. ودلالة لفظ "الحجاب" ووصف "محجبة" فضفاضة. لأن الأمر يتعلق بمعنى الستر ويمكن أن نميز بين ثلاثة أنماط للحجاب في المجتمع الفرنسي متداخلة تتدرج تحت مسمى "الحجاب" بالمعنى الواسع للحجاب:

الحجاب التقليدي (العباءة والخمار) ترافق مع نمو وتوسع حركة الإخوان المسلمين وكأنه بيان وجودها ويفرض هيئة واحدة للمحجبة تقريبا ويعبر عن هوية الجماعة. الجلباب مع النقاب ويعكس انتشار التيار السلفي الوهابي السعودي، وهو ساتر عام للجسد المرأة ووجها وحتى يديها بالقفاز، ترافقه كوكبة من الأفعال والسلوكيات كرفض الاختلاط والخلوة ورفض المصافحة، واختزال المرأة في جسدها أي كونها أنثى تبعث من جسدها إشعاعات الفتنة والأثارة الجنسية.

حجاب الموضة وهو الحجاب الاجتماعي الذي يسمح بالانخراط في الحياة العامة ولا يمنع من الاختلاط وهو ستر رمزي يقتصر تأثير البعد الديني فيه على غطاء الرأس خمار بربطات مختلفة يغطي الرأس دون بقية الجسد تاركاً لهذا الأخير حرية التأنق، لا يعوق عن التزين معلنة صاحبيتها انتماءها الإسلامي وهويتها الفردية في آن واحد. وستنطلق إلى هذه الأنواع بشيء من التفصيل في مبحث خاص بمختلف أنماط الحجاب المتواجدة في العالم الإسلامي والتي انتقلت بدورها إلى المجتمع الأوربي.

1-5-3 مفهوم الدلالات الرمزية للحجاب:

الدلالة من الفعل دل، أي أرشد والجمع دلائل ودلالات، وقيل دلالة اللفظ ما يقتضيه عند إطلاقه.¹ وسوسيلوجياً يذهب التعريف الى القول أن - الرمز - هو شيء ما يحتل مكان شيء آخر أو أنه شيء ما يحل محل شيء آخر ويستدعي قيمته أو معناه ممن يستخدمونه.² وللرموز وظيفة أخرى تتعلق بالمشاركة حيث أنها تستخدم بصور فعالة في تأكيد الحقائق المجردة العقلية أو الأخلاقية في المجتمع وتجعلها مرئية وملموسة. وهى بهذا تساهم في التذكير والمحافظة على مشاعر الانتماء وبالتالي تحافظ على بقاء هوية الفرد واستمرارها فالرموز تدفع إلى التضامن وتؤكد على الانتماء ويكتسب الفرد هذه الأفكار وأساليب السلوك الشائعة والمعروفة عن طريق التنشئة والتفاعل الاجتماعي وتربط الحاضر بالماضي لذلك يعتبر التفاعل الرمزي مادة تشكيل لب الشخصية والهوية والتي بدونها لا يمكن إقامة التواصل مع الآخرين.³ وما يهنا ليس الحجاب في حد ذاته وإنما ما يمثله من قبل حاملته كعلامة مكثفة بالمعاني والتي تتوارى في ثنايا مرجيتها الدينية والثقافية، أي في مجموع التصورات المتصل به وللحجاب دلالات ومعاني رمزية كما سيأتي تفصيلها في فصول الدراسة ويمكن تلخيصها في الدلالات التالية:

- **دلالات الحرية الشخصية:** يعتبر الحجاب مثله مثل السفر والتبرج يدخل ضمن الحريات الشخصية وضمن حرية الجسد والمعتقد والحياة الخاصة للإنسان، التي لا يجوز لأحد التدخل فيها حتى من داخل الأسرة.

- **دلالات الهوية الثقافية:** في هذا الصدد، يفرق Erving Goffman⁴ بين العلامات التي تكشف عن هوية الفرد الاجتماعية، وتلك التي توضح هويته الشخصية، إن العلامة تكشف عن الهوية الاجتماعية عندما تهدي المشاهد إلى الحكم بانتماء هذا الفرد إلى فئة معين

¹ مرتضى الزبيد، تاج العروس، مادة دل ل ، 498/28 طبعة دار الهداية.

² عبد الغنى عماد، مرجع سابق، ص170.

³ عبد الغنى عماد، نفس المرجع، ص173.

⁴ Erving Goffman. *The presentation of Everyday life*. Pelican book .London. penguin.1971.p72

(طبقة اجتماعية جماعة مهنية تيار سياسي أو مذهبي)، وهذا الحكم تجعل من الفرد مماثلاً لبقية أفراد الفئة التي ينتسب إليها. أما البحث عن الهوية الشخصية للفرد، فهو معرفة ما يميزه عن الآخرين، والحجاب هنا يعكس هوية المحجبة الاجتماعية المتمثلة في الثقافة الإسلامية لحاملته، الهادفة إلى إثبات شخصية إجتماعية محددة.

- **دلالات السلطة الذكورية:** وهي دلالة معبرة عن الرغبة في رسم الحدود بين الجنسين، فيغدو الحجاب محددًا جندرياً (أي لنوع الإنساني) 'والفصل بين الجنسين وهذه الدلالة الجنسانية ترتبط بوضع الجسد الأنثوي المسيج داخل ثنائية مفهومي (الستر/التعري).
- **دلالات التطرف والإرهاب:** وهي دلالة أيقونة السلوكيات التي تصاحب الحجاب من عدم المصافحة وتحريم الخلوة والاختلاط بالرجال... الخ وهو ما يشكل حرجاً للهوية الفرنسية. كما أن الحجاب يصاحب انتشار الإسلام المتطرف في هذا البلد ويرمز للعنف والإرهاب.
- **دلالات التدين الجماعاتي:** وهي دلالة أيديولوجية سياسية فالحجاب وسيلة يعكس دلالات طبيعة ونمط التدين والانتماء الجماعاتي، ومن ثم تكمن أهميته في إمكانية توظيفه سياسياً وأيديولوجياً، من طرف المرجعيات الدينية المتواجدة في الغرب عبر الخطاب الإسلامي والذي يشكل خطر أسلمة الهوية الفرنسية.

1-5-4 مفهوم المواطنة:

أ- لغة: المواطنة في لغة العرب مشتقة من وطن، وهو بحسب كتاب لسان العرب لابن منظور «الوطن هو المنزل الذي تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحلّه... ووطن بالمكان وأوطن أقام، وأوطنه اتخذته وطناً. وذكر الموطن في القرآن الكريم بمعنى المكان " لقد نصرمك الله في مواطن كثيرة " وأوطنت الأرض ووطنتها واستوطنتها أي اتخذتها وطناً.¹

¹ ابن منظور لسان العرب " دار صادر بيروت . 1968 ، المجلد 13 ص 451.

أما مدلولها في الحضارة اليونانية القديمة، فكانت تعني المدينة (Polis) باعتبارها بناء حقوقيا ومشاركة في شؤون المدينة كما تستعمل كلمة المواطنة كترجمة للكلمة الفرنسية (Citoyenneté) كما تقابلها باللغة الإنجليزية كلمة (Citizenship) المشتقة من كلمة (city) أي المدينة.

ب- اصطلاحاً: هي صفة المواطن الذي له حقوق وعليه واجبات تفرضها طبيعة انتمائه إلى وطن. فهي علاقة الفرد بدولته، علاقة يحددها الدستور والقوانين المنبثقة عنه والتي تحمل وتضمن معنى المساواة بين من يسمون مواطنين.

فالمواطنة مفهوم تاريخي شامل ومعقد له أبعاد عديدة ومتنوعة منها ما هو مادي قانوني ومنها ما هو ثقافي واجتماعي، ومنها أيضاً ما هو سياسي وإداري، لذلك فإن نوعية المواطنة في دولة ما تتأثر بالنضج السياسي والرقى الحضاري¹ إذ المواطنة خيار ديمقراطي اتخذته مجتمعات معينة، عبر مراحل تاريخية طويلة، فهي كما قيل: " ليست المواطنة جوهرًا جاهزًا يعطي مرة واحدة وللأبد."²

ويقصد بالمواطنة العضوية الكاملة والمتساوية في المجتمع بما يترتب عليها من حقوق وواجبات، وهو ما يعني أن كافة أبناء الشعب الذين يعيشون فوق تراب الوطن سواسية بدون أدنى تمييز قائم على أي معايير تحكمية مثل الدين أو الجنس أو اللون أو المستوى الاقتصادي أو الانتماء السياسي والموقف الفكري، ويرتب التمتع بالمواطنة سلسلة من الحقوق والواجبات ترتكز على أربع قيم محورية هي:

¹ بشير نافع، سمير الشميري، علي خليفة الكواري (" المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية " مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 2001 ص 27

² السيد ياسين " المواطنة في زمن العولمة " الدار المصرية للطباعة . القاهرة . السنة 2002 ص 22

أولاً- قيمة المساواة: التي تنعكس في العديد من الحقوق مثل حق التعليم والعمل والجنسية والمعاملة المتساوية أمام القانون والقضاء، على اختلاف تنوعه العرقي والديني والمذهبي مما يجعل الإنسان يتمثل ويتبنى ويندمج مع خصوصيات وقيم هذا المجتمع.

ثانياً- قيمة الحرية: التي تنعكس في العديد من الحقوق مثل حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية، وحرية تأييد أو الاحتجاج على قضية أو موقف أو سياسة ما.

ثالثاً- قيمة المشاركة: التي تتضمن العديد من الحقوق مثل الحق في تنظيم حملات الضغط السلمي على الحكومة أو بعض المسؤولين لتغيير سياستها أو برامجها أو بعض قراراتها، وممارسة كل أشكال الاحتجاج السلمي المنظم مثل التظاهر والإضراب كما ينظمها القانون، والتصويت في الانتخابات العامة بكافة أشكالها، وتأسيس أو الاشتراك في الأحزاب السياسية أو الجمعيات أو أي تنظيمات أخرى تعمل لخدمة المجتمع أو لخدمة بعض أفرادها، والترشيح في الانتخابات العامة بكافة أشكالها.

رابعاً - المسؤولية الاجتماعية: التي تتضمن العديد من الواجبات كاحترام النظام العام والحفاظ على الممتلكات العمومية وواجب دفع الضرائب، وتأدية الخدمة العسكرية للوطن، واحترام القانون، واحترام حرية وخصوصية الآخرين.

5-5-1 مفهوم الهوية الثقافية: هي مجموعة الخصائص المختلفة النفسية الجسدية والمعرفية التي تميز ذاتا محددة عن غيرها. وفي خضم فكرة التميز التي تؤسس الهوية يفرق " ميد " بين أنا كضمير وأنا كذاتي فأنا كضمير¹ هي استجابة ورد فعل الفرد بالنسبة لاتجاهات الآخرين، وأنا كذاتي هي تنظيم مجموعة من اتجاهات الآخرين التي تشكل بناء الذات²

¹ أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1995، ص 23

² جورج لارين، الإيديولوجية والهوية الثقافية، ترجمة فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 2002، ص 246.

فالأنا كذاتي بوصف - ميد - : هي مجموعة الخبرات والخصائص والاتجاهات والمواقف التي تميز جماعة معينة عن جماعة ثانية فتشابه أفراد هذه الجماعة في هذه الخبرات والخصائص والاتجاهات يجعل منهم ذاتا واحدة تختلف عن نوات أخرى لها اتجاهات وخصائص وخبرات مختلفة. وتعد الهوية "حصيلة لمجموعة من أنساق العلاقات والدلالات التي يستقي منها الفرد معنى لقيمته ويضع لنفسه في ضوئها نظاما يشكل في إطاره هويته بحيث تتوفر له من جراء ذلك إمكانية تحديد ذاته داخل الوسط السوسيوثقافي باعتباره نظاما مرجعيا على المستوى السلوكي" ¹

لقد جرى تحول بالغ الأهمية مع الصحوة الإسلامية في عقد السبعينيات انتقلت معه الحركة الإسلامية في قضية لباس المرأة من خطاب يرفض العري والابتذال الذي يخرج عن قيم الستر والاحتشام إلى خطاب يسعى إلى تحديد الحجاب كلباس "شرعي" وحيد للمرأة يُفترض أن تتجسد فيه كل القيم العليا التي يدعو الإسلام المرأة إلى الالتزام بها وهو تحولٌ جاء ضمن سعي "إيديولوجي" أوسع لبناء هوية شخصية المرأة المسلمة. وبذلك يؤكد الحجاب على دلالة سوسيوثقافة تكشف عن الحراك الاجتماعي أصاب مختلف الأنساق والبنى. فالثقافة المهددة صارت اليوم تبحث عن وسائل مقاومة متعددة لتواجه بها 'أعداء الإسلام' منها الحجاب الفاصل بين مقومات هويتنا وهويتهم، ديننا ودينهم، أخلاقنا وأخلاقهم، نساءنا ونساءهم إلى غير ذلك من الثنائيات المتضادة الموضحة لعلاقة الأنا بالآخر. واحترام هذه الهوية الثقافية في الفضاء العام الفرنسي وتقصد بذلك العلاقة على المستوى الفردي عامل إيجابي لتأكيد المواطنة، كما سنفصل ذلك في ثناء الدراسة.

¹ مصطفى حدية، التنشئة الاجتماعية والهوية، كلية الآداب الرباط، المغرب، ط 1، 1996، ص 25.

1-5-6 المفهوم الإجرائي للإقصاء والتهميش القانوني (التمييز المؤسسي):

نقصد به كل أشكال التمييز والإقصاء والعنصرية في مختلف المجالات: السكن والتعليم والعمل والحقوق الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية. ولا نقصد المعاملات في الفضاء العام، وإنما المعاملات الرسمية في المؤسسات الحكومية الرسمية، وليست مؤسسات القطاع الخاص، (لأن الحجاب ممنوع فقط في المؤسسات الحكومية). وللإشارة فإن حدة هذا الإقصاء والتمييز تختلف حسب الأصول الأثنية للمهاجرين وكذا لغتهم ودينهم كما تختلف حسب وضعيتهم القانونية في البلدان المضيفة. وخاصة عندما يتعلق الأمر بتشغيل المحجبات فهناك تضيق كبير على المحجبات في مجال الدراسة والعمل. كما أن مشكلة عدم اندماج المهاجرين يتجلى أكثر في الميدان الاجتماعي، إذ غالباً ما يكون هناك خلط بين الهجرة والإجرام. وتتفاقم الوضعية بالنسبة لذوي الأصول العربية والمسلمة فهناك أحكام وتصنيفات مسبقة حيث تلصق بهم تهم الإجرام والتطرف والإرهاب بطريقة اعتباطية.

1-5-7: المفهوم الإجرائي للتنوع الثقافي:

هو الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها ويتجلى هذا التنوع من خلال تعدد الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية، على أساس عامل الهجرة الذي بدأت تتسارع وتيرته بفعل مجريات العولمة وانتشار الجماعات الأثنية والعرقية والقومية، وإحساسها بأهمية تعزيز هوياتها والحفاظ عليها في إطار من الخصوصية التي لا تلغي التنوع، فالإدماج القسري للمجموعات المتميزة ثقافياً الذي قامت به الدول الأوروبية عبر تاريخها، لم يحقق الإدماج الكلي، بل ظلت هذه المجموعات ولو جزئياً محافظة على خصوصيتها اللغوية والثقافية والقومية، بهذا المعنى فإن التنوع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية وينبغي الاعتراف به والتأكيد عليه لصالح أجيال الحاضر والمستقبل إلا أن التاريخ قد أظهر أن الأقليات لا ينظر إليها دائماً من زاوية إيجابية.

ويضغط من المنظمات الدولية ومؤسسات الحقوق المدنية وحكومات الدول الديمقراطية الليبرالية انتشر خطاب سياسي دولي بخصوص ظاهرة التعدد الثقافي، من خلال سن القوانين التي تشرّع للحقوق والمساواة والاعتراف بالهويات الثقافية، وتجرب كل اعتداء عليها أو اضطهادها، أو عدم الاعتراف بها، وذلك ضمن إطار مجتمع ديمقراطي، ووفق مفهوم المواطنة في علاقته بالمجال في الشأن العام. والاعتراف بشرعية الثقافات الأخرى في المجتمع بأنها مركب هام وجزء لا يتجزأ من المجتمع. الحوار يعطي المجموعات التعرف على حقوقها والاحترام المتبادل بين الثقافات في المجتمع وتطور النقد الذاتي والتحقيق الذاتي للفرد والثقافة في المجتمع. ومع ذلك هناك أزمة في كثير من النظم السياسية في إدارة التعددية الثقافية وعجز في مواكبة التحولات الحضارية والثقافية للشعوب.

1-5-8: المفهوم الاجرائي للحريات المدنية:

تتميز الحقوق المدنية من "حقوق الإنسان" فالحقوق المدنية هي الحقوق التي منحت من قبل الدولة لجميع المواطنين ضمن الحدود الإقليمية، في حين أن حقوق الإنسان هي الحق في الحياة والحرية والملكية وينبغي تحويلها إلى حقوق مدنية وتحميها الدولة ذات السيادة الوطنية بوصفها جانباً من جوانب العقد الاجتماعي.

والحقوق والحريات المدنية تشمل أيضاً حرية تكوين الجمعيات، وحرية التجمع، وحرية المعتقد، وحرية التعبير، وبالإضافة إلى ذلك، الحق في محاكمة عادلة وفق الأصول القانونية، والحق في الخصوصية، الحق في الاحتجاج السلمي، والحق في محاكمة عادلة كما له الحق في التصويت، والحق في الحرية الشخصية، والحق في حرية التنقل والحق في الحماية المتساوية. والأمن وحق الحياة الكريمة وعدم الاستعباد والسلامة الشخصية وحرية ممارسة الشعائر الدينية وحرية التعبير، وحرية تأسيس الجمعيات وحرية الانخراط في أية منظمة سياسية أو نقابية. كما أن لكل مواطن الحق في أن يكون ناخباً أو منتخبا.

ويعمل الدستور على ضمان الحقوق السياسية والمدنية كما هو معترف بها دولياً ويسهر القانون على ضمان ممارستها، ويعاقب من يتعدى على حريات الآخرين، وأنه لا يمكن أن يوضع حد لهذه الحريات إلا بمقتضى القانون. والحريات المدنية هو الاسم المعطى لحماية حريات الفرد من الحكومة تماماً، والحريات المدنية تضع حدوداً للحكومة حتى أنها لا تستطيع إساءة استعمال قوتها أو تتدخل في حياة مواطنيها.

وضمان قانون الحريات المدنية يكون من خلال الدساتير المكتوبة. ومن خلال الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية. التي وقعت عليها البلدان الأوروبية، فهي معاهدة دولية ملزمة لحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية في أوروبا، تم صياغتها في عام 1950.

1-5-9: المفهوم الإجرائي للإسلاموفوبيا:

أرهاب الإسلامي إسلاموفوبيا (Islamophobia): هو مصطلح ظهر حديثاً في المجتمعات الغربية معناه التحامل والكراهية تجاه المسلمين، أو الخوف منهم أو من الجماعات العرقية التي ينظر لها على أنها إسلامية. بالرغم من وجود اعتراف واسع بذلك المصطلح وشيوع استخدامه، فقد تعرض المصطلح والمعنى الذي يتضمنه لانتقادات. كذلك يشير المصطلح المثير للجدل إلى الممارسات المتعلقة بالإجحاف أو التفرقة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين في الغرب، ويُعرفه البعض على أنه تحيز ضد المسلمين أو شيطنة للمسلمين. وانتقل مصطلح إسلاموفوبيا بمعنى الخوف من الإسلام من اللغة الإنجليزية إلى لغات العالم المختلفة بدون استثناء.

المحاولات الأولى لتعريف هذا المصطلح ترجع إلى عام 1997 عندما حدد البريطاني **رونيميد تروست** في تقريره "الإسلاموفوبيا كخوف غير محدد للإسلام" وبالتالي الخوف الذي قد يخلق الكراهية تجاه كل أو معظم المسلمين. " وأول من استعمل اللفظ عند الكتاب

الفرنسيين allet Emile في مقال بعنوان "ثقافة ووحشية" نشره في صحيفة (LE Monde) الفرنسية سنة 1994، إذ تحدّث عن "صنف من الإسلاموفوبيا الزّاحفة". ثمّ وجدت هذه العبارة استخداما دوليا كبيرا مباشرة بعد الهجمات الإرهابية على مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية في 11 سبتمبر 2001. وتستعمل هذه العبارة حتى من جانب الجماعات الإسلامية المحافظة التي ترفض العنف والإجرام والقتل بإسم الإسلام. **والتعريف حسب رونيميد تروست البريطاني:** الإسلاموفوبيا مجموعة متنوعة من الآراء يُعرب عنها في النقاط:

- الإسلام كتلة وحدانية معزولة، جامدة وغير مستجيبة للتغيير.
- الإسلام مميز وغريب، وليس لديه قيم وأهداف مشتركة مع الثقافات الأخرى. لا يتأثر بها ولكنه يؤثر فيها يتسم بالعنف والعدوانية، تهديدي، يدعم الإرهاب ويحارب الثقافات.
- الإسلام أدنى من الغرب، وحشي، غير عقلائي، بدائي ومتحيز ضد النساء.

6-1 - التفاعلية الرمزية كمقاربة سوسولوجية:

تناولت المقاربة السوسولوجية الكلاسيكية التفاعل الاجتماعي المرتبط بمفاهيم كالفئة والشريحة والطبقة والبنية والنسق وغيرها بمعنى الانصياح للبنى الاجتماعية، بينما ركزت المقاربة المعاصرة على التفاعل الاجتماعي كمفهوم علائقي، في إطار الميكرو سوسولوجية كما هو الشأن عند كل من: ألان تورين-Alain touraine - وإرفين جوفمان - Erving Goffman وغيرهم.¹

تحتاج الحياة الاجتماعية إلى كفاءة خاصة نتعلمها من التفاعل، فالتفاعلية ترى بأن المجتمع يتعامل من خلال المعاني والرموز والإشارات (وهي أشياء حاضرة تعوض أشياء غائبة كخاتم الخطوبة، الأذان، اللباس، الحجاب، الخمار... الخ ، أي أنه يتم من خلالها إدراك بعضنا البعض.

فالتعامل في التفاعلية الرمزية هو تجريد للواقع ونقل المعاني والصور من خلال الرموز أو اللغة التي توحى بأشياء غائبة. فهناك وحدة الأنا رغم الحالات المختلفة التي نعيشها في البيت وفي الجامعة في السوق و الشارع وليس الأنا الجسم فقط وإنما الفكر، فمجموع الرموز هي التي تبني الأنا. نحن نعيش في جماعة ولكننا مستقلين عنها ومع هذا نعترف بالهو والآخر. فالجماعة هي الأنا العام أو الكلي ونعرف بأننا لسنا فقط أجساد وإنما أنا والآخر لأن لها دلالات... فنحن نتبادل دلالات وليس كلمات فالأساس الأول لبناء المجتمع هو التفاعلات. كما أن الإشارة تعطي دلالة بالحالة أو الوضعية.

فرضيات التفاعلية الرمزية:

يعطينا هيربرت بلومر 1969، صياغة للفرضيات التفاعلية:

1- إن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.

2- هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.

¹ Edmond marc.et Dominique. Picard. L'interaction. ED PUF. 1989. P9

3- وهذه المعاني تُحوّر وتُعدّل ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.

وهذه الفرضيات الثلاث تتطابق تقريبا مع الأقسام الثلاثة الواردة في كتاب (ميد): العقل والذات والمجتمع.

"إن الرمز الدال هو المعنى المشترك، وهو يتطور في سياق عملية التفاعل. فالتفاعل الاجتماعي يُولّد معاني والمعاني تشكل عالما. وهذا يعني أننا نخلق عالما بما نضيف عليه من معاني".¹

قد تحدثنا حتى الآن عن المحادثات الخارجية أي عمليات التفاعل تلك التي نخلق بواسطتها عالما المشترك. لكن عملية التأويل الداخلي هي أيضا محادثة بين جزأين مختلفين من الذات (أو بين وَجْهَيْ الذات حسب مصطلح ميد). فلنتذكر أن الرمز الدال يثير في نفسي ردة الفعل ذاتها التي يثيرها في الآخرين إنه كأنني أنظر إلى نفسي كما ينظر إليّ الآخرون نفسي كما يراها الآخرون، أما الوجه الثاني من ذاتي فهو الجزء الذي ينظر إلى ذاتي (أنا أفكر فيّ نفسي)²

كثيرا ما يصنف منظور Erving –Goffman بالمنظور «المسرحي» وهو مصطلح يستخدمه بنفسه. فالأدوار (أي التوقعات التي تكون لدى الآخرين عن سلوكنا في ظروف معينة) هي بمنزلة نصوص نقوم بتمثيلها، لذا فهو مهتم ببيان الأساليب التي نسلكها لأداء أدوارنا.³

استعمال التفاعلية الرمزية كمقاربة سوسيولوجية لهذه الدراسة هو توظيف لمجموعة من المفاهيم الأساسية، فالفتاة من خلال تفاعلها اليومي مع الآخرين تمتلك كفاءة لكيفية وطريقة تحجبها حسب ما تمليه ضوابط اللباس الشرعي بالمفهوم الديني. إضافة الى تدخلات وتوجيهات الأولياء بوجوب الستر ولبس الحجاب من عدمه. وما تسمعه من مواظب عبر

¹ - إيان كاريب، نفس المرجع، ص120.

² - إيان كاريب: مرجع سابق، ص121.

³ - إيان كاريب: مرجع سابق، ص122.

وسائل الفضائيات الدينية، وما تواجهه من انتقادات الآخرين الرافضين للحجاب. فتحاول بذلك الفتاة أن **تتموقع بطريقة مُرضية** اجتماعيا فالحجاب كظاهرة ملفتة للانتباه في المجتمع الفرنسي يقع في مفترق طرق يريد أن يجمع بين القيم الدينية للثقافة الأصلية وضغط الواقع الرافض والمناهض للحجاب، بين رضا الرب وضغط المجتمع.

بهذا يمكننا القول بأن تحجب الفتاة يعكس **دلالات ومعاني** مختلفة. فهي تحاول بذلك أن تظهر بمظهر يعكس **وجهتها** وهويتها الثقافية ومكانتها الاجتماعية ودرجة تدينها ويؤكد هويتها. فهي بهذا تحاول نقل معاني للآخرين تؤكد من خلالها الأنا والآخر وتحقيق التميز. والتحجب بهذه الكيفية يشكل على مستوى التفاعل يراد من خلاله تثبيت حالة أو تأكيد انتماء معين.

والمحرك الأساسي في ذلك هو إطار **التفاعل الوجيه** وتحسين صورة التفاعل مع بقية الفاعلين ودائما يبقى الرهان في هذه العملية هو **حفظ ماء الوجه** أمام الآخرين، الأهل الأقارب، الزملاء في كل مكان من الفضاء العمومي. فالفتاة دائما تعيش على **هاجس** تحسين شكل حجابها بتمويضه وتلوينه وتنويع ربطة خمارها محاولة بذلك ضبط سلوكياتها وفق متطلبات الحركة المجتمعية ومقتضيات العصرية.

إن سلوكيات التفاعل الاجتماعي هي كل ما يتم بين الأشخاص أثناء اللقاء من نظرات وحركات وهيئات جسدية يعمل كل طرف على بثها ضمن الوضعية التي يوجد بها....فهو تقديم الأفراد والجماعات لذواتهم اثناء التفاعل وجها لوجه ضمن حقل اللقاء الاجتماعي ..¹ وعن تقديم الذات في الحياة اليومية يتحدث - **إرفنج جوفمان** - عن تشخيص الأدوار: يتكلم عن **الفاعل** على " أنه عندما يلعب دورا ما اثناء التفاعل، فإنه يرغب على نحو ضمني في أن يثق المشاركون في صدق الانطباع الذي يريد أن يُحدثه لديهم فهو يرغب في أن يصدق هؤلاء الشركاء أن الشخصية الاجتماعية التي يمثلها تمتلك بالفعل الخصائص التي تظهر عليها أثناء التفاعل".²

¹ محمد راضي، التفاعل الاجتماعي عند إرفنج جوفمان، ط1، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2014. ص 2. بتصرف.

² محمد راضي، مرجع سابق. ص 49.

كما يستخدم - **جوفمان** - مفهوم **الواجهة** والذي يشكل تلك الترسانة الرمزية التي يوظفها الفاعل عن قصد أو غير قصد أثناء لعبه لدوره في لحظة التفاعل الاجتماعي. وتتحدد مختلف الأجزاء المكونة للواجهة من **الديكور والواجهة الشخصية**، ومن عناصر **الواجهة الشخصية** العلامات التي تكون مميزة لشخص ما أينما ذهب وترافقه في كل مكان، كالألبسة والهيئة والحركات المعبرة وباقي العناصر المشابهة كالمميزات العرقية¹.

كما يستعمل - **جوفمان** مفهوم **تحقيق المثالية** وهو نوع من تطبيع لتشخيص الأدوار وتوضيبيها وتغييرها على النحو الذي تؤدي فيه وظائف اجتماعية متسقة مع توقعات المجتمع الذي تجري فيه. ضمن سيرورة التنشئة الاجتماعية التي تعمل على جعل القيم مرتبطة بالواقع وتشتغل كمثل عليا².

ومن الحفاظ على الواجهة المناسبة، على الفرد أن يكتسب القائمة الرمزية الملائمة ويتعود على استخدامها لتجميل وتلميع تفاعلاته اليومية³. كما يذكر - **جوفمان** - أن سلوك التفاعل ليس إظهاراً لأشياء لها وجود مادي بالفعل، بقدر ما هو محاكاة من طرف الفاعل لنماذج من السلوك، يقول " ليست المكانة والوضعية الاجتماعية أشياء مادية يمكن أن نمتلكها وبالتالي نظهرها. إنها نماذج للسلوك المناسب والمنسجم والأنيق⁴. ويؤكد - **جوفمان** - على " أن العلاقات الاجتماعية منظمة على نمط عرض مسرحي... لأن الحياة هي شيء يجري على نحو مسرحي⁵."

¹ محمد راضي، مرجع سابق. ص 53.53. بتصرف.

² محمد راضي، مرجع سابق. ص 58.59..

³ Erving Goffman. *La mise en senne de la vie quotidienne La présentation de soi*. trad. Alain accado. Ed de Minuit. 1973. p41.

⁴ Erving Goffman. *La mise en senne de la vie quotidienne La présentation de soi*. opc. p79.

⁵ Erving Goffman. *La mise en senne de la vie quotidienne La présentation de soi*. opc. p73.

7- الدراسات السابقة:

يعتبر الحجاب من أهم الرموز التي تعكس الهوية الثقافية للمرأة المسلمة في الغرب الملاحظ أن موضوع الحجاب حظى باهتمام كبير من طرق الباحثين عربيا وعالميا. وقد ارتبطت الدراسات الخاصة بالحجاب بنواحي عدة ممثلة في الدراسات الشرعية للنصوص الدينية لتثبيت وجوب وضع الحجاب من عدمه إلى جانب الدراسات الأنثروبولوجية التي تتعلق بعلاقة الحجاب بالجسد الأنثوي، إضافة إلى الدراسات النفسية التي تتعلق بسلوكيات الملابس والدراسات الاجتماعية من حيث مدى انتشاره أو عقد مقارنة حضارية حول تأثيرات ارتداء الحجاب، وأسباب عودة ارتدائه تحديداً في ظل النقاش الحاد الدائر داخل المجتمعات الأوروبية في الآونة الأخيرة.

وكان لا بد من الاستفادة من جهود السابقين والتعرف على طرق إجرائهم لهذه الدراسات والنتائج التي توصلوا إليها وما قدمت هذه الدراسات من توصيات ومقترحات. وقد اطلعنا على عدد من الدراسات العربية والأجنبية التي تناولت موضوع الحجاب. لما لهذه الدراسات من علاقة مباشرة بموضوع دراستنا.

وفي هذه الدراسة نحاول بسط موضوع الحجاب حينما يتداخل الحجاب بوصفه رمزا دينيا بالقضايا السياسية والقانونية وبالأخص موضوع المواطنة. وقد وقع اختيارنا على سبع دراسات مختلفة، نراها أساسية وأقرب إلي موضوع الدراسة. وتسهيلا للإفادة من هذه الدراسات تم تصنيفها حسب موضوعاتها للمحاور التالية:

1. دراسات عربية.
2. دراسات أجنبية.
3. تعقيب ومناقشة الدراسات السابقة:

7-1 الدراسات العربية:

- الدراسة الأولى: دراسة حرة حديثة للأستاذ منير مباركية تحت عنوان، "مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة، وحالة المواطنة في الجزائر مركز دراسات الوحدة العربية ط1 لبنان، 2013. وفاز مشروع هذا الكتاب بالجائزة الأولى في مسابقة الجامعة العربية والمدرسة العربية في الدراسات الديمقراطية، في دورتها الأولى سنة (2011).

كتب مقدمتها الدكتور عبدالناصر جابي أستاذ علم الاجتماع في جامعة الجزائر والذي تكلم عن أزمة النموذج الفرنسي في التعاطي مع المواطنة في الحياة اليومية، حاول الباحث تقديم إجابة عن سؤال مركزي: كيف تبدو حالة المواطنة في الجزائر مقارنة بالمفهوم العام للمواطنة، وتطبيقاته في الدولة الديمقراطية وبالتحديد فرنسا؟

ويأتي صدور هذا الكتاب في ظل التحولات التي تعصف بالوطن العربي، حيث المواطن العربي يقترب أكثر فأكثر من امتلاك المبادرة في محاسبة السلطة وفي فرض خياراته وبالتالي في بلورة تجاربه الديمقراطية، يغدو البحث في موضوع المواطنة من الأمور المهمة لفهم تلك التجارب والمساهمة في إنضاجها.

يسعى الكتاب، الفائز بالجائزة الأولى في مسابقة المدرسة العربية للدراسات الديمقراطية إلى البحث في حال المواطنة في الجزائر في ضوء المفهوم العام للمواطنة كما عبر عن نفسه في الديمقراطيات الغربية، وبخاصة فرنسا. وهو يحاول تحديد المفهوم العام للمواطنة في الدولة الديمقراطية وفق منهج متكامل لدراسة المفاهيم، ثم يقدم عرضاً وصفيّاً تحليلياً ونقدياً لسياسات المواطنة وممارساتها في كل من فرنسا والجزائر. يحتوي الكتاب ثلاثة فصول إلى جانب المقدمة والخلاصة العامة والملاحق.

الفصل الأول: " المواطنة دراسة المفهوم وتطوره التاريخي " الفصل الثاني "واقع المواطنة في الدول الديمقراطية المواطنة في فرنسا" والفصل الثالث "المواطنة في البلدان العربية حالة المواطنة في الجزائر".

وكانت الإجابة في شكل منهجي متكامل لدراسة المفاهيم وضبطها تبعاً بتقديم عرض وصفي تحليلي ونقدي لسياسيات وممارسة المواطنة في كل من فرنسا باعتبارها من الدول الديمقراطية العريقة، ومن النماذج الشهيرة في مجال المواطنة، والذي يرفض دمج المهاجرين إلا بشرط تخليهم عن كل ما يمت بصلة لانتماءاتهم الثقافية والدينية وحتى طريقة اللباس. والجزائر باعتبارها دولة عربية ذات تجربة سياسية فنية تشترك في هموم المواطنة مع بقية البلدان النامية.

- **الدراسة الثانية:** دراسة عربية أكاديمية أنجزها الباحث إدريس بن سعيد أستاذ علم الاجتماع بجامعة محمد الخامس بالرباط حول موضوع "الشباب والحجاب" بالتعاون مع الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب وبدعم من صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة، وهذه بعض النتائج والخلاصات التي توصلت إليها الدراسة:

- عن مفهوم الحجاب دارت التعريفات التي اقترحها المشاركون حول مفهوم مركزي يعتبر بأن وجود جسد المرأة خاصة الشابة في المجال العام يشكل عنصر خلخلة واضطراب وقد يؤدي إلى اختلال النظام الأخلاقي العام. وكانت كلمات "الستر"، "ستر العورة"، و"الفتنة" و"اللباس المحترم من أكثر الكلمات تواتراً في حديث المستجوبين من الجنسين على اختلاف مشاربيهم، غير أن سياق استعمالها يختلف بينهما، بالنسبة للذكور فإن الحجاب هو حماية للدين وأخلاق الذكور وحماية المجتمع من الفتنة التي يمارسها الجسد الأنثوي.

- وعن رمزية الحجاب ركز الكثير من المبحوثين على أنها تتجاوز شكل الزي وطرق لباسه، إذ يتعلق الأمر بتحديد معن للهوية الدينية والثقافية للفتاة. وعلى مستوى ثاني يتم تمثّل الحجاب باعتباره وسيلة لتحرر المرأة وضمان مشاركتها الفاعلة في الحياة العملية ويبقى الحجاب بالنسبة للعديد من الشباب الذكور بمثابة رسالة تعلن عن "التزام" الفتاة بالمحافظة على جسدها وبمقاومة الفتنة والإغراء.

- المعرفة بالنصوص الدينية أغلب المبحوثات يرون أن الحجاب مذكور في القرآن وعدد قليلا جدا من يعرف بالضبط الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع وحتى من بين من يعرف النصوص، فإن قلة منهم كانت قادرة على تلاوة الآيات بدون خلط أو أخطاء.

- أما عن الأسباب الاجتماعية: فقد كشف تحليل إجابات المبحوثات أن الدافع الديني أو المعرفة بالنصوص لا تسبق في الغالب قرار ارتداء الحجاب، وإنما تبنى وتتأسس لدى مجموعة هامة من المبحوثات بعد ارتداء الحجاب.

- وقد عبر عدد كبير من المبحوثات على أن ارتداء الحجاب عند البلوغ قد تحوّل تدريجيا إلى "طقس مرور" على شكل تعاقد ضمني بين الأسرة خاصة الأب والأخوة الذكور وبين الفتاة التي تريد الخروج من البيت وارتياح المجال العام مقابل ارتداء الحجاب الذي يمثل بالنسبة للآباء حدا أدنى من الضمانات التي لا يمكن التنازل عنها في سياق مجتمعي ضعفت فيه آليات المراقبة الاجتماعية وتكاثرت فيه الانحرافات. وأخيرا عن الحجاب وآليات الإدماج والإقصاء: لم يسجل الباحث أي إقصاء بسبب الزي وحده، مما يسمح بتسهيل التواصل والاندماج وقبول الشابة سواء كانت متحجبة أو لا في كل المجالات.

- **الدراسة الثالثة:** دراسة حرة للدكتور محمد الخضراوي (2006) بعنوان "الحجاب: برتوكولات حكماء العلمانية" دافع فيها عن الحق في ارتداء الحجاب في المجتمعات الغربية والشرقية على حد سواء على اعتبار أنه قيمة حضارية يجب احترامها، وأن الهجوم على الحجاب جزء من هجمة ثقافة علمانية لا تحترم الآخر بل تدعي ذلك.

يرى الباحث بأن الحجاب علامة حضارية منتشرة لدى الديانات الثلاث "قالحجاب شأن شخصي إنساني فردي، لكونه زياً نسائياً مشتركا مغرقا في التاريخ، ينبغي أن يبقى محايدا لا تتجاذبه الشعارات ولا تختلف فيه الآراء والمذاهب، ولا تعترض عليه السياسات، ويراه بالتالي قيمة اجتماعية - ثقافية لم يشترط وجودها في الأديان فقط، فهناك خمسة أنواع من الحجاب "الديني، الاجتماعي، التقليدي، الموضة، الرمز السياسي" وبالتالي موضوع

الحجاب ليس موضوعاً دينياً بل حضارياً يجب احترامه ضمن هذا الخصوص، وتصبح الهجمة العلمانية لها أسباب أعمق مثل الخوف من التهديد الحضاري الذي يشكله المسلمون على الغرب، وذلك في ظل وجود أعداد كبيرة منهم في هذه البلدان مثل فرنسا. فمن بين خمسة أنواع يذكرها الكاتب محمد الخضراوي "الحجاب الديني، التقليدي الاجتماعي، الموضة، الرمز السياسي"، يمكن حصرها بنوعين ديني واجتماعي. الحجاب الاجتماعي مرتبط بالأوضاع الاجتماعية المختلفة التي يمر بها المجتمع والأسرة معاً وهذا النوع من التحجب الاجتماعي، ينطلق من تأمل فلسفي، لكونه يقيم وزناً لمعنى النزعة الإنسانية المتأصلة في كينونة الإنسان، والشخص البشري كائن أخلاقي كما هو مسجل في الذاكرة الوجدية، والحياة العائلية ذات المبادئ والقيم الأخلاقية العالية تنقلت من طبائع التسبب الجسدي في المحيط الاجتماعي، وتمتدع عن إسقاط الحواجز بين عناصر البنية الأسرية.

7-2- الدراسات الأجنبية:

- **الدراسة الرابعة:** دراسة حرة أجنبية للدكتورة- فدوى الجندي" أستاذة علم "الأنثروبولوجيا" تحت عنوان " الحجاب احتشام وخصوصية ومقاومة" والذي نشر بالغة الإنجليزية يأخذ زاوية منهجية جدية ليس للقارئ الغربي فحسب وإنما للقارئ العربي أيضاً. وكانت الباحثة قد قضت ثلاثة عقود في متابعة ودراسة ظاهرة العودة إلى الحجاب والحركات الإسلامية والكتاب خلاصة عديد من الدراسات النظرية والميدانية الأصلية حيث يركز على موضوع المعنى الثقافي الحضاري للحجاب في منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي من وجهة نظر علم "الأنثروبولوجيا المقارنة". وتنتقد الباحثة خلاله الكتابات الاستشراقية ونظريات ما بعد الاستعمار بمنهجية وموضوعية علمية، وأيضاً الدراسات النسوية الغربية في عديد من الجامعات الأمريكية.

تصدّر كتابها إهداء مميز يعطي للقارئ بعض المفاتيح لفهم منهجها وجدلها الأساسي والغرض من كتابة بحثها كما تقول في تصديرها: "أتمنى أن يصل كتابي لكل القراء والقارئات، وبالذات اللاتي قررن أن يرتدين الحجاب واللاتي رفضن أن يتحجبن واللاتي لم يتحجبن طوال عمرهن". الجدل الأساسي للكتاب هو حول اللباس وبالتحديد الحجاب، وأنه ليس عنصراً أو رمزاً لتقييد المرأة أو الرجل، ولا يمكن فهمه موضوعياً كتقليد أو ظاهرة باللجوء إلى النظرية الغربية المهيمنة على الفكر النسائي اليوم. وهي نظرية التسلط الذكوري، وإنما تتضمن معاني عديدة. من ضمنها الهوية والاحتشام والخصوصية والتكيف للبيئة والمكان وإشهار المقاومة والالتزام بالشريعة الإسلامية.

ويحتوي الكتاب علي ثلاثة فصول أساسية: الأول يحلل ظاهرة الحجاب من رؤية مقارنة. والثاني يتناول الثياب واللباس والحجاب. أما الثالث فيركز على موضوع الحجاب كنوع من المقاومة. والجديد في هذا الجدل هو التركيز على الأعم مما يخص اللباس ومعانيه ليس فقط للنساء، بل أيضاً للرجال، كما في حالة "الطوارق" في جنوب الجزائر. والرجال العرب في حالات معينة. وبدراسة المقارنة ما قبل وبعد الإسلام وبين الأديان المتعددة. اخرجنا هذا الجدل من الرؤية الضيقة لمناقشة موضوع الحجاب، ويحرر التحليل من هيمنة الكثير من الدراسات الاستشراافية والنسائية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا التي تنظر إلى هذا كنوع من أنواع قمع المرأة وتخلف المجتمع.

- الدراسة الخامسة: دراسة أكاديمية - SABELLE GAGNE - بكلية الدراسات العليا في جامعة Laval— في إطار الماجستير قسم الأنثروبولوجيا كلية العلوم الاجتماعية جامعة كيبيك عام 2009 تحت عنوان "الخطابات والتمثيلات وممارسات النساء المسلمات المحجبات وغير المحجبات، في سياق الهجرة في كندا. هذه الدراسة كانت بمثابة محاولة لفهم الهوية الدينية والقيم الثقافية التي لها التأثيرات في المهجر.

تناولت فصولها النظرية مسألة الجنس عند النساء المسلمات والحجاب في سياق الهجرة ومعانيه ومفهوم الهوية الدينية وما وراء الحجاب من أخلاق واستقامة على مبادئ الدين. وفي جانبها الميداني استندت الدراسة على تقنية المقابلات مع ستة عشر امرأة من ثلاث جنسيات إسلامية، (إيرانيات ومغربيات وتونسيات). كانت الدراسة عبارة عن مناقشات حول المعتقدات والممارسات الدينية. كما تناولت مفهوم الأسرة. وكانت النتيجة أن الحجاب يرسم العلاقة بين الجنسين ويضع حدودا لمعاملات النساء مع الرجال.

الدراسة السادسة: دراسة حرة من تأليف الدكتورة كاثرين بولوك، بعنوان «نظرة الغرب إلى الحجاب دراسة ميدانية موضوعية»، صادرة باللغة الإنجليزية عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي في لندن سنة 2001 وقد نقله إلى العربية في ترجمة دقيقة شكري مجاهد في عام 2011، وهي دراسة ميدانية مهمة ومفصلة تتضمن تحليلا نقديا قويا للمفهوم الغربي الشائع الذي يرى الحجاب رمزا لقهر المرأة المسلمة وتقييدا لحريتها، والإطار العام للكتاب يدعم وجهة النظر القائلة أن الحجاب لباس مفروض دينيا، وإنه ليس من صور القهر، بل هو جزء من دين يمنح النساء المسلمات الكرامة والاحترام. والكتاب في الأصل رسالة المؤلفة لنيل درجة الدكتوراه عن المرأة والحجاب، والتي كانت بعنوان «سياسات الحجاب»، وقد اعتنقت الإسلام وارتدت الحجاب أثناء إعدادها لها وكان جوهر الرسالة إجراء مقابلات شخصية مع بعض النساء المسلمات في تورنتو بكندا للتعرف على رؤيتهن للحجاب وأفكارهن عن الإسلام والحجاب وحياتهن الشخصية.

تقول الدكتورة كاثرين بولوك أن «أهم أهداف الكتاب هو تفنيد الصورة النمطية الغربية الشائعة عن ارتباط الحجاب بقهر المرأة، فكانت فكرتي الرئيسية هي أن الرأي الغربي الشائع حول كون الحجاب رمزا لقهر المرأة المسلمة، ما هو إلا صورة مختلقة لا تعكس خبرة النساء اللاتي يرتدين الحجاب، هذه الصورة المختلقة كانت دائما في خدمة السياسة الغربية، وما زالت كذلك في القرن الحادي والعشرين». وبالإضافة إلى ذلك ترى المؤلفة أن القول بارتباط

الحجاب بالقهر قائم على تعريفات ليبرالية لمفهومي «المساواة» و«الحرية»، وهذه التعريفات تعوق بدورها طرقاً أخرى لفهم «المساواة» و«الحرية»، من شأنها أن تتيح مدخلاً أكثر إيجابية للتفكير في ارتداء المرأة للحجاب، وتتمنى المؤلفة أن يساعد كتابها على تبديد الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين، وهي صورة منتشرة في الثقافة الشعبية الغربية، وأن يؤدي ذلك إلى تشجيع الاندماج والتعاون بين المواطنين المسلمين وغير المسلمين في الغرب.

- **الدراسة السابعة:** دراسة أكاديمية تتمثل في أطروحة دكتوراه للطالب بلال من موريتانيا في موضوع "ما وراء الصور النمطية للحجاب: دراسة تفكيكية للخطاب الإعلامي الغربي حول الحجاب" باللغة الإنجليزية تمت مناقشتها بتاريخ: 11/04 / 2014

تناولت جوانب تحليل وتفكيك الخطاب السائد حول الحجاب في الإعلام الغربي وسبل توفير خطاب بديل. والتي تهدف الي فحص وتدقيق صورة الحجاب في الإعلام الغربي من أفلام وأفلام وثائقية وصحف مع محاولة لتقديم بديل عن الخطابات الغربية السائدة حول الحجاب. وقد استدعت طبيعة هذا البحث تقسيمه الى جانبين وخمسة فصول في

كل باب ثلاثة فصول. ويتميز كل فصل بمنهجية خاصة تتولى مهمة مختلفة في تفكيك

بعض الخطابات الغربية السائدة حول الحجاب. فمن أجل تحليل فكرة الاضطهاد أستخدم في الفصل الأول منهجا تاريخيا للتأكد والتحقق من وجود الحجاب في الثقافات الأخرى

ويعالج الفصل الثاني من هذه الأطروحة مسألة الحجاب وخطاب الاستشراق. حيث يحاول هذا الفصل النظر في الآليات التي تم من خلالها خلق واستنباط الشرق وبالتالي جعله مختلفا عن العالم الآخر وهنا ركز في تحليله على إسهامات الراحل ادوارد سعيد في كتابه

الاستشراق. بالنسبة لإدوارد سعيد يُعتبر الشرق نظاما من التمثلات والاختراعات تمت صياغتها من طرف الخيال وتصورات المستشرقين.

في حين يحاول في الفصل الثالث من هذه الأطروحة تقديم حجة مضادة للخطاب الغربي السائد. حيث أعاد التفكير في بعض الصور النمطية السلبية المرتبطة بالحجاب وذلك لإمكانية استخدامه لأغراض متعددة وليس بالضرورة وسيلة لاضطهاد المرأة كما يظن بعض الغربيين. يبدأ الباب الثاني من هذه الأطروحة بالفصل الرابع الذي يحاول التحقيق في تغطية الصحف الغربية لمسألة الحجاب خصوصا بعد أحداث 11 من سبتمبر/ أيلول 2001 حيث ظهرت المجازات الاستشراقية في أدهى صورها في اغلب هذه الصحف.

كما يعالج الفصل الخامس من هذه الأطروحة الصورة النمطية للحجاب في الإعلام الغربي. وقد تم في هذا الفصل إثبات وجود بعض الصور النمطية من خلال النماذج التي تم تحليلها أساسا في الأفلام والأفلام الوثائقية الغربية.

3-7 تعقيب ومناقشة الدراسات السابقة:

باستعراضنا الدراسات المختلفة وكلها حديثة نجد أنها تنوعت في تناولها موضوع الحجاب، حيث نجد أن هناك اتفاق بين دراستنا الحالية وبقية الدراسات في:

- أن غالبية الدراسات تركز على انتشار ظاهرة الحجاب في الغرب.
- ركزت عدد من الدراسات على ارتباط مسألة الحجاب بالهجرة إلى الغرب.
- هدفت بعض الدراسات لتحديد مفهوم ورمزية الحجاب.
- تناولت بعض الأبحاث تأثير وسائل الإعلام على الرأي العام في قضية الحجاب.

كما استفدنا من الدراسات السابقة في النقاط التالية:

- اختيار المنهج وتقنيات البحث وبلورة فكرة الدراسة ومجالاتها.
- استفدنا من مادتها العلمية في البناء النظري وتوجيهنا إلى كثير من المراجع.
- اكتسبنا منها مفاهيم ومصطلحات وجهت دراستنا.

- اعتبرنا نتائجها أساساً انطلق من قاعدتها. محاولين تكثيف الدراسة حول الحجاب.
 - استفدنا منها في عرض مشاكل المحجبات وأوضاع الأقليات المسلمة.
- استفدنا من **الدراسة الأولى** في فصلها الثاني حول "واقع المواطنة في الدول الديمقراطية المواطنة في فرنسا نموذجاً" كما لفتت انتباهنا الى مجموعة من المراجعة تخص المواطنة لم نكن نعرفها من قبل. وهي دراسة نظرية تفتقر للجانب الميداني والإحصائي الذي يعكس الواقع الحقيقي للممارسة المواطنة وخاصة للمهاجرين المقيمين في فرنسا.
- أما **الدراسة الثانية**: فقد استفدنا منها في الجانب التاريخي للحجاب كتمثلات وتنوعات ومفهوم الحجاب ورمزيته المرتبطة بمسألة الهوية الثقافية وكذا تقنيات البحث التي اعتمدها كونها دراسة ميدانية، **والدراسة الثالثة** كانت خصبة بالمادة العلمية استفدنا منها في إثراء الجانب النظري من الدراسة **والدراسة الرابعة**: اتفقنا معها في نتائجها وهي أن الحجاب، ليس رمزاً لتقييد المرأة ولا يمكن فهمه موضوعياً كتقليد أو ظاهرة بالجوء إلى النظرية الغربية المهيمنة على الفكر النسائي اليوم. وهي نظرية التسلط الذكوري، بل أنه اختيار حر ذاتي وشخصي وخاصة في الغرب.
- أما **الدراسة الخامسة والسادسة**: فهي قريبة جداً من موضوعنا كونها دراسات ميدانية عبارة عن مقابلات شخصية مع بعض النساء المسلمات في كندا. للتعرف على رؤيتهن للحجاب وأفكارهن عن الإسلام والحجاب وحياتهن الشخصية. والتعرف على الحجاب في سياق الهجرة ومعانيه ومفهوم الهوية الدينية وما وراء الحجاب من أخلاق. وقد استفدنا منها في تحليل بيانات متغيرات الحياة الشخصية والثقافية للمحجبات في الغرب، واختلفنا معها في كونها تعالج مسألة اغتراب المسلمات المهاجرات ودراستنا تعالج قضايا المواطنة.
- وكانت **الدراسة السابعة** دعماً لنا في تحليل المعطيات الميدانية وخاصة وهي تفكيك وتحليل لمحتوى الخطاب الإعلامي الغربي حول الحجاب " استفدنا في تحليل معطيات متغير الإسلاموفيبيا في الغرب.

ما يميز دراستنا هو اختيارنا للمقاربة النظرية الجسدية وهي الأولى من نوعها في دراسة موضوع الحجاب. إضافة لتركيز على أزمة إدارة التنوع الثقافي في إطار دولة المواطنة. كما نرى أن هذا الموضوع لم يُحسَم بعد، لوجود أسباب أخرى لارتداء الحجاب عدا النص الديني مما يشكل حافزاً مهماً لفحص هذا الموضوع في سياق المجتمع الفرنسي الذي يمثل مثال المجتمعات الأوروبية في ممارسة الديمقراطية وحقوق الإنسان.

إلا أن موضوعنا هذا يتعلق بالحجاب بعد أن أصبح ظاهرة بعيدا عن الصراعات الفقهية المتعلقة بالموضوع. وهو فحص يستدعي معرفة وضع الحجاب داخل المجتمع الفرنسي وبالأخص في جانب التطور التاريخي لمفهوم المواطنة، وأيضاً فيما يتضمنه الدستور الفرنسي من قوانين وتشريعات تكفل حقوق المواطنة. وبعض مظاهر ما يعيشه هؤلاء المهاجرين كواقع من إقصاء وتهميش في بعض الأحيان.

محاولين معالجة الحجاب والمواطنة كظاهرة اجتماعية في صياغة أطروحة جديدة تربط بين رمزية الحجاب وقيم المواطنة في ظل النقص في الأبحاث حول الموضوع نفسه بشكل عام. أو على الأقل الدراسات التي حاولت معالجة هذا الموضوع بأقلام جزائرية تُري أوضاع وظروف أبناء الجالية المهاجرة.

وإن كان لموضوع الحجاب ككل بعده العربي والإسلامي فإن له خصوصيات تميّزه في المجتمع الفرنسي. تتبع من السياق التاريخ والثقافي والواقع المختلف لهذا المجتمع. محاولين إعطاء الموضوع طابعه السوسيولوجي. وفق أبعاده الثقافية والسياسية والدينية والتي سنحاول من خلالها أن نجد تفسيراً لوضع مواطنة المحجبات في المجتمع الفرنسي. وهو ما تتضمنه دراستنا في مختلف فصولها النظرية والميدانية.

الفصل الثاني: سوسيولوجيا الجسد والحجاب

تمهيد

المبحث الأول : الجسد من منظور النظرية الاجتماعية

- 1- الجسد في علم الاجتماع الكلاسيكي
- 2- المقاربة الأنثروبولوجية لماري دوغلاس
- 3- المقاربة البنائية لميشيل فوكو
- 4- المقاربة الرمزية لبيار بورديو
- 5- الأقتراب المسرحي لرفنج فوفمان

المبحث الثاني : الحجاب وعالم الموضة

- 1- مفهوم الموضة
- 2- دورة حياة الموضة
- 3- اختيار الملابس وتقدير الذات
- 4- آثار و مشكلات الموضة

المبحث الثالث: الحجاب سوسيولوجيا الاستهلاك

- 1- مكانة الجسد في مجتمع الاستهلاك
- 2- ثقافة الموضة و سوق الاستهلاك
- 3- حجاب الموضة وصناعة الاستهلاك
- 4- عروض الأزياء الإسلامية

خلاصة الفصل

تمهيد:

يُطرح الجسد كموضوع ثقافي منذ فجر التاريخ، غير أن الربع الأخير من القرن الماضي يوقفنا على الوعي المتزايد بموضوع الجسد، وطرحه على أصعدة عدة في الأدبيات المعاصرة "إن تقنيات الجسد هي الطرق التي يعرف بها الناس في هذا المجتمع أو ذلك. باستعمال أجسادهم ويجب الانطلاق في كل الحالات من المُجسّد إلي المُجرّد لا العكس"¹ الأمر كما لو أن الجسد هو محور يدور حوله شتات الثقافات المعاصرة. هذا الوعي بالجسد يصب في النهاية في موضوع المرأة ورغبتها في إيجاد صيغة جديدة بينها وبين الرجل تضمن لكل منهما احترام الآخر كذات وجسد وتحميها من سيطرة الرجل على جسدها واعتقال ذاتها وحربيتها كفرد له وعيه وإرادته الخاصة، ومن ثم فلا غرابة أن يظهر موضوع الجسد كموضوع نسوي بالدرجة الأولى، حيث يستأثر جسد المرأة باهتمام خاص كموضوع ثقافي. ومن ثم يصبح جسد المرأة مستهدفاً سياسياً واقتصادياً أكثر من أي شيء آخر.. يقول في هذا الصدد: **رمضان بسطاويسي** في حديثه عن (فلسفة الجسد). إن تحليل مفهوم الإنسان عن جسده الخاص يمكن أن يفضي بنا إلى تبين الصورة التي يكونها المرء عن نفسه"². ومن هذا المنطلق سنحاول التعرض في المبحث الأول إلى بعض الإسهامات النظرية المتعلقة بالجسد والتي نعتبرها كمدخل لفهم سوسيولوجيا الجسد والحجاب وفي مبحث ثان نتحدث عن موضحة الحجاب وفي مبحث ثالث نتطرق إلى الحجاب وسوسيولوجية الاستهلاك كمبحث مكمل.

¹ Marcel Mauss. Techniques Of Body. Economy and Society 2-p 126.

² يتضمن كتابه - الإبداع والحرية - الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر ثلاثة مقالات (فلسفة الجسد - سوسيولوجيا الجسد بين الثقافات - صورة الجسد في الإبداع العربي) - يمكن مراجعتها لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع .

المبحث الأول: الجسد من منظور النظرية الاجتماعية

"تشكل النظريات والمعارف الاجتماعية إطلاقات أساسية، ترشد الباحث إلى المجالات التي يجب أن يسلكها، في سبيل استشفاف الواقع الاجتماعي، كما أنها تعتبر المعين النظري الخصب الذي تستمد منه المفاهيم العلمية، والأطر التحليلية لدراسة المجتمع."¹

قد تحوّل الجسد من خلال فعل المخيال السوسيولوجي، حتى أصبح الجسد يشكل حجر الزاوية ومحور التحليل الأكاديمي في كثير من الدراسات والبحوث، كما أنّ الجسد يعد تدريجياً أساساً لفهم الهوية الذاتية للشخص الحداثي لذلك تزايد قدر الاهتمام الأكاديمي بسوسيولوجية الجسد والموضة والتسوق والاستهلاك، ففي السنوات الأخيرة أبرز علم اجتماع الجسد بوصفه مجالاً متميزاً للدراسة، وصدرت مجلة جديدة عام 1995 تسمى Body & Society.² بل إنه اقترح وجوب أن يوظف الجسد بوصفه مبدأً منظماً لعلم الاجتماع.

كما يراهن - ترنار - بأن " السوسيولوجيا في الجسد ترتفن في النهاية بطبيعة التقسيم الجنسي والعاطفي. تصبح سوسيولوجيا الجسد بشكل حاسم سوسيولوجيا دراسة ضبط جنسية خصوصاً الجنسية الأنثوية، من قبل رجال يمارسون سلطة أبوية."³ وفي ضوء هذا الهدف استحدثت - براين تيرنار - مصطلح "المجتمع الجسدي" ليصف كيف أن الجسد في الأنظمة الاجتماعية الحديثة قد أصبح "المجال الرئيس للنشاط السياسي والاجتماعي"⁴ كما يري تيرنار (Turner): أنّ مشكلة التحكم في الجسد وضبطه، هي مشكلة تواجه كلّ مجتمع فكلّ مجتمع تواجهه مهامّ أربع: إعادة إنتاج أفرادهِ عبر الزمن والتحكم في أجساد أفرادهِ عبر

¹ -هيفاء فوزي الكبرة ، المرأة والتحوّلات الاقتصادية والاجتماعية، ط 1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ص14

² كرس شلنج، الجسد والنظرية الاجتماعية، تر: منى البحر، نجيب الحصادي، ط1، دار العين للنشر، مصر، 2009، ص19.

³ Turner. BS. The body and Society. Basil Blackwell. . Oxford. 1984. P..114

⁴ Turner. BS. Regulating Bodies . Essays in Medical Sociology. Rout ledge. London.1992. p.162

المكان، وكبح الجسد الداخلي (الرغبات) من خلال النُظم وحضور الجسد الخارجي (المظهر) في الحيز الاجتماعي.

وفي إطار هذه المهام فإن عملية تنظيم المجتمع ما هي إلا تنظيمٌ للأجساد داخليا وخارجيا عبر الزمان والمكان. والجسد جزء أساسي من هوية الإنسان. "فوجود الإنسان هو وجودٌ جسديٌّ في المقام الأول. والجسد هو الإدارة الأساسية لاكتساب المعرفة والتعبير عنها وتطويرها، والجسد موجود في قلب الرمزية الاجتماعية"¹ وقد طرأ أيضا تصاعد مُكثَّف على اهتمام الجمهور بالجسد والموضة. هكذا نجد الجرائد والمجلات والقنوات الفضائية تعجّ بمواد عن صورة الجسد: الوشم على الأجساد الجراحية التجميلية وكيفية جعل الجسد يبدو فتيا مثيرا وجميلا.

وفي هذا السياق تندرج الملابس ومن بينها الحجاب كجلد ثاني للإنسان يتعلق بالمظهر الخارجي ليعبر الجسد من خلاله على شخصيته ومكانته وانتماءه الحضاري والثقافي وهذا ما نلاحظه في الانتشار الواسع لدور الأزياء العالمية في موضة الألبسة. فوضع الجسد ضمن ثقافة الحدائث يعكس فردانية غير مسبقة للجسد. فلقد أصبح اهتمام الناس يتزايد أكثر بصحة وشكل ومظهر أجسادهم، بوصفها تعبيراً عن هوياتهم الفردية. ولعل الحجاب كأحد الملابس النسائية تحاول المرأة من خلاله أن تؤكد هويتها الثقافية.

لم يكن الجسد من الاهتمامات الأساسية في علم الاجتماع الكلاسيكي وإنما ظهرت التأثيرات الأساسية التي شكلت رؤى في الجسد بوصفه مشكلا اجتماعيا، وبوصفه مكوّنا اجتماعيا قابلا للترويض ومتحكّما فيه بالخطاب السائد. مع أنثروبولوجيا - ماري دوفلاس إضافة إلى أعمال - ميشال فوكو- . ورؤى - أرفنخ جوفمان - نصير التفاعلية الرمزية وأيضا- بيبار بورديو- والذي تعتبر أعماله إحدى المقاربات النظرية المعاصرة الأكثر أهمية في الجسد.

¹ B.turner. **the Body And society**.basil blackwell.Oxford.1989.p292

1- 1 الجسد في علم الاجتماع الكلاسيكي:

يشير التكوين البيولوجي والاجتماعي إلي ثنائية أساسية في الفلسفة وعلم الاجتماع "الطبيعة/الثقافة" وهنا يفترض أنه ليس بالمقدور تحليل الجسد وتفسيره دون إشارة إلى خصائصه ونزواته "الطبيعية". من جهة والى انتمائه الثقافي المتعلق بتنشئته الاجتماعية من جهة أخرى .

حسب عالم الاجتماع الفرنسي - مرسيل موس - فإن أي ظاهرة كلية ينبغي أن تُدرس من كل زواياها وجوانبها لفهم كيف يتم فصل الفردي والجماعي. فدراسة مثل هذه الظاهرة تخبرنا عن الطرق التي بها يندرج الفرد في المجتمع. كما أن مفهوم الفرد نفسه ليس مُعطى طبيعياً أولياً بل له تاريخ يتلاقى فيه الطبيعي والثقافي والفردي والجماعي. ففي دراسته حول موضوع (الهبة) - أثبت - مارسيل موس - Marcel Mauss أن التبادل لا يخضع للضرورات الاقتصادية فقط بل يُستعمل لإنشاء علاقات دبلوماسية أو سياسية أو قانونية كما أن له في بعض المجتمعات وظائف دينية وأبعاداً سياسية. فهذه أمثلة معدودة لمقاربة - موس - للظواهر الاجتماعية ورفضه أن يحصرها في مجال علمي واحد إذ الإنسان حسب رأيه ظاهرة كلية لا تجوز تجزئتها.¹ كما أكد على أنه لدى كل الثقافات أساليب خاصة فيما يتعلق بالجسد حيث توفر للمنتمين إليها هُويات. وتمنحهم طفولة ومراهقة وشيخوخة مقننة.²

وقد ظل اهتمام علم الاجتماع الكلاسيكي بالجسد ضمناً بدلاً من أن يكون صريحاً فضلاً عن ذلك نزع إلى التركيز على جوانب منتقاة من الجسد البشري. والحال أنه لا سبيل للحصول على نظرية مناسبة في الفعل البشري لا تأخذ الجسد في اعتبارها. لأن الشخص الفاعل جسد فاعل. وإن لم يتعامل علم الاجتماع الكلاسيكي بطريقة ملائمة مع كل

¹ من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة . G:lk . امرسيل_موس.htm

² Marcel Mauss. Techniques Of Body. Economy and Society 2-p 70.

متطلبات الجسد البشري، فإن هذا لا يبزر الحكم بأن علم الاجتماع تَبَيَّنَ مقارنة لا جسدية كلية. مثال ذلك كارل ماركس (Marx) في مسألة استيعاب الجسد في التقنية الرأسمالية. أيضا كتب جورج سيمل (Simmel,) عن الميول الجسدية التي تدفع الناس نحو بعضهم البعض، والعواطف الاجتماعية التي أسهمت في الحفاظ على العلاقات الاجتماعية كما تقصى آثار اقتصاد المال الضارة على تلك العواطف.

وكذا أعمال "ماكس فيبر" تبدي اهتماما بعقلنة الجسد فيما يعتبر "إميل دوركايم" الجسد مصدرَ وموضعَ تلك الظواهر الدينية التي أسهمت في تماسك الأفراد في كليات أخلاقية. وكذلك إسهامات "مرسل موس"، إذن علماء الاجتماع المؤسسين لم يهتموا كثيرا بالجسد بوصفه نسقا تنظيميا. إلا أن هناك أعمال سوسيولوجية معاصرة تناولت الجسد كمفهوم أساسي في التفاعل الاجتماعي من بين أهم هذه الإسهامات:

1- 2 المقاربة الأنثروبولوجية لماري دوغلاس:

تجادل الباحثة الأنثروبولوجية الأمريكية - ماري دوغلاس - بأن الجسد البشري هو الصورة الأكثر جاهزية للنظام الاجتماعي، وتقترح أفكارا عن الجسد البشري تستجيب بشكل مباشر لأفكار رائجة عن المجتمع. فضلا عن ذلك تنزع قطاعات بعينها في المجتمع إلى تَبَيَّنَ مقارباتٍ للجسد تستجيب لأوضاعها الاجتماعية. " وعلى غرار ذلك فإن الجسد فوق كل ذلك كناية عن المجتمع ككل." ¹

هذا يعني أنه في وقت الأزمات الاجتماعية، حين تتعرض حدود وهوية المجتمع للخطر من المرجح أن يكون هناك انشغال بالحفاظ على الحدود الجسدية القائمة وعلى طهرانية الجسد. ² وهذا ما ينطبق على معركة الحجاب سواء في فرنسا، حيث أن الخمار أصلُ عملية

¹ Douglas. m. **Natural Symbols. Explorations in Cosmology.** The Cresset Press. London.1970. P.71.

² Douglas. m. **Natural Symbols..** P.72.

التمثّل الاجتماعي ونوائه المركزية التي تعطي المعنى الثقافي والقيمة لباقي عناصر الحجاب لذلك مُنع الخمار في أماكن الدراسة والعمل لأنه يمثل نواة دلالات الحجاب.

وفي العالم العربي حيث العملية تجري على العكس من ذلك " لأن النواة المركزية في التمثّل لها مقاومة شديدة للتغير " فنلاحظ بقاء الخمار وتحولاً في شكل وكيفية التحجب بما يسمح به النسق المحيطي من أجل التكيف والاندماج مع مختلف الفاعلين الاجتماعيين. في ظل الاحتكاك الحضاري والتنوع الثقافي والتغير الحاصل في المجتمعات.

لا تُعدُّ أنثروبولوجيا - دوفلاس - بهذا المعنى المحدد أنثروبولوجيا في الجسد. بل أنثروبولوجيا المنزلة والطبقية الاجتماعية. فوفقاً للموضحة يصبح الجسد مشروع عدد متزايد من القطاعات ثمة نزوع شطر الانشغال بعولمة الجسد. إذن فمفادُ المبدأ العام في أعمال - دوفلاس هو أنّ الجسد الاجتماعي يقيّد كيفية إدراك الجسد الفردي (المادي).

1-3 المقاربة البنائية لميشيل فوكو:

تُعدُّ أعمالُ الفيلسوف الفرنسي - ميشيل فوكو - " المقاربة البنائية - التي تتجاوز كثيراً اعتبارَ الجسد مستقبلاً للدلالات الاجتماعية؟. فعند فوكو الجسد لا يحصل فحسب على دلالات عبر الخطاب بل هو مشكل كلية عبر هذا الخطاب".¹

يكاد مفهوم الخطاب يتطابق مع مفهوم أنماط وأساليب التنشئة الاجتماعية والتي بدورها تتغير بالتغير الحاصل في المجتمع ككل. " فعملياً يتلاشى الجسد ككيان بيولوجي ويصبح نتاجاً مشكلاً اجتماعياً طبعاً بشكل غير محدود".² كما تتميز مقاربة فوكو للجسد أولاً بانشغال مكثف بالجسد وبالمؤسسات التي تتحكم فيه. وثانياً برؤية إبستمولوجية في الجسد بوصفه

¹ كرس شلنج، الجسد والنظرية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 108.

² كرس شلنج، نفس المرجع، ص 108.

ناتجا وكيانا قائما في الخطاب.¹ ونركز في دراستنا هذه على الخطاب الديني والسياسي، والخطاب هو المفهوم الأكثر أهمية في أعمال "فوكو". والجسد مهم عند "فوكو" لدرجة أنه يصف أعماله على أنها تشكل "تاريخ الأجساد". ويعتبر الخطاب فئة من المبادئ التحتية المدمجة في شبكة دلالات تؤسس وتنتج وتكرس علاقات بين ما يمكن رؤيته وقوله والتفكير فيه.² ما من سلطة إلا وتقوم على أساس جسدي (النظام الاجتماع يولد أجساد خاضعة ومطبعة)، وكل سلطة تجعل من الجسد رهانها وهدفها، تقوم بتوظيف سياسي للجسد، من إرغام وحرمان وفرض وتحريض وعقاب.

السلطة عند ميشال فوكو، لا تتحصر في المجال السياسي، بل أنها منتشرة في كل المؤسسات والعلاقات الاجتماعية، في الحضارة والمدرسة والعائلة، والسلطة موجودة في أيديولوجيا تبرر وجود تلك المؤسسات، إذ مرتبطة بالمعرفة ويقول فوكو: نحن الآن على وشك التضحية بأنفسنا من أجل كذبتنا الكبرى، الوهم بأن المعرفة موجودة بمعزل عن السلطة³ فالسلطة روضة عبر التاريخ الجسد باسم الإله والدين، عن طريق وسائل الرغيب والترهيب.

كما جلب تطورُ الحداثة معه تحولاً في الفضاءات الاجتماعية التي يشغلها الخطاب. ونخصُ هنا بالذكر المؤسسات الإعلامية (الفضائيات) والتي تملك التأثيرَ الأعظمَ في تشكيل الأفراد. اشتمل هذا التحول على تغيير في الهدف، وفي موضوع ونطاق الخطاب. ويتضح تحوّل هدف الخطاب من "الجسد بوصفه لحما ودما إلى "الجسد المعقلن"

¹ Foucault. M. **The Archaeology Of Knowledge**. Tavistock. London. 1974. P .101.

² Dreyfus. H. and Rainbow .Michel Foucault. Beyond Structuralism. And Hermeneutics. Harvester.Brighton.1982. P99.

³ Michel Foucault. **Histoire de sexualite**. Biobliothèque histoires. 3 vols. Paris.1984. p70.

تكاد رؤية - فوكو - في الجسد تدور حول مسألة العلاقة بين الطبيعي والاجتماعي. وتعرض المقاربة الطبيعية على أنه "مادة الحياة الاجتماعية الخام. وعلى حد تعبير (فيس) " أن الجسد مفصل ثقافيا دائما، إذ أنه لا يوجد إطلاقا في وضع محض أو غير مُقَنَّ. "¹

هكذا يؤكد فوكو على دور المجتمع في الجسد إلى حد يجعل الجسد يختفي بوصفه ظاهرة تتطلب بذاتها تقصيا تاريخيا مفصلا. إنه حاضر بوصفه موضوعا للنقاش، لكنه غائب بوصفه موضوعا للتحليل. ولأن الجسد هو ما يشكله الخطاب فإن الخطاب عوضا عن الجسد هو الذي يحتاج إلى تحليل وفق رؤية فوكو. والخطاب يتجسد في دراستنا هذه في المؤسسات السياسية والإعلامية التي تريد التحكم في الجسد الأنثوي واستخدامه، سواء المناهضة له أو الداعية الى الحجاب على حد سواء.

1-4 المقاربة الرمزية لبيار بورديو Pierre Bourdieu:

يثير مفهوم - بورديو - للجسد بوصفه نوعا من رأس المال المادي إلى شيوع عملية تسليع الجسد، وهو موقف يربط هويات البشر بالقيم الاجتماعية التي يحصلون عليها بسبب حجم وشكل ومظهر أجسادهم. في المقابل يبين "إلياس" كيف أصبح الجسد بشكل متصاعدا فردانيا، بسبب الصراع الذي يحدث داخل الجسد الواحد ومتطلبات التحكم في العواطف بحيث نبذل المزيد من الجهد في مراقبتها، وترويضها والعناية بمظهرها."²

تتمثل السوسيولوجيا كما أفهمها في تحويل مشكلات ميتافيزيقية الى مشكلات قابلة لأن تُعالج معالجةً علميةً وبالتالي سياسية "³. في تقدم الهيمنة الذكورية باعتبارها ظاهرة طبيعية متجذرة

¹ Fus. D. Essentially Speaking. **Feminism. Nature and Difference.** Rout ledge. London. 1990. P.6.

² كرس شلنج، الجسد والنظرية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 35.

³ Pierre Bourdieu , **questions de sociologie**, Paris, 1980 p45.

على اختلاف الجنسين. إلا أن هذه الهيمنة في الواقع هي نتيجة لصيرورة تاريخية ثقافية قائمة انطلاقاً من قاعدة طبيعية هي الاختلاف الفيزيولوجي بين الذكر والأنثى. وترسخت هذه " الأركيولوجيا الموضوعية في لا شعورنا "1.

تتأكد هذه الهيمنة في نمط التنشئة التقليدية للفتاة حيث يستعمل - بورديو - التقليد القبائلي الذي يعلن عن نفسه باعتباره رؤية مركزية مشتركة بين سائر مجتمعات البحر الأبيض المتوسط، ومن ثمة يبين التفاصيل كيف يُسقط مجتمع ما تشغيل رأسماله الرمزي (الشرف) على التقابل: مذكر - مؤنث، بإعادة تفسير معطيات الحياة الاجتماعية والرمزية بحسب هذا التقابل الأولي. إن سلطة الرجال وشرفهم هما اللذان يقتضيان أن تعمل النساء في المنزل، وهذا يجد تبريره في كونهن ضعيفات غير قادرات على التصدي للأعداء.

تكمن أصالة - بورديو - هنا في قلب العلاقة بين الأسباب والنتائج التي أدت إلى تقديم هذا البناء الاجتماعي كأنه طبيعي. إن الاختلافات المرئية بين الجسدين الذكوري والأنثوي تغدو هي ضامن القيم المصنوعة غير القابل للنقاش. وفي الواقع يعتبر هذا «العمل في تشييد الشأن الرمزي» تشغيلاً لعنف رمزي وكأنه سلوك طبيعي ذلك أنه يطبع النساء والرجال على حد سواء، هكذا تجد النساء أنفسهن تحكين وضعيتهن استناداً لمعايير الإيديولوجيا الذكورية المهمة مُحرضات على انتقاصهن الذاتي وبالاستناد إلى إحصائيات يُظهر - بورديو - إلى أي حد تتبني أغلبهن وبكيفية لا شعورية كلياً وجهة نظر الرجال في تقييم تصرفاتهن، هكذا فإن ثلثي النساء الفرنسيات يُصرحن برفضهن الاقتران برجل يصغرنه سناً مبديات بذلك تعلقهن بعلامات التنشئة الجنسية.

¹ Pierre Bourdieu, *La domination masculine*, Seuil, Coll. Liber, Paris, 1998 .p 150.

يدرس - بورديو - أيضا عوامل الديمومة وعوامل التحول. فإعادة إنتاج القيم الذكورية تدوم في تعدد الأوضاع التاريخية بدعم من المؤسسات التربوية: العائلة بالتأكيد والدولة ودور العبادة، ثم مؤسسات أخرى: الحقول الواسعة المفتوحة في وجه الكفاحات النسوية. في فك المرأة من قبضة الرجل.

يشير مفهوم - بورديو - للجسد بوصفه نوعا من رأس المال المادي إلى شيوع عملية تسليع الجسد؛ وهو موقف يربط هويات البشر بالقيم الاجتماعية التي يحصلون عليها بسبب حجم وشكل ومظهر أجسادهم. إنه يجمع بين هذا وتحليله لكيف أنّ كثيرا من الصراعات التي كانت تحدث بين الأجساد أصبحت تحدث الآن داخل الفرد الجسدي بسبب متطلبات التحكم في العواطف. إنّ هذه العمليات تجعلنا نعيش وحيدين مع أجسادنا بحيث نبذل المزيد من الجهود في مراقبتها وترويض أمرها والعناية بمظهرها.

كما يقول بورديو إنّ "قوة النظام الذكوري تكمن في كونه في غنى عن التبرير"¹. و - بورديو - نفسه يتحدّث عن التبريرية الاجتماعية التي يتم بها الإقناع بالهيمنة الذكورية. والاستغناء عن الكثير من التبرير ناتج عما يسمّيه عالم الاجتماع نفسه بـ "العنف الرمزي" المرتبط بالهيمنة الذكورية، وهو عنف "هادئ ولا مرئي". يجعل المهيمّن والمهيمّن عليه يشتركان معا في نفس اللغة، ويجعل المهيمّن عليه يرتاح إلى قيده وينجذب إليه وكأنّه واقع تحت مفعول السحر: يجعل النساء أنفسهنّ يخترن الحجاب ويدافعن عنه .

الأجساد وحدات لم تكتمل وتتشكل من خلال تفاعلها في الحياة الاجتماعية وتطبع عليها سمات الطبقة الاجتماعية، فهي تتطور الأجساد عبر التفاعل بين موضع الفرد الاجتماعي وبيئته وذوقه، وتعمل هذه العوامل على تطبيع وتثبيت العلاقات المختلفة التي تربط

¹ Pierre Bourdieu, *La domination masculine*, Paris, 1998, p15.

الجماعات داخل المجتمع بأجسادهم كما أنها تعتبر أساسية للاختيارات التي يتبناها الأفراد في مجالات الحياة الاجتماعية كافة.¹

وأساس المقولات التصنيفية التي تركز الهيمنة الذكورية لها ارتباط وثيق بثنائية المحسوس والمعقول، حيث تكون المرأة محسوسة والرجل معقولا. هذه الثنائية العتيقة التي نجد تعبيراً عنها في قول محمد بن سيرين: "ما رأيت على امرأة أجمل من شحم، ولا رأيت على رجل أجمل من فصاحة"².

ما زالت المقولة مستمرة إلى اليوم، وما زالت تغذي الدعوة إلى الحجاب للستر جسد المرأة، ولها امتدادات في خطابات مختلفة قد لا تكون دينية بالضرورة. فالأرسوزي يقول مثلا إن "عقل المرأة في جمالها وجمال الرجل في عقله"³ مؤيدا بذلك المنطق الذي يلغي الكائن العاقل في المرأة ويلغي الكائن الجميل في الرجل، ويجعل الحجاب تبعا لذلك مفروضا على المرأة دون الرجل. لأنها تمثل موضع الفتنة والإغراء.

إلى جانب ذلك فالحجاب بمختلف تمثلاته ليس شكلا لحضور المرأة في الفضاء العمومي بل أنه تجسيد لوعي ذكوري لهذا الحضور على حد تعبير عالم الاجتماع الفرنسي - بيار بورديو -. لأن الأمر يتعلق بـ "تدبير" للجسد ومنحه هوية خارج طبيعته وخارج كل حاجاته البيولوجية السابقة الوجود على كل الأشكال الثقافية. وهذا "التدبير" للجسد هو مقدمة ضرورية لتدبير الفضاء العمومي والتحكم فيه. وحتى وإن كان الموضوع يبدو نسائيا فإن للرجال فيه نصيب كبير، فوعي المرأة يصنع الرجل من داخلها لفرض سلطته الذكورية على حد تعبير - بيار بورديو -

¹ Bourdieu، p. Men and machines.in K. Knorr- Cetini and A.V. Eds.1981. P.98.

² ابن عبد ربّه : العقد الفريد، ص246، موقع الوراق.

³ لأرسوزي : الأمة والأسرة، بدون سنة ، وبدون دار نشر، ص310.

1- 5 الاقتراب المسرحي وإرفين جوفمان Erving -Goffman:

أعمال جوفمان هي المؤثر الأكبر في رؤى البنائية الاجتماعية في الجسد لقد تمفصل وضع الجسد في التفاعل الاجتماعي عبر أعماله في السلوك في الأماكن العامة والخاصة وفي عرض الذات. وأكد على أن ترويض الجسد أساسي في الحفاظ على المواجهات. ويتوسط الجسد أيضا علاقة هوية الفرد الذاتية بالهوية الاجتماعية.

يعد الجسد مركزيا بالنسبة إلى أكثر وحدات نظام التفاعل الأساسية في أعمال جوفمان. كما تبدو أعماله أكثر تأكيدا على الجسد كمكمل للفاعلية البشرية. وجوفمان مهتم أساسا بكيف يمكن الجسدُ الناسَ من التدخل وإحداث فرق في سير الحياة اليومية. غير أن الأفراد المتجسدين ليسوا مستقلين في أعماله وتحليله للمفردات المشتركة في التعبيرات الجسدية" (أو الصور المتعارف عليها للغة غير لفظية) التي ترشد إدراك الناس للمظاهر والأداءات الجسدية، وتوضح القيود الاجتماعية التي يتم ترويض الجسد في سياقها، وفق أنماط التنشئة الاجتماعية. كما تتركز مقارنة جوفمان للجسد على جانبين:

أولاً: ثمة رؤية في الجسد كخاصية يختص بها الأفراد. حيث يجادل جوفمان بأن الأفراد قادرين على التحكم ومقاربة أداءاتهم الجسدية على نحو يسهل عملية التفاعل الاجتماعي. وهو يظهر في أعمال جوفمان كمصدر يشترط ويمكن الناس من ترويض سلوكياتهم ومظاهرهم. وهنا نشير إلى هامش الحرية الذي تمتلكه الفتاة في ظل التنشئة الذاتية. الذي تستطيع من خلاله تحسين مظهرية حجابها وفقا للموضة ومتطلبات الحياة العصرية.

فالجسد ليس منتجا تماما من قبل القوى الاجتماعية، كما في أعمال فوكو فإن دلالات الجسد لا تخضع لتحكم الأفراد المباشر. والتعبيرات الجسدية شكل متعارف عليه من أشكال الاتصال غير اللفظي ويشكل أهم مكونات السلوك العلني. إنه يُستخدم من قبل جوفمان

بمعنى عام للإشارة إلى "اللباس، الحركة، مستوى الصوت، الإيماءات الجسمية من قبيل التلويح والتحية، ملامح الوجه، والتعبيرات العاطفية العامة"¹

ثانياً: عند **جوفمان** الجسد يقوم بدور مهم في توسط العلاقة بين الهوية الذاتية والهوية الاجتماعية. فالدلالة الاجتماعية التي تعزى لأشكال وأداءات جسدية بعينها والتي يتم استيعابها تؤثر كثيرا في إدراك الفرد لنفسه ومشاعره بخصوص قيمته الداخلية-الجسد القابل للترويض-غير أنه تجدر الإشارة إلى أن **جوفمان** يميل إلى افتراض وجود رابط أوثق مما يجب بين هوية المرء الاجتماعية الافتراضية وهويته الاجتماعية الواقعية. ويحوز تحليل **جوفمان** لنظام التفاعل أهمية كبيرة نسبة إلى فهم الجسد القابل للترويض بسبب الرؤى التي يعرضها في كيفية تحكم الأفراد في أجسادهم ومراقبتها. أيضا لديه الكثير من الأفكار القيمة فيما يرتبط بالعلاقة بين الجسد، والهوية الذاتية والهوية الاجتماعية. عند **جوفمان** " يقوم الجسد بدور مهم في توسط العلاقة بين الهوية الذاتية والهوية الاجتماعية التي تعزى لأشكال سلوكيات جسدية بعينها يتم استيعابها وتؤثر كثيرا في إدراك الفرد نفسه ومشاعره بخصوص قيمته الداخلية."² وفي دراستنا هذه نرى أن الخمار يعكس الهوية الاجتماعية للفتاة بينما باقي الملابس تعكس الهوية الذاتية أو الفردية للفتاة. لأن غطاء الرأس هو الثابت ويمثل المركز في رمزية الحجاب وانما شكل ولون باقي اللباس متغير، يتحكم فيه الذوق وبنية الجسد وما يلائم المرأة من الثياب. إن ترويض الجسد أساسي لانسيابية المواجهات وتمثيل الأدوار وبوجه عام لقبول المرء بوصفه عضوا كاملا في النظام التفاعلي. وفي أعمال **جوفمان** يعد هذا القبول حاسما لهوية الفرد الذاتية بوصفه كائنا بشريا مقتدرا يحمل قيمة. وكما يقترح تحليل **جوفمان** للشعور أنه ينزع الواحد منا إلى إدراك جسده كما لو أنه ينظر في مرآة تعكس صورةً مشكّلةً وفق رؤى المجتمع ومحاباته .

¹ Goffman. E. Stigma. Notes On The Management Of Spoiled. tity . Penguin. London. 1990. .35-33

² كرس شلنج، الجسد والنظرية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 118.

المبحث الثاني: الحجاب وعالم الموضة

الجسد في ثقافة الاستهلاك أصبح بشكل متصاعد مركزيا وأعان على تكريس - الذات - التي تعامل الجسد كآلة يتوجب شحذها، والعناية بها وإعادة تشكيلها وعرضها بعناية بممارسة الرياضة وانتقاء الألبسة.¹ كما أنه أصبح الجسد في ثقافة الاستهلاك يقدم نفسه قابلاً للعرض داخل وخارج غرفة النوم.²

إن الموضة تمتلك رهاناً قوياً في المشهد اليومي، وهي تستلزم "رصداً" مختلفاً، اعتباراً للاحتشام في التعاطي العلمي معها، يظل التعامل معها بعيداً عن الرصد السوسيولوجي، إذ يتم اعتبارها في أفضل الأحوال مُروفاً اجتماعياً. وظاهرةً هامشية.

وثمة قيدٌ آخر يرتبط بظهور الجسد بوصفه مشروعاً يتعين في تسخير الصور الفردية للجسد المرغوب فيه، في إجحافٍ اجتماعي - عنف رمزي - وفي هذا الخصوص تبدو الطريقة التي أصبح بها مشروع الحجاب انعكاساً لتصميماتٍ وتخيُّلاتٍ ذكورية وليس تأكيداً لفردانية المرأة. ففي العقود الأخيرة أصبح الناس أكثر انشغالا وبشكل متزايدٍ بمظهر وحجم وشكل أجسادهم، وقد تم تشجيع هذا من قبل مركزية الجسد في ثقافة المستهلك.³

نشير هنا إلى فكرة الهيمنة الذكورية عند - بورديو - كما أنّ التمثيلَ وعرضَ الأزياء الذي يشجع النساء على تغيير أجسادهن لا يتم إلا وفق تصور الذكور للجمال. وحضور المرأة بحجاب الموضة في الفضاء العمومي، وفي النهاية هو من صنع الرجل وإرادته.

¹ كرس شلنج، الجسد والنظرية الاجتماعية، مرجع سابق، ص 60. بتصرف.

² Featherstone. M. The body in Consumer Culture. Theory culture and Society. 1982. P. 20.

³ Featherstone. M. The body in Consumer Culture. Theory culture and Society. 1982. p22

1-2 مفهوم الموضة:

حركة الموضة واحدة من الحركات التي لها علاقة وطيدة بالبُنى الاجتماعية والتغير الاجتماعي الحاصل في كل ميادين المجتمع الحديث في قيمه ومعاييره وتقاليده وأنماط سلوكه واستهلاكه وآدابه العامة وعُرفه وملابسه. والواقع يعكس ذلك. فالملابس والأزياء غَنِيَّةُ الدلالة من حيث المكانة الاجتماعية ودرجة النفوذ واتجاه التدين، والذوق الذي تمتد جذوره في المشاعر والجوانب النفسية.

تعد موضة اللباس من أكثر الموضات انتشاراً وتحطيماً للقواعد الاجتماعية والأكثر تقلباً، ما إن تظهر صيحةٌ جديدة حتى تطيحَ بها صيحةٌ أخرى بسبب العدوى الاجتماعية التي ترافقها. والنساء أكثر استسلاماً من الرجال لتعاليم الموضة المتواترة بلا انقطاع ذلكم ما اهتدت إليه أغلب الدراسات التي تصدت للظاهرة وفق تخصصات معرفية مختلفة.

" تعبر الموضة عن نواحي وأنماطٍ ثقافية غير منطقية ومؤقتة من السلوك وتميل إلى التواتر والتكرار في المجتمعات لتدلّ على المكانة، والتي يسعى أعضاؤها للحصول على الإعراب عن الذات عن طريق تقليد الصفوة، ولا تقتصر الموضة على الملابس، بل تمتد إلى المحادثات ووسائل قضاء وقت الفراغ، وأنواع اللعب والفن... الخ وليس هناك إنسان أو نشاط لا يتأثر بها"¹

"غالباً ما يرتبط مصطلح الموضة في الاستخدام الحالي للغة ارتباطاً مباشراً بطريقة اللبس أو تصفيف الشعر، أي بكيفية إبداء المظهر، وأما موضة الملابس فما هي إلا أسلوب للّبس ينتهي بعد فترة قصيرة و يحلُّ محله أسلوبٌ آخر مختلف. و يتكرر هذا التغير بانتظام. والموضات هي الممارسات التي تستسيغها الجماعة و تتقبلها فتنتشر بين الكثير من الأفراد والموضات عادات لا تتصف بالاستقرار والدوام فهي في الغالب قصيرة الأجل سريعة

¹ بدوي أحمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1978 ، ص 55-56.

الزوال¹ وبعد فنائها تتلوها موضات أخرى يقول زميل: "أن الموضة شكل من المحاكاة وعامل من عوامل التباين الاجتماعي فهي توجد بين الذين ينتمون إلى طبقة اجتماعية معينة كما أنها تفصلهم عن غيرهم من أعضاء الطبقات الأخرى"² شهدت الموضة تغيرات عدّة على مرّ الزمن، ولن نتوقف التغيرات في المستقبل أيضاً، ويلاحظ هذا بوضوح في طريقة الملابس.

إن عبارة موضة توحى أول ما توحى في الذهن إلي التنوع في الملابس والواقع أن الموضة لا تقتصر على ملابس النساء أو الرجال فحسب بل إنها ظاهرة تحدث في ميادين كثيرة منها ميادين الأدب والدين وهندسة البيوت وتأثيرها وما شاكلها إلا أن عبارة موضة أصبحت لصيقة بملابس النساء لأن الموضة في هذا الميدان أوضح وأعمّ وأسرع تغييراً؟ فالموضة هي من أهم مميزات المجتمع الحديث فهو مجتمع موضة والواقع أن الموضة هي أسلوب ووسيلة ومظهر من مظاهر التغير الاجتماعي في المجتمع الحديث³

2-2- دورة حياة الموضة:

"إن المجتمع الإنساني بطبيعته مجتمع متغير، لا يمكنه على حالة أو وضع ثابت فالتغير يعد من الحقائق المتأصلة في طبيعة المجتمع. هكذا تتوالى الأجيال بعضها في أعقاب بعض حيث يتناول الجيل اللاحق التراث الاجتماعي والثقافي والحضاري عن الجيل السابق يتناوله بالتعديل تارة وبالإضافة تارة أخرى بحيث ينتهي تعاقب الأجيال إلى تغيير المجتمع الإنساني في الكثير أو القليل من خصائصه".⁴ كما أن الملابس

¹ - فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 1980. ص104.

² - عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، القاهرة، 1990، ص185.

³ - حاتم الكعبي، التغير الاجتماعي وحركات المودة، دار الحدّثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1982. ص بتصرف.

⁴ - صالح علي الزين، زينب محمد الزهري، قضايا في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1996، ص13،14.

لا تثبتُ على حال، خصوصا ملابس النساء فإن أشكالها وألوانها لا تنتهي قد تطول وقد تضيق وقد تتسع، وللفصول الأربعة أزيائها المتشابهة وغير المتشابهة، وللسهرات ملابس وهناك سباق مسعور بين محالّ الأزياء لتقديم صيحات جديدة تستهوي النساء".¹

هناك عادات مستحدثة تكون في شكل موضات أو تقاليع، والبدع من الظواهر المحدودة الانتشار في حين أن الموضات من الظواهر التي تنتشر في المجتمعات الحديثة وليس معنى ذلك خلؤ المجتمعات البسيطة منها. والموضات تنتقل انتقالاً أفقياً من جماعة إلى أخرى بعكس التقاليد التي تنتقل انتقالاً عمودياً من السلف إلى الخلف، وعادة تنتقل الموضات من المستويات الأعلى إلى الأدنى ومن المدن إلى الريف.

كما تتصف الموضات بأنها وقتية وعابرة لأنها تمس في الغالب الشكليات والكماليات ولا يعني هذا أن الموضات كلها عادات اجتماعية ضئيلة الأهمية فهي شكل من أشكال الإرادة الاجتماعية وهي لاحقة للتفكير والشعور والعاطفة لذلك فهي وسيلة من أنجح الوسائل للتجديد والتطوير فيما يتعلق بأسلوب حياة الناس، وهناك موضات صالحة تُسهّل علينا أمور الحياة وتقيدنا دون أن تمس قيمنا الاجتماعية الأصيلة، وهناك موضات تؤدي إلى الفساد وهي من العادات السيئة التي يجب تغييرها.

نرى أيضا في وقتنا الحاضر أن اللباس أخذ يتبع دستوراً معيناً ينظمه ويضبطه في كل موسم وهذا ما يسمى بالموضة وتعتبر بمثابة القاعدة التي يتبعها الناس".² كما أن للموضة أيضا دورة حياة كما لكل المخلوقات دورة حياة فهي تولد وتعيش وتموت. أن دورة حياة الموضة قصيرة جدا فهي لا تدوم طويلا ويتم تحديد عمرها من قبل مُصنّعيها (صناع الموضة) المصممين و الشركات المهيمنة على الأسواق التجارية وتعيش وتتغذى على مستهلكي

¹ - محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الرائدة والوافدة، دار الشروق، (د.ن)، ص192-193

² - علية عابدين، دراسات في سيكولوجية الملابس، ط1، دار المسيرة، عمان، 2008، ص73.

الموضة: الأفراد الذين شُغلهم الشاغل ارتداء ثياب المصممين وتقليد المشاهير ومن ثم تموت الموضة عندما تُصدر تشكيلة جديدة من التصاميم تخبر المجتمع أن ما ارتدوه أصبح قديماً وهذه هي الثياب التي يجب أن تُرتدى.

يتبلور الّولع بالموضة من خلال انجذاب الناس وخضوعهم لمؤثرات وسائل الدعاية والإعلان وافتتان الآخرين بها، الأمر الذي يجعلهم يستحسنون اقتناء تلك الموضة الجديدة. وثمة حقيقة في هذا الخصوص مفادها أن قيمة الموضة الجمالية والمالية تكون عاليةً في بداية الأمر (الظهور) إلا أنها تختفي تدريجياً كلما ازداد إقبال الناس على اقتنائها، ومع مُضيّ الوقت تتلاشي قيمتها وبالذات عندما تظهر موضة جديدة وهنا يصبح ما كان جديداً قديماً لا يثير اهتمام الناس حتى يصل تأثيرها على الناس إلى نقطة الصفر ويتلاشى فعلها في عملية تغيير ذوقهم فيها¹

2-3 اختيار الملابس وتقدير الذات:

"تعتبر الموضة من أهم مصادر التغيرات الاجتماعية النوعية التي تعكس وّلغ الناس في ابتكار واقتناء حاجياتٍ تشبع رغباتهم الذاتية - الذوقية - الجمالية اليومية من أجل تجديد معنوياتهم"²

يقول المثلّ الفارسي "مظهر الإنسان عنوان لما بداخله"، وتقول العرب: - الحلية في الظاهر دليل على ميل في الباطن- وعلى هذا فإن وظيفة الثياب لا تنحصر في تدفئة الجسد أو حمايته أو حتى إضفاء الجمال عليه فقط، بل تعكس أيضاً موقفاً شخصياً أو تعبر عن إحساس معين بالحياة. وعلى هذا فإن الملابس ولا سيما ألوانها و خاماتها وتفصيلاتها قد تعبر عن حالة الإنسان، إذ يرتدي الناس مثلاً ملابس سوداء في حالات الوفاة لبعض

¹ - معن خليل العمر، التغيير الاجتماعي، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ص30.

² معن خليل العمر، نفس المرجع، ص75.

الوقت، وقد يدل المظهر الخارجي للإنسان كذلك على وظيفته أو يوضح نوع العمل الذي يقوم به في وقت ما، فغالباً ما يرتدي الأطباء والممرضات ملابس بيضاء، وما يرتديه موظفو الشرطة والدرك فما يلبسه هؤلاء يختلف عن المواطن العادي حتى يتميز بمهنته.

للملابس دور هام في حياة الفرد، فهي تعكس فكر الفرد عن ذاته وعن شخصيته. كما تعتبر وسيلة تعبير جمالية وفنية، فهي تساعد على إخفاء عيوب الجسد وإبراز محاسنه... ويتوقف اختيار الفرد للملابس على مجموعة عوامل منها احتياجه، قدرته المالية وسنه ومركزه الاجتماعي طبيعة عمله الظروف الجوية التي يعيش فيها، وعلى ما يؤمن به من قيم ومعتقدات.....

كما يتأثر ذوق الفرد في اختيار ملابسه بالموضة وبذوق من يعتبرهم مثله الأعلى ومن يحبهم ويحترمهم من أفراد، إلى جانب ذلك وسائل الإعلام والدعاية التي تلعب دورا هاما في قيادة الناس وتوجيههم لما يختارونه من ملابس.¹ " والنزعة الفردية أدت إلى اكتشاف الجسد في الوقت الذي أكتشف فيه الفرد أنّ الجسد بطريقة ما هو ما يبقى عندما نفقد الأشياء الأخرى."² كما أن اللباس أيضا يساعد على التماهي بالآخرين، نصبح كالأخرين من خلال لباسنا، نغير صورة وضعية الجسد التي نعرفها باتخاذ صورتهم.³

ومن منا لم يتأثر بالموضة عند اتخاذ إحدى قراراته الشخصية المتعلقة مثلا بشراء الثياب أو نظارات طبية أو أثاث أو سيارة... الخ. فقد أصبحت الموضة تلعب دورا كبيرا جدا في حياتنا ككل. ليس فقط كما هو معروف مع الأزياء و إنما في المجتمع ككل فهي أكبر دليل على مبدأ سيادة المظاهر الخارجية على حقيقة الإنسان.

¹ - عليه عابدين ، دراسات في سيكولوجية الملابس، مرجع سابق.ص83.

² دافيد لوبروتون، أنثربولوجيا الجسد والحدأة، تر: محمد عرب صيلا ، ط2، لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان 1997 ص23.

³ مي خيران ، الموضة لغة الجسد ، تر: هشام الحاجي ، (الجسد نصوص مترجمة) ،ص36.

فالموضة هي التي تحدد ماذا ينبغي أن يرتدي الفرد في هذا الموسم بأدق التفاصيل كمثال الألوان ونوع ساعة اليد و التصاميم الخ. وبالتالي عند عدم إتباع الفرد هذه المقاييس أو المعايير (المزيفة) سيشعر بالاغتراب وبنوع من الإقصاء الاجتماعي عن باقي أفراد المجتمع المنتبعون لها. لقد انتشرت ثقافة الموضة بالدرجة الأولى عن طريق الإعلام باستخدام الإشهار من أجل أن يألفها الإنسان وتكون جزءاً لا يتجزأ من حياته اليومية. فكثير منا يعتقد بأن المظهر الخارجي هو الجمال (والذي يعتبر سلاح الموضة) وأنه يعبر عن جمال الإنسان الداخلي وهذا التباس (خلط) ما بين الصورة والحقيقة. فلأسف هذه هي إحدى الأمراض الاجتماعية وهي عدم معرفة معنى الجمال و بالتالي عدم معرفة كيفية التجمل وتوظيف الجمال.

3-3 آثار و مشكلات الموضة:

إن الموضة مظهرٌ من مظاهر التغير الاجتماعي، وعاملٌ مهمٌ من عوامل هذا التغير. إنها تتحدى كثيراً من الجوانب الثقافية كقيم ومعايير السلوك تحدياً تدريجياً يجعلها نشازاً بمرور الزمان ومن ثم تصبح الحاجة الماسة لتغييرها وتبديلها بغيرها إقرار بعض التوازن والانسجام في الإطار الحضاري والاجتماعي بوجه عام.

الموضة كما هو واضح في حياة المجتمع الحديث، تؤدي إلى نشوء مؤسسات اجتماعية جديدة وإلى انهيار أخرى كانت ضرورية لإشباع مستلزمات موضة أخرى سابقة في ميادين الملابس والفكر والفلسفة والفن والتسلية والتأثير وعلى سبيل الذكر لا الحصر اندثار الصناعات النسيجية التقليدية في بلادنا بسبب تطور صناعة الأزياء في الغرب على حد قول العبارة الشعبية السائدة (شافت الضيف طلقت مول الخيمة). هذا إلى جانب جملة أخرى من المصائر أهمها وأشدّها انعكاساً على المرأة وعلى المجتمع والواقع هي أن كل تغير يطرأ

على جزء أو وجه من هذا الكل أعني: (المجتمع، الحضارة، الشخصية). فإنه يكون ذا آثارٍ بعيدة في كل الأجزاء الأخرى في علاقتها ببعضها البعض¹

إن الموضة في النهاية تنطوي على الكثير من التناقضات فهي تُؤد وتقرز التضاد في الآن ذاته وهذا ما يجعلها مفرزة للكثير من المشاكل التي تتجاوز الفردي إلى الجماعي الذي يمس النظم والقيم والمعايير، وهذا ما يجعلها تحارب من طرف الكبار خصوصا وأنها من بين العوامل المسؤولة على تعميق الهوة بين الأجيال فيؤدي في النهاية إلى صراع مُعلن ومُضمر يجد امتداداته في الاتهامات الموجهة للشباب والتي تصفه بالقصور والتهور والأخرى التي تلتصق بالكبار والتي تتمحور حول التخلف عن الركب وعقدة الماضي وما إلى ذلك من تبادل للثُهم، التي تعبر عن أزمة عميقة في المستوى تجعلنا نناقش سوسيولوجيا الموضة في مختلف أبعادها. وسنحاول هنا حصر هذه الأضرار في ثلاث مفاصل رئيسية:

3-3-1 المشكلات الحضارية:

- أ- الخروج عن المعايير والقيم المتعارف عليها في السلوك وتعرض الخصوصية الرمزية إلى التفكك والانحلال وإشاعة التضارب والتعارض بين أجزائها المتماسكة.
- ب- ضرب التراث الثقافي من قبل الأجيال المتصاعدة والتشكيك في صلاحيته مما يهدد الوحدة التاريخية والحضارية. يرى بعض المفكرين أن الموضة تحل محل الأخلاق في المدن والحضارات المتخلفة.

3-3-2 المشكلات الاجتماعية:

- أ- تفكيك وشق المجتمع إلى جماعات مختلفة وخلق صراع في ما بينها من جراء تفاضلها في التعلق بالقيم الحضارية والاجتماعية المختلفة والمتضاربة في كثير من الأحيان.

¹ - حاتم الكعبي، التغيير الاجتماعي وحركات المودة ، مرجع سابق ، ص 77 .بتصرف.

ب- ما تتفقه النساء من مبالغ خيالية في استهلاك آخر صيحات الموضة واستعمال مستحضرات التجميل، أو إحضار آخر الموديلات؟ والذي يُثقل كاهل الزوج. و ربّ الأسرة في المصروفات، من أجل اللهاث وراء الموضة والتقليد؟

ت- تفكك الأسرة : بسبب الأسعار الباهظة لهذه الملابس تُكثر الصراعات والخلافات داخل البيت بين الأزواج . وربما بعض الفتيات تضطر لتتخذ صديقا(يكون مرفه) بالعبارة العامية (ميسور الحال) ليكون هاتفها المحمول على الموضة وكذلك حقيبة اليد وكلّ ملابسها حتى وإن كان ذلك على حساب شرفها في بعض الأحيان.

المبحث الثالث: الحجاب وسوسيولوجية الاستهلاك

1- مكانة الجسد في مجتمع الاستهلاك:

بعد التعريف بموضة الحجاب وميادينها وبعض المشكلات والأضرار الناتجة عنها نحاول في هذا المبحث استعراض بعض الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية العميقة المتعلقة بالموضة. لقد كانت الحضارة قديما تُنتج للإنسان ما يحتاج إليه، ومع التطورات التقنية والتكنولوجية أصبحت تنتج له ما يريده، والآن هاهي تنتج له ما تريده هي. من أجل أن يحافظ النسقُ الرأسمالي على استمرار وجوده. فالإنسان المعاصر ينفق ثلاث أرباع دخله المادي في ميزان الكماليات- كفاتورة الهاتف النقال، والأكلات السريعة في الشوارع. وأزياء الموضة، وأنواع الماكياج... الخ فالحضارة تفرض أنماط من الاستهلاك تُرهق كاهل المستهلك لذلك يقول المثل الشعبي:- من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه -

يشير بودريار، في كتابه "مجتمع الاستهلاك"، إلى مفارقة غريبة في تاريخ تحكم المؤسسات بكل أشكالها في السلوك الإنساني وترويضه وتوجيهه وفق غايات ليست غريبة عن السلطة وطريقتها في إدارة المجتمع وهوامشه. فعبر هذه المؤسسات "حاولوا زمنا طويلا إقناع الناس - دون جدوى - أن لا جسدَ لهم. أما الآن فيحاولون بجميع الوسائل إقناعهم بضرورة الالتفات إلى أجسادهم والاعتناء بها"¹. وغرابة هذا الموقف هي التي تؤكد عكس ما قد يتصوره البعض "أن بدهاءة الجسد لا يمكن أن تتسببنا أنه واقعة ثقافية"² قبل أن يكون كتلة من اللحم والشحم. "فعلاقة الناس بأجسادهم تعكس، في كل الثقافات، نمط علاقاتهم بالأشياء المحيطة بهم، كما تحدد نمط علاقاتهم الاجتماعية"³. إن الكشف عن كل أسرار الجسد أو التستر على خباياه يؤكدان قوة حضوره في كل حالات التواصل الإنساني، بل يؤكدان

¹ - J Baudrillard: La société de consommation, éd Folio, 1970, p200

² - Ibid., P. 201..

³ - J Baudrillard: -Ibid., P.p202.

أيضا أهميته في بلورة مجموعة كبيرة من المعايير التي تعتمد عليها التصنيفات الاجتماعية المسبقة: حالات اللون أو الثوب الدال على الانتماء إلى ثقافة بعينها. أو طبقة بعينها أو حتى جماعة بذاتها يضاف إلى ذلك تلك العلوم التي بنت معاييرها في الحكم على الناس وتحديد أمزجتهم وميولاتهم استنادا إلى تفاصيل الوجه وشكل اللباس ولونه .

2- ثقافة الموضة في سوق الاستهلاك:

المذهل أن الاستهلاك للسلع الكمالية يمثل استنزافاً لثروة المجتمعات، لأن قيمة هذه السلع تذهب إلى الشركات المستثمرة. ولنأخذ نمط أنواع الألبسة الفاخرة جداً والتي نجد فيها ارتفاعاً في السعر يتزايد بتزايد محلات بيعها وكأن هناك سباقاً محموماً للمناظرة بين من سيشتري بالسعر الأعلى أو حتى تغليفها ببعض الماركات المشهورة في الأزياء، اليوم يبتكر النظام الاستهلاكي رموزه وطقوسه وآلهته كذلك. أي أسطوره وتسوَّق هذه الأسطورة إعلامياً وثقافياً، ومن خلالها يجري تقنين الحاجات والرغبات والأذواق والقناعات. وما يحصل هو بهرجة وتنوع ووفرة ، مع إفراغ كل شيء من المعنى.

فالأفراد مشاريع لكل ما تقتضيه الإستراتيجيات العاملة في مؤسسات الهيمنة والسيطرة والتحكم. - على حد تعبير ميشال فوكو- إن المجتمع الذي يدّعي أنه ديمقراطي يسعى من خلال آليات صيرورته إلى تجريد الإنسان من هاتين الخاصيتين اللتين هما دعامة أية ديمقراطية، أي الإحساس بالتفرد والحرية. فمن يختار الحرية والتفرد يُصور كحالة شاذة ومنبوذة، لأنه وقف وربما من دون أن يدري ضد إيديولوجيا المجتمع الاستهلاكي، وموجهاته الخفية، "فالرفض الفكري والانفعالي للامتثالية يبدو وكأنه علامة عُصاب وعجز"¹. وساعدت صناعة الصور على ترسيخ ظاهرة الموضات في الحقول كافة.

¹ - هربرت ماركوز، الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابيشي، ط3، دار الآداب، بيروت، 1988، ص41.

ما عاد الاستهلاك قيمةً ينبغي تعميمها لأجل الربح فقط، بل غداً بآلياته الناجعة الوسيلة الأساسية للمؤسسة الرأسمالية في عمليات الضبط والتحكم والرقابة أيضاً ولهذا يسعى الإعلام الحالي إلى عولمة الاستهلاك قيمة وسلوكاً، فأنت إنسان عالمي متحضر بقدر ما تنفق على ما يوجهك إليه الإعلان.. إن الاستهلاك المعمّم هاهنا يبذل قناعات الفرد ورؤيته إلى نفسه وإلى الآخرين وإلى الأشياء.

إنك لا تختار بوحى إرادتك.. إنه الإعلان والإعلام الذي يوجهك في الاختيار. وإذا ما أدركنا دوافع الإعلان التجارية والسياسية أمكننا الاستنتاج بأنّ النظام الإعلامي قادرٌ بإستراتيجياته وآلياته على تسيير الإنسان وفق مقتضياته وأهدافه البعيدة. كانت المجتمعات القديمة تنتج أساطيرها لتؤمّن التحكم بأفرادها، وتحقق توازنها في الداخل، ومع الخارج. والمجتمع الاستهلاكي المعاصر يتحول إلى أسطورة، ولهذا فهو ليس بحاجة إلى إنتاج الأساطير حسب ما يؤكد بودريار:

" فكل الوظائف والحاجات قد وُضعت واستُعملت لأغراض الربح، حيث تمسرح كل شيء، أي تبرمج في علامات ونماذج قابلة للاستهلاك"¹. وما كان لفترة من الزمان حكر على الطبقة العليا يصبح بعد زمن في متناول الجميع فليس هناك أنماط حياة مغلقة واحدة على الأخرى، وموضوعات الأبهة والأزياء التي تبدأ من حاجة الفئة العليا للتباهي والتمايز الاجتماعي تجد أداة لتعميمها في المستقبل كالسيارة والأجهزة الالكترونية. إذ بدون هذا التعميم يفقد المشروع الرأسمالي مصدر مشروعته². وهذا هو أصل الاندماج الثقافي لا باعتباره معطى ناجزاً. بل صيرورة تاريخية ومسعى نحو الوحدة والتكافؤ والتوحيد³. فالعولمة تعمل على إذابة بعض الفروقات بين الطبقات على الأقل في بعض الأشياء

¹ - جان بودريار، المجتمع الاستهلاكي، دراسة في أساطير النظام الاستهلاكي وتراكيبه، تر: خليل أحمد خليل، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995. ص257 - 258.

² - برهان غليون، اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، موفم لنشر، الجزائر، (د.ن)، ص251.

³ - برهان غليون، نفس المرجع، ص 251.

الاستهلاكية التي يأتي في مقدمتها الألبسة فما كان حكر من سنوات قليلة على الأثرياء هو اليوم في متناول حتى الطبقات الفقيرة كالهاتف النقال أو أجهزة الكمبيوتر... الخ.

3- حجاب الموضة وصناعة الاستهلاك:

أصبح عرض الذات معبرا عن شخصية الفرد الحقيقية. لقد ساعد هذا ثقافة الاستهلاك المعاصرة على تكريس خبرة، أن يصبح المرء جسده، بمعنى أن يُماهي نفسه إيجاباً وسلباً بجسده الخارجي وأن يصبح منظماً، قلقاً من أن يخذله جسده إذا لم يوله عناية كاملة.¹ وهو ما فتح الباب أمام صناعة الموضة الإسلامية، ومثل أية صناعة أخرى، تطمح في المقام الأول أن تكون مشروعاتٍ رأسمالية ناجحة ومزدهرة. أدرك أصحاب المشاريع المُحتَكُون مبكراً أن ثمة فرصة كبيرة للريح من تسويق الحجاب. ونظراً لأن التحجب يحمل معاني متباينة لمختلف الأفراد، وأن طريقة ارتدائه تتنوع في مختلف أنحاء العالم، فقد أصبح مدلوله شاغراً، بالإمكان إضفاء معانٍ اجتماعية جديدة عليه، وبيعه بأثمان باهظة. أصبح فهم رغبات الطبقة الوسطى الصاعدة حول العالم وتوفيرها، ومعها رغبات العميلات الخليجيات بالغات الثراء، أصبح وسيلة من يتوسل النجاح من رجال الأعمال لمراكمة الأموال.²

" رُوِّجت صناعة الموضة الإسلامية للمرأة المحجبة على أنها عصرية وتمدنية في آن واحد. وأنها تخيرت الحجاب طوعاً وليس بضغط أو إجبار. كانت تلك المرأة المسلمة هي أيضاً. وبخاصة، التي تستهلك بانتظام وفهم أحدث السلع التي مضت الصناعة الإسلامية البازغة تنتجها وتروج لها (حفلات الزفاف الإسلامية الرقص الإسلامي البنوك الإسلامية). أكسبت صورة المرأة المسلمة العصرية المحتشمة جاذبيةً خاصة، وسرعان ما اتبعتها الكثريرات

¹ Goffman. E. Behaviour in Public Places. Notes on Social Organization. Of Gatherings. The Free Press. New York. 1983. P.50

² سحر عامر، الحجاب: الأصول- التنوعات- التدايعات، تر: فاطمة نصر، ط1، مكتبة سطور الجديدة، مصر، 2014، ص 210.

ورسخت نفسها بثبات بصفتها الإناث المسلمات النموذجيات، والشخصيات الإسلامية التي تروج لها تلك الصناعات.¹

" وفضل نماذج استهلاك النساء المسلمات، أصبحت الموضة الإسلامية اليوم صناعة تقدر بمليارات الدولارات. أدركت فرنسا، بخاصة المكانة المتميزة التي تحتلها في مخيلات الكثيرات من نساء الشرق الأوسط، وقامت بالتوسع في مشروعاتها كي تضمن الحفاظ على ما قدره 30% من بيزنس الرفاهية الذي تحققه بالفعل في منطقة الخليج في اتباع استراتيجيات التسويق وتنمية فرص للبيزنس في البلاد ذات الغالبية المسلمة من أجل أن تتبع آخر ابداعاتها من الخمارات، والحجابات والمكياج ويعد هذا من المفارقات لأن فرنسا كانت البلد الذي حَظَرَ مؤخرًا ارتداء الحجاب والنقاب في المدارس العامة. والمؤسسات الحكومية على أرضه. وكما يردد صنّاع السياسة الفرنسيون، فإنّ بإمكان الحجاب والنقاب أن يهدد العلمانية الفرنسية، إلا أنها مصدر أيضا للثروات التي تريد أن تكون فرنسا شريكا فيها.²

4- عروض الأزياء الإسلامية: حدثت أولى تلك المناسبات في تركيا عام 1992 حيث نظمتها "تكبير جيبم" إحدى كبرى شركات الموضة الإسلامية و التي تُتخذ من أجل جعل التغطية جميلة " شعارا لها .يقوم بعرض أزياء شركة تكبير موديلات (عارضات) تركيا شهيرات عُرف عنهن عروض أزياء السباحة، وملابس النساء الداخلية والملابس العلمانية بأسلوب منتظم، لكنهن شوهدن يرتدين الإيشاريات والعباءات والفساتين الطويلة والبدرات المحتشمة ويستعرضنها في إحدى عروض الأزياء الإسلامية الذي سرعان ما هاجمه كل من المسلمين المحافظين والعلمانيين، إلا أنّ النجاح الكبير الذي أحرزه أدى بالشركة الى تكراره مرارا وبالشركات الأخرى الى محاكاته.³

¹ سحر عامر، الحجاب: الأصول- التنوعات- التداعيات، مرجع سابق، ص 212.

² سحر عامر، الحجاب: الأصول- التنوعات- التداعيات، مرجع سابق، ص 216.

³ سحر عامر، نفس المرجع، ص 229.

خلاصة الفصل:

تقول "سوزان سونتاج" - في كتابها: ضد التفسير - وهو كتاب تؤرخ من خلاله الكاتبة لفلسفة ما بعد الحداثة: إن أكبر تحدٍّ للثوابت والمعتقدات والعقل هو "الجسد". ولهذا لا غرابة إذا ما علمنا بأن سياسة الرأسمالية الجديدة- الربحية- تلهث أكثر ما تلهث خلف ثقافة الموضة بالصورة والصوت.

ولعل السمسار الأكثر فاعلية في تسويق هذه الثقافة اليومية هو التلفزيون الفضائي وأغاني " الفيديو الكليب" وعمليات الإشهار التي تلح بالمتعة الدائبة ليلا ونهارا: أجسادٌ على الموضة أحالت المرأة برُمَّتِها إلى موضوعٍ جنسيٍّ يُصعدُّ السُّعَارَ الغرائزي لدى الصغير والكبير "ويفجر جنون الشبق لدى أكثر الرجال وقاراً" فما بالك بالمراهق الشاب؟ فأمست الصورة المتحركة للجسد تُختزل في بعدٍ ومشهد واحد هو (الماركة) بالعبرة الجزائرية. ومع الإدمان الموضة يُضحي هذا الجسد هو المصدر الوحيد للهوية. وتتضاعف فاتورة الإنفاق على الجسد في الوقت الذي تتخفف فيه فاتورة الإنفاق على العقل وينعدم الإنفاق على الروح...؟

موضة باهظة الثمن تززع ميزانية الأسرة، أي أنّ الحجاب دخل ضمن دائرة الاستهلاك المُنمَّط واستثمر ما هو ديني في ما هو اقتصادي على قرار تلك الأشياء التي يأتي بها الحجاج من مكة (اقمصة وبخور، سبحة و عطور...) على أساس أنها ذكريات البقاع المقدسة وهي مصنعة في الصين واليابان. وفي ضوء هذه الإسهامات النظرية المتعلقة بالجسد الأنثوي وموضة الحجاب سنحاول في مباحث الفصل المُوالي التعرف على الحجاب كثقافة منتشرة في كل الديانات السماوية وعلى بعض دلالات ومعاني الحجاب وعلى مختلف تمثلات الحجاب.

الفصل الثالث: ثقافة الحجاب بين الدين والإيديولوجيا

تمهيد

المبحث الأول : الحجاب في الأديان السماوية

1- ثقافة العري كاتجاه عقائدي

2- الحجاب في الديانة اليهودية

3- الحجاب في الديانة المسيحية

4- الحجاب في الديانة الإسلامية

المبحث الثاني: تمثلات الحجاب (المعاني والدلالات)

1- الزي الشعبي (الحايك والملاية)

2- الحجاب التقليدي (العباءة والخمار)

3- الجلباب والنقاب (الزي السلفي)

4- حجاب الموضة (حجاب الحداثة)

المبحث الثالث: فعل التحجب (بين النسق والدلالات الرمزية)

1- نسق فعل التحجب

2- رمزية الحجاب

3- دلالات ومعاني الحجاب

خلاصة الفصل

تمهيد:

يمثلُ اللباس دلالةً ذات معنى، باعتباره انتقالاً من الطبيعي- الجسد- إلى الثقافي الذي يعكس عوامل البيئة واتجاه التدين والتكوين المجتمعي وتراكيبه من طوائف وطبقات وفئات. ربما تذهب بعيداً لتشير إلى دلالات تُلخّص الوضع الديني والسياسي.

الحجاب وإن أصبح لصيقاً بالدين الإسلامي، لم يكن في يوم من الأيام ممارسةً دينيةً اجتماعيةً افتتحها ودشنها الإسلام. بل هو ممارسةً تاريخيةً مغرقةً في القدم عرفتْها أديان وثقافات أخرى سابقة على الإسلام. فتغطية المرأة شعر رأسها عادةً اجتماعية لم تعرفها القبائل العربية في الجزيرة إلا مع مجيء الإسلام وإنما عرفتْها بلاد ما بين الرافدين والإغريق وبيزنطيا وفارس، حيث كانت المرأة الحرّة تُجبر على تغطية رأسها تمييزاً لها عن الجارية.

يلخص الحجاب باعتباره زياً نسائياً دلالات متعلقة بجسد المرأة وإن كان جسد الرجل منخرطاً أيضاً في منظومة الحجاب، باعتبارهما نوعي الجسد الإنساني. وفي الديانات السائدة يشير جسدُ المرأة إلى نقصٍ وضعف مقارنةً بجسد الرجل الأقوى والأكثر كفاءة. وهو مقابل نقصه وعدم كفاءته يتميز بجمالٍ يميل إليه الرجل بالغريزة طلباً للذة تدفعه لتملّكه والمحافظة عليه واحترامه وتحريمه ومنع الآخرين من التمتع به.

" يُشجّع على استخدام الصيغة المفردة من لفظ حجاب بدلا من صيغة الجمع حُجب من ثم فمن الأفضل أن نفكر في لفظ « حجاب » كمصطلح جامع يشير إلى جميع أنواع ممارسات التحجب للنساء المسلمات."¹ كما أن الحجاب ليس مجرد وصفة دينية، لكن للثقافة والجغرافيا الأثر الكبير في تشكيله، كما أنه ليس له معنى واحد شمولي. فهناك اللباس الحجازي (السعودي) والأفغاني والشامي والمغربي وحتى داخل القطر الواحد. هناك أنواع متعددة وأشكال كما سنرى في تفاصيل هذا المبحث أن اللباس يتنوع بحسب الفضاءات

¹ سحر عامر، الحجاب: الأصول- التنوعات- التدايعات، تر: فاطمة نصر، مرجع سابق، ص 23.

فهناك لباس الفضاء الخاص ولباس الفضاء العام والذي نحن بصدد التعرض لمختلف تمثلاته الموجودة في المجتمع العربي بحسب البعد التاريخي والتي نلخصها فيما يلي:

تتركز دراستنا في هذا الفصل على ثقافة الحجاب كمبحث أول سنتطرق الى الحجاب في الأديان السماوية (ثقافة العربي كاتجاه عقائدي، الحجاب في الديانة اليهودية، الحجاب في الديانة المسيحية، الحجاب في الديانة الإسلامية). وفي مبحث ثان نتطرق إلى بعض أنواع وتمثلات الحجاب (الدلالات والمعاني). وفي مبحث ثالث نتحدث حول فعل التحجب (بين النسق والدلالات الرمزية).

وباعتبار أنّ اللباس أحدَ العناصر الأساسية في كل الثقافات فإننا نحاول أن ننطلق من ثقافة العربي كمنطلق أساسي لفهم نسق فعل التحجب.

المبحث الأول: الحجاب في الأديان السماوية

1- ثقافة العري كاتجاه عقائدي

إن تاريخ الجسد وثقافته تراثٌ ظلَّ في كثير من الأحيان ولدى بعض الشعوب يُطوى بمستور المنظومات الاجتماعية والدينية. فتصطدم سلطة هذه الثقافة بقداسة الجسد، فإذا تجاوز الجسد طقوس الثقافة تحرَّر، وانتقلت ثقافة العري من التنظيمية والتابو إلى الحسية ثم إلى التطبيع اليومي، بتحويله إلى جزء من الحياة اليومية كما هو الحال في بعض المجتمعات الغربية الحديثة. للإشارة هنا أن المرأة نزاعة إلى العري أكثر من الرجل بدليل أن النساء حتى في فصل الشتاء يلبسن الجيب ويكشفن عن الذراع والشعر.

تتخذ بعض الشعوب ثقافة "العري" - كما لدى " الهندوسية مثلاً لغاية سامية، إذ العُري لديهم لا يمثل سوى مرحلة متقدمة من السلوك الارتقائي.. ووفقاً لمعتقداتهم فإنَّ الإنسان إذا ما وصل لمرحلةٍ يستطيع فيها التخلص مما يستره، كان ذلك دليلاً على تخلصه من رغبات الدنيا وشهواتها ومطامعها ، فإذا ما شعر بالحياء ورفض التعري كان ذلك دليلاً على أنه مازال متعلقاً بالدنيا. ويجب أن يكافح إلى أن يصل إلى مرحلة التعري الكامل للهروب من الحياة.

أما اليوم وفي ظل تزيين العُري وتقبيح الاحتشام والوقار فقد صارت ثقافة العري مذهباً عند بعض الحركات التي تدعو للعودة إلى الطبيعة والتحرر من كل أشكال اللباس حيث أضحت ثقافة الجسد من ضرورات العولمة ، وفلسفة ما بعد الحداثة التي ترى في جسد الأنثى مرجعاً بذاته.

غير أن مشكلة العري تكمن كذلك في أعين الرجال أكثر مما توجد في الأجساد التي توصف بأنها عارية، فالعري يبقى مسألةً نسبيةً، هناك من الناس من يعتبر مجرد إظهار شعر المرأة نوعاً من العري، وآخر يرى أنَّ عري نراعي المرأة هو عري لجسدها كُله وهناك من يصيبه الارتباك بمجرد أن تمرَّ الأنثى أمامه، لذلك على المجتمع أن يعمل على تهذيب أعين الرجال أولاً كي يرقى هؤلاء في نظرتهم إلى المرأة، فلا يعود جسدها مجرداً

موضوع للجنس". إذن الحجاب كصورة للجسد الأنثوي- بأي شكل من أشكاله - كزبي أنثوي سائد في ديانات ومجتمعات عدة، متصل بالتأكيد بالنسق المسبق الذي يحدد صورة جسد المرأة. لنسمي هذا النسق "نسق التحجب". وفي هذا النسق تكون القيمة العليا للمرأة المتحجبة التي لا يراها الناس ولا يصل إليها طالبها إلا بصعوبة.

2- الحجاب في الديانة اليهودية:

" يُرجع الباحثون أول إشارة للتحجب إلى نصّ قانوني آشوري يعود إلى القرن الثالث عشر ق.م كانت الحضارة الآشورية إحدى أولى الحضارات في منطقة ما بين الرافدين التي تحتلها اليوم العراق وايران وسوريا والجزء الجنوبي الشرقي من تركيا والتي يتتبع أهلها أصولهم إلى السوماريين والأكاديين. في ذلك المجتمع الآشوري كانت التحجب وفصل النساء عن الذكور من الممارسات الراسخة التي تمّ تجسيدها في منظومة قوانينهم.¹"

لم يكن الحجاب المتداول اليوم في المنطقة العربية معروفا في المجتمع اليهودي. وكانت النساء الطاهرات يكتفين بوضع شال على الرأس،...² فقد تشدّدت الديانة اليهودية في الحجاب تشددا بالغا وكذلك المجوسية. وكانت المرأة في بلاد فارس تُحجّب عن محارمها كالأب والعم والخال والأخ... وقد عرفته نساء اليونان والرومان وعرفته شعوب عديدة.³ " تُغطّي بعض اليهوديات في إسرائيل رؤوسهن وأجسادهن بأرديةٍ وأوشحةٍ يُطلقُ عليها البراقع وفي واقع الأمر، فمن المستحيل التمييز بين صور اليهوديات اللاتي يرتدين تلك الأردية وبين نظيرتهن المسلمات اللاتي يتحجّبن بأردية سوداء مماثلة.⁴"

من يقرأ الكتب الدينية اليهودية وخاصة كتب العهد القديم - بغير عناء في البحث يجد أن التوراة تضمّنت كثيرا من الأخلاقيات و الأحكام الرفيعة ومن هذه الأحكام أحكام الزينة

¹ سحر عامر، الحجاب: الأصول- التنوعات- التدايعات، تر: فاطمة نصر، مرجع سابق، ص17.

² - طه جمانة، المرأة العربية في منظور الدين والواقع، ط1، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004، ص69.

³ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن الكريم، دار الكتاب العربي، لبنان، 1967، ص65.

⁴ سحر عامر، الحجاب: الأصول- التنوعات- التدايعات، تر: فاطمة نصر، مرجع سابق، ص19.

والحجاب. يجد أن حجاب المرأة كان معروفا بين العبرانيين من عهد إبراهيم عليه السلام، وظلَّ معروفا بينهم في أيام أنبيائهم جميعا الي ظهور المسيحية، وتكررت الإشارة إلي البرُّقُع في غير كتاب من كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد...¹.

ففي الإصحاح الرابع والعشرين من التكوين عن - رفقة - أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق: فنزلت عن الجمل وقالت للعبد : من هذا الرجل الماشي في الحقل ،فقال العبد سيدي، فأخذت البرُّقُع وتغطّت".² وفي الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين، أيضا أن تamar: "مضت وقعدت في بيتها ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترمُّلها وتغطّت ببرقع وتلفقت".³ وجملة هذه الشواهد تؤكد على وجوب التحجب في الديانة اليهودية. فالبرُّقع والقناع والخمار كان حقيقةً ثابتةً في ستر وجه وشعر المرأة اليهودية.

3- الحجاب في الديانة المسيحية:

حبذت التعاليم المسيحية، التزام المؤمنات بالحشمة في اللباس، وطلبت منهن نبذ المظاهر والتخلي بالإيمان والورع لا بصفائر أو لآلئ أو ملابس باهضة الثمن ففي رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس، ينصح المرأة المؤمنة بتغطية شعرها خوفا على المصلين من الإغراء والغواية... فإن لم تعمل بذلك تُعاقب بقصّ شعرها أو حلقه.... وقد أراد بولس من خلال استخدامه فكرة غطاء الرأس للمرأة، أن يحدد انتماء المرأة للرجل، كما أراد أن يفصل بين نساء الكنيسة والنساء غير الصالحات في المجتمع في أيامه".⁴ فالحجاب في القديم، كما يقول غبطة البطريرك غناطيوس الرابع : لم يكن حجابا باللباس

¹ - سحر عامر ، نفس المرجع، ص57.

² - عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص 57.

³ - زكي على السيد أبو غضة ، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ، ط1، دار الوفاء، 2003، ص244.

⁴ - طه جمانة ، المرأة العربية في منظور الدين والواقع ، مرجع سابق، ص69.

وإنما كان حجابا اجتماعيا، فالمرأة المتزوجة كانت تعرف من عُقدَةٍ على غطاء رأسها في حين كان غطاء غير المتزوجة خاليا من كل عقدة. ¹

إذن المسيحية لا تفرض لباساً معيناً على المرأة، وإنما تدعوا المرأة إلى الاحتشام أثناء تأدية الفرائض الدينية وهذا ما يؤكدُه أيضا غبطة حين يقول: "الحقيقة أن كثير من الناس تمادوا كثيرا في مُسَايِرَتِهِم للموضة وخروجهم عن المألوف. وكثيرا ما تأتي العروس إلى الكنيسة بلباسٍ لا ينسجم مع جو الصلاة للعرس الإكليلي. حتى أنني في إحدى المرات نزلت جاكيت العريس وسترت بها كتفي العروس العاريتين"... ويقول أخيرا: "وأنا بعد أن عرفت من النساء أن هناك ثيابا خاصة بكل مناسبة، فإني أميل إلي أن ترتدي النساء ثيابا خاصة أثناء الصلاة". ²

في كنيسة الاتحاد المسيحي الإنجيلية، المرأة مُلَزَمَةٌ بتغطية رأسها أثناء الصلاة. لأن كل مَجْدٍ بشريٍّ يجب أن يختفي أمام مجد الله. ولأن مجد المرأة هو شعرها، فعليها أن تغطيهِ. ³ إذن ليس في المسيحية للمرأة شروط خاصة باللباس، وأن ما يشترط هو الحشمة والوقار ويلاحظ أن لباس الراهبات مشابه للباس المسلمات.

"وحتى يومنا هذا، ترتدي النساء القبعات لدى ذهابهن للكنيسة وبخاصة في المجتمعات الكاثوليكية المحافظة وبعض دوائر الطوائف البروتستانتية في مختلف أنحاء العالم، فيما تحافظ أخريات على شعورهن طويلة حيث تُستخدم كغطاء للرأس علاوة على ذلك ترتدي الراهبات الكاثوليكيّات والأرثوذكسيّات أريّةً خاصة بهنّ، كما أنّ تماثيل مريم العذراء ورسوماتها المتكررة تصورها بحجاب يغطي جسدها ورأسها". ⁴

¹ طه جمانة، نفس المرجع، ص70.

² - طه جمانة، مرجع سابق، ص70.

³ - طه جمانة، مرجع سابق، ص71.

⁴ سحر عامر، نفس المرجع، ص20.

4- الحجاب في الديانة الإسلامية:

لدى عرب الجاهلية لم يكن هناك وجوداً للحجاب، وقد تحقّق لهذه الظاهرة وجود بفضل رسالة الإسلام. إنّ الثابت تاريخياً هو أنّ الحجاب قبل الإسلام كانت له مصداقية لدى بعض الأمم فقد كان الحجاب ظاهرةً في إيران القديمة وبين اليهود، ومن المحتمل أن يكون هناك حجاب في الهند وكان الحجاب لدى هذه الأمم أكثر تشدداً ممّا جاء في شريعة الإسلام.

فقد جاء الإسلام والحجاب في كل مكان مجردَ تقليدٍ وبقيّة من بقايا العادات الموروثة. لا يدري أهو أثرٌ فرديّة أم وقاية اجتماعية (مُعطى أنثربولوجي أم ضرورة اجتماعية)، بل لا يدري أهو مانع للتبرج، وحاجب للفتنة أم هو ضرب من ضروب الفتنة والغواية، فصنع الإسلام بالحجاب ما صنعه بكل تقليد زال معناه وتخلّفت بقياه بغير معنى. فأصلح منه ما يفيد ويعقل، ولم يجعله كما كان عنواناً لاتهام المرأة أو عنواناً لاستحواذ الرجل على ودائعه المخفية".¹

فقد كانت النساء في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، كثيرات الزينة والتبرج يلبسن ثياباً تكشف عن الصدور والنحور. ويذكر الزمخشري في تفسيره المعروف بالكشاف، فيقول "كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حاولها. فالثابت هو أنّ الحجاب كان موجوداً في العالم قبل الإسلام ولم يبتكر الإسلام الحجاب. إنّما الدوافع كانت تختلف من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أمة حسب اختلاف الأعراف والتقاليد."² إنّ الحجاب الموجود عندنا ليس خاصاً بنا ولا أنّ المسلمين هم الذين استحدثوه و لكنه كان عادة معروفة عند كل الأمم تقريبا ثم تلاشى طوعاً لمقتضيات المجتمع وجريا على سنة النمو والترقي"³.

¹ - عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص59.

² - طه جمانة، المرأة العربية في منظور الدين والواقع، مرجع سابق، ص94.

³ - قاسم أمين، تحرير المرأة والمرأة الجديدة، المركز العربي للبحث والنشر، مصر، 1984، ص78.

إن التاريخية ومنهجيات التأويل والتفكيك هي التي ستتمكن من إعادة مسألة الحجاب إلى نقطة الصفر، لأن القراءة التاريخية عبارة عن محاولة استحضار السياق التاريخي والثقافي والاجتماعي. لذا يؤكد أصحاب المنهج - الفونولوجي - على مسألة السياق لأن العبور من اللفظ إلى المعنى لا يتم إلا عبر قنطرة الوسيط الثقافي بيد أن تطبيق هذه المنهجيات يُعتبر انتهاكا للنصوص المقدسة والتي لاتزال في عداد اللامفكر فيه لأنه سيتسبب بزعة الفكر الديني برُمته وسيفتح آفاقا واسعة للتأويل و قابلية أكثر لتوليد المعاني من النصوص الدينية.

بالرجوع إلى لحظة التكوين الأولى للحكم الشرعي للحجاب في الإسلام. فمن يتخذون موقف "أنصار الحجاب"، يستدلون من النصوص الشرعية الإسلامية (القرآن والسنة) ما يفيد أن الحجاب هو أمر من الله لكل امرأة مسلمة، كما يرجع "منكرو الحجاب" إلى ذات اللحظة وذات النصوص ليفتدوا قول "الأنصار"، وينتهوا إلى أنه لا أساس للحجاب في التشريع الإسلامي، بل هي تقاليد وعادات عرب الجزيرة أُلبست ثوب التشريع الديني. هذا الجدل صار مكررا ومعلومةً جوانبه.

يمكن ببساطة الوقوف على نماذج خطاب كلا الطرفين: أنصار الحجاب بالطبع يملؤون بخطابهم السمع والبصر، بينما لم يذع صوت الكثير من أدبيات الطرف الآخر - وهي قليلة - إلا كتب معدودة من أشهرها: "الحجاب" لجمال البنا، وحقيقة الحجاب وحجية الحديث" للمستشار محمد سعيد العشماوي. ليس من المفيد إذن تكرار عرض جوانب هذا الجدل بالكامل، ولكن أعتقد أنه من المفيد التقاط بعض الملاحظات الدالة من بين ثنايا هذا الجدل.. الملاحظة الأولى: أن مصطلح "الحجاب" نفسه لم يرد ذكره في النصوص الشرعية الإسلامية فيما يتعلق بالمرأة إلا مرة واحدة: "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ". سورة الأحزاب 53. ولا يعني هذا، كما في أقوال مشاهير المفسرين، سوى التنبيه على المسلمين آنذاك بعدم اقتحام حجرات زوجات النبي صلى الله

عليه وسلم المُلَحَقَة بالمسجد النبوي. والملاحظة الثانية تتعلق بأن باقي النصوص لا تحوي صراحةً ضوابط هذا الزي، إذا استثنينا سحب حالة الحجب العام وتعميمها من قبل التيارات السلفي الوهابي (السعودي).

فحوى النصوص الأخرى يأمر النساء بأن "يُدْنين عليهنَّ من جلابيهنَّ" و"يضرين بخمرهن علي جيوبهن" و"لا يُبدين زينتهنَّ إلا ما ظهر منها". والتعبيرات السابقة ليست واضحة بنفسها بأي حال فيما يتعلق بتحديد ضوابط لزي المرأة. كما أنّ هذه النصوص واضح أنّ دلالتها ليست مستقلة عن زيِّ فعليِّ قائمٍ تتحدث عنه. فالجلباب والخمار تتحدث عنهما النصوص بدون أن تعرفهما أو تضع لهما وصفا. وبالتالي فإن الرجوع لزيِّ المرأة السائد وقتئذٍ لا بديل عنه لتحديد الدلالة. وهنا مفترق طرق. فالفقهاء اعتمدوا علي الزي التاريخي لامرأة جزيرة العرب في لحظة التكوين هذه، وتمَّ ملء فراغات النصوص هذه بأقوال وآثارٍ مَرْوِيَّةٍ عن هذا الزي وأخرى عن سلوك النساء المسلمات من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة بعد نزول هذه الآيات.

إنّ مقابلَ الموقفِ الفقهي السائد التقليدي، والذي يُعبّر عن حكم تلك الآيات والتي لا تقدّم أي دلالةٍ فقهية بالوجوب والإلزام بالحجاب، وانطلاقاً من آراءٍ صادمة للخطاب الديني وهي أصوات قليلة دأبت على مخالفة السائد والتي جهرت بمثل هذه القراءة كجمال البنا" الإصلاحية في مجال الفقه الإسلامي، إذ أنكر أنّ للحجاب حكماً صريحاً بالوجوب في القرآن، والدكتور "حسن الترابي" والذي تُمثّل مواقفه قطيعةً مع السائد والمألوف و"فيتو" القراءة التقليدية للدين، مع أنها تحمل ثقلاً كبيراً في المخيال الديني الكلاسيكي، إلا أنّ القراءة التاريخية الجديدة كفيلاً بمنح الحجاب مساراً مختلفاً ومعنىً جديداً يتعلق بمعنى السّتر لا أكثر ولا أقل.

فالدين الإسلامي لا ينادي بالمدلول الحرفي اللغوي لكلمة حجاب وليس كل ستر بمعنى الحجاب في أصل اللغة فقد وصف القرآن غروب الشمس "حتى توارت بالحجاب" في سورة

ص الآية 32. ويعني هذا الفصل التام بينه وبين الرائي .وعليه فإنّ استخدام كلمة حجاب بمعنى ستر المرأة، هو استخدامٌ جديدٌ نسبياً. ومن الأفضل أن تُستبدل بكلمة السّتر كما لا يُظنُّ أنّ الإسلامَ أراد أن تبقى المرأة خلف حائل وتُحبَسَ في دارها ولا تخرج منها".¹

وهناك نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تخصّ مسألة وجوب السّتر وتتعلق بحدود عورة المرأة، أما كيفية التحجب فهي مسألة فيها خلاف بين الفقهاء ، تعود بالدرجة الأولى الى تفسير قوله تعالى : "وليضربن بخُمُرهن على جُيوبهن" "يُذْنِبْنَ عليهن من جلابيبهن". (سورة النور الآية 31)'

البعض يرى أنّ تغطي المرأة كلّ جسدها (الجلباب) وهذا موقف المتمسّكين بحرفية النص ويأتي على رأسهم التيار السلفي، القائلُ بأنّ جسدَ المرأة كلّهُ عورة. والبعض يرى بجواز الوجه والكفين باعتبار الوجه ليس بموضع للفتنة، وهذا هو السائد عند حركة الإخوان المسلمين وهناك الحجاب الشعبي الذي يستر المرأة وفقاً للتقاليد والأعراف السائدة اجتماعياً بعيداً عن كل أشكال تنميط اللباس. "والجدل بين المسلمين المعاصرين لا يكاد يتوقف حول قضية الحجاب والسفور. كما لو كان يرمز وحده إلى الهوية الإسلامية"². هذا باختصار عن مسألة الحجاب في الديانة الإسلامية بعيداً عن كل الاختلافات المذهبية والفقهيّة.

¹ مرتضى المظهري ، مسألة الحجاب، مرجع سابق، ص 60

² إقبال بركة ، الحجاب رؤية عصرية ، ط1 ، دار كيوان ، سورية ، 2003، ص 11 .

المبحث الثاني: تمثلات الحجاب (المعاني والدلالات):

1- الزيّ الشعبي (الحايك والملاية):

"يَحْضَى اللباس التقليدي بمكانة مرموقة بفعل جودته الفنية ودرجة إتقانه، فهو رأس مال رمزي يندرج في نطاق الموروث الثقافي الإنساني الذي ارتبط بحياة المرأة عبر العصور وأصبح يمثل القيم الرمزية لفترات تاريخية متفاوتة في درجة الرقي والازدهار وهي منبثقة من رحم نُظْمٍ اجتماعية واقتصادية مختلفة وأنساقٍ ثقافية متنوعة".¹

هناك في بلدان المغرب العربي الكبير، ما يعرف بالحجاب الشعبي التقليدي والذي يندرج تحته (الحايك، الملاية) يشمل إزارًا مكونًا من قطعتين: القطعة الأكبر تسمى الحايك والأخرى الحجاب أو العجار) ويسمي في الشرق الجزائري الملاية وهو يستر المرأة من الرأس إلى القدمين مع وضع الحجاب على الوجه، وهو من الأزياء الشعبية التقليدية في كثير من مناطق الجزائر كالعاصمة سابقا وقبائل الطوارق. وهو موجود إلى حدّ الساعة في منطقة واد ميزاب وبوسعادة. وحتى عند بعض العجائز في تونس والمغرب والجزائر العاصمة (كما تلبسه العروس يوم زفافها في بعض المناطق) وصاحباته تنتمين لبيئات تقليدية، والبعد الديني هنا ليس إلا دعماً لتقاليدها. لا يخضع ارتداء هذا الزي للاختيار الفردي، بل هو تقليد جماعي. وهو زي يتميز بالزينة الشعبية المميزة لأنماطه الفرعية بحسب البيئية. وهذا الزي يميز غالبا النساء الغير متعلمات أو اللاتي لم تصلن لمستويات عليا في التعليم ولا يعملن إلا في مهن بسيطة أو يخرجن به إلى السوق أو مساعدة الأزواج في العمل أو الفلاحة.

الحايك الآن في طريقه إلى الزوال مع أنه كان يمثل نوعا من المقاومة في الحقبة الاستعمارية. حيث يقول فرانس فانون في كتابه: "سوسيولوجيا الثورة": "إنّ نماذج المجتمعات تُعرف من خلال اللباس، قبل أيّ شيءٍ آخر، سواءً عن طريق - الرورتاج- والمستندات المصورة أم عن طريق

¹- عبد الحميد بورايو ، ط2 ، تطور ملابس المرأة الجزائرية، دار أنوثة للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ص11.

أفلام سينمائية. تُثبت الانتماء إلى مساحة ثقافية معينة. فالحجاب الذي تأتزر النساء به في العالم العربي مثلاً هو مما يراه السائح مباشرة.

فمن الممكن أن يجهل الإنسان أمداً طويلاً أنّ المسلم لا يأكل لحم الخنزير أو أنّه يمتنع عن العلاقات الجنسية نهراً مدة شهر رمضان. و لكن حجاب المرأة يبدو ثابتاً إلى حد أنّه يكفي بصورة عامة لتميز المرأة المسلمة " 1

لقد انسحبت فكرة الشفافية من عند "ميشال فوكو" في كتابه (المراقبة والعقاب) " والتي تُعدّ فيه الشفافية شكلاً من أشكال التحكم والسيطرة إلى النظرة للنساء، ممّا ساعد الحجاب على اكتساب رمزية قوية في السياق الاستعماري إذ تحول إلى آلية مقاومة لهذه الشفافية المبتغاة، في مرحلة الاستعمار حيث كان الخطاب الديني هو أحد آليات المقاومة المتاحة . في المناداة بتغطية النساء وإقصائهن عن المجال العام كشكل من أشكال حماية الملكية الخاصة من المستعمر الغريب. وهي آلية ساعدت على إرساء الاختلاف عن الآخر الغربي عبر التشبث بالملبس الذي يمنع الآخر من النظر إلى الجسد الأنثوي، وتدرجياً استقرّ في اللاوعي بوصفه أحد ركائز - الهوية - وبهذا تحولت هوية النساء إلى معادلٍ لهوية الأمة " كما أفضى هذا الحجاب إلى خلخلة ضمنية لفكرة الحدّثة الغربية² لأن المرأة تحتل أرضية واسعة في الصراع بين الشرق والغرب.

كما كان الحجاب أو الملاية شرط من شروط خروج المرأة للشارع والأحياء في الستينات والسبعينيات في بعض الحواضر العربية، فهو يفصلها جنسياً كونها أنثى رمز الشرف وأصل الرغبة الجنسية لدى الرجل وكائن متحرّش به، والرجل كونه رجلاً بكل الصفات التي تدل على قدرته الجسمانية والمظهرية (الخشونة، القوة والشجاعة والشهامة. أما التقسيم حسب الفضاءات، فالمرأة في الفضاء المنزلي وربّته، والرجل هو في الفضاء العمومي وسيّده المهيمن

¹ - فرانس فانون ، سوسولوجيا ثورة ، ترجمة ذوقان قرقوط ، دار الطليعة ، ط1، 1970 .
² شيرين أبو النجا : الحجاب بين المحلي والعالمي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط1 ، 2008 ، ص43 ، 44 .

(الأرض، الفلاحة،...). أما من حيث تقسيم الأدوار عمل البيت والتربية للمرأة أما الإعالة فهي للرجل.

من هنا فإن الرجل كان يهيمن على الشارع ويعتبر المرأة التي تسير لوحدها موضوعا لإثبات رجولته خارج الأسرة فيتحرش بها، ويغريها بكل الطرق حسب الغريزة التي تجعل من الرجل يتوجه نحو الأنثى، لذا وحفاظا على مبدأ أخلاقيات الطريق تتحمل المرأة مسؤولية انتهاكها لمكان مهيمٍ عليه من طرف الرجال لأنها تنتمي إلى الفضاء البيتي. في المقابل يُعتبر الرجل الذي يبقى في البيت طويلا مخنثا أي الشبيه بالمرأة، ويُعت بصفتا تمسُّ شرفه وهي الفحولة (الرجولة).

في المخيال الجماعي (الجزائري) كما هو شائع بالعامية ملك البايك (نسبة للتقسيم الإداري في عهد البايات) ونسحب هذا إلى المرأة التي لا تنتمي لنسبه. وتسير لوحدها في الشارع تنتمي للملك العام (بنت الشارع أو السايبة) أما ما هو داخل البيت فهو يخضع لهيمنتته ووعيه (يقال أنا رب الأسرة أو داري تستر عاري).

2 - الحجاب التقليدي (العباءة والخمار):

هذا النمط يتداخل أيضا مع سابقه ويكون ارتدائه في الغالب ناتجا عن ميول دينية واضحة وأكثر تركيبا تتلخص في مفهوم "الالتزام". وهو يتميز بصرامة شكل غطاء الرأس الذي ينسدل فيغطي منطقة الصدر، وتختفي منه الزينة ولا تستخدم مرتدياته مساحيق التجميل. ونظرا لأنَّ هذا الحجاب هو الشكل الأشهر للزي الشرعي الملتزم، يكون عابرا للطبقات والبيئات، وإن كان يكثر بشكل ملحوظ بين نساء الطبقة (الوسطى والدنيا) وكذلك في وسط الطالبات الجامعيات المنتسبات لتيار الإخوان المسلمين وارتبط هذا النوع من الحجاب بالصحة الإسلامية في بداية الثمانينات من القرن الماضي، في مختلف الدول العربية.

كما يضاف إليه الزي الحديث المحتشم مع غطاء الرأس والذي يتداخل مع سابقه، فكثيرات من نساء البيئات التقليدية يتحولن إليه بفعل تحولات اجتماعية أو اقتصادية (التعليم - دخول الجامعة - العمل في مؤسسات حديثة - الحراك الاجتماعي - الانتقال لبيئة أكثر مدنية). وهذا الزي يتميز بمحافظته وبزيادة البعد الديني فيه. وأهم ملامحه المميزة أنه لا يُظهر ولا يجسد تفاصيل جسد المرأة بشكل كبير. وقد تُعرّف المرأة التي ترتدي هذا الزي نفسها بأنها ملتزمة دينياً، ولكن هنا الالتزام يتّسم بالاعتدال والتوفيق بين الدين والتقاليد ومتطلبات الحياة.

3 - الجلباب أو النقاب (الزي السلفي):

هو الزي الذي يغطي كلّ الجسد بما فيه الوجه والكفين بثوب فضفاض وثخين موحد اللون غالباً أسود أو رمادي، ويكثر ارتداؤه لدى المتدينات من الطبقات الشعبية التي يمتزج فيها التدين السلفي بالتقاليد السعودية. ويدور حوله جدل كبير، حيث ترفضه أو تنفر منه قطاعات من المجتمع تشمل حتى بعض الملتزمين دينياً، لما يحمله من عزل للمرأة وطمس لهويتها الشخصية وصعوبة ممارستها لأية أنشطة في المجال العام. مع ايقونة من السلوكيات الأخرى (لا تسافر الا بمحرم، لا تصافح، لا تجالس الرجال، تعتبر صوت المرأة عورة.....الخ)

كما تعبر الدكتورة رجاء بن سلامة، فإن الحجاب أصبح دالاً على الشيء ونقيضه. أصبح الحجاب ذاته أسلوباً من أساليب مقاومة هذه الثقافة التنشئية، فبعد الرضوخ لأشد أصناف الحجاب تزمّت، أي ذلك النوع الذي يكسو جسد المرأة من رأسها حتى أخمص القدمين ولا يستثني من ذلك حتى الوجه والكفين، في مزيدة صريحة على أحكام الشريعة التي أباحت كشفهما. وفي محاولة لطمس هوية المرأة "الفرد" لحساب الرجل "المجتمع"، بدأت تشيع تقليعات وصيغ مختلفة للحجاب، مما يعكس حالة تمرد ورفض مضمرة فنسبة ارتداء هذا الصنف في تزايد مُطرّد، مما يعني أن ثمة ثقب في جدار الحجاب السميك سيؤدي لا محالة

لواقع أكثر سفورا وتبرجا، هذه الحقيقة السوسولوجية التي يتنا نشهد تجلياتها في المدن قبل الأرياف تكشف عن ضرورة مراجعة الخطاب المناصر للحجاب والجلباب كما تعبر عن فقدانه لأكثر مواقعه نفوذا وسيطرة.

قد مضى على الفكر العربي منذ نهاية السبعينات عهد ساد فيه نقاش حاد بين مؤيدي ارتداء الحجاب ومعارضيه، واتخذ التيار السلفي من الحجاب «قضية نضالية» ودخلت في «معارك لفظية» مع التيارات العلمانية التي دافعت بدورها عن قناعاتها، وانفجرت معها نقاشات حادة بين مختلف القناعات. وظل الحجاب بشكل عام موضوعاً سائغاً للنقاش في الندوات السياسية والفكرية المختلفة.

في مطلع القرن الواحد والعشرين، لم تعد الحركات الإسلامية تتخذ من الحجاب بمفهومه التقليدي قضية للنقاش في المنابر السياسية والإعلامية، - لكنّ النقاش في الحجاب لم ينته بل أخذ منحى آخر يتعلق هذه المرة بحجاب الموضة.

4 - حجاب الموضة (حجاب الحداثة):

الحجاب جزء من منظومة ثقافية/سياسية/اجتماعية متكاملة وظيفتها الأساسية هي ضبط السلوك النسائي ومراقبته. والحجاب التقليدي يكاد يضع النساء في صورة واحدة لا يكاد معها تميز بين جسد وآخر. ويمنع من كل أشكال التعدد والتنوع والاختلاف ويعتبر بذلك حجاب الموضة نوع من إعادة إنتاج الحجاب، جاء كبديل يجمع بين المحافظة على الهوية وما تحمله من قيم تاريخية ووطنية ودينية وبين حب التغيير كشعور طبيعي جبّل عليه الإنسان في كل زمان ومكان.

" نجد أيضا "المواقع الالكترونية " للموضة الإسلامية حيث نجد من بين تلك المواقع ما تسمى نفسها Hijabolous، Muslim Style Queen "ملكة الموضة المسلمة"

أو "Fashionably Modest" (نحب الحجاب)، و "Hijab Style". علاوة على توفير حاجيات البيع عبر الانترنت (الحجاب أون لاين).

" لا يكتفي مصمموا الأزياء بابتكار خطوط جديدة لأزياء عميلاتهم المتزايدات من الطبقة الوسطى والطبقات الراقية، بل نجدهم الآن يشاركون بنشاط في صناعة الموضة العامية من خلال تنظيم عروض للأزياء التي يبتكرونها خصيصا للمسلمات المحجبات.¹" أصبحت تلك الأزياء المستمدة من التقاليد المحلية بعد تحديثها، والانتقاء المتقن من الخامات العالمية وإضفاء نكهة خاصة عليها من خلال عبقرية المصممين الجمالية، أصبحت سائدة في كثير من المجتمعات ذات الغالبية المسلمة، كما انها تلقى إقبالا خاصة المغتربات الأوربيات كما تزايد الطلب عليها من نساء الطبقات العليا اللاتي يعشن بالداخل أو في الخارج.²

يرجع نجاح تلك الأزياء في قدرتها على استثارة مشاعر الحنين وإقامة صلات رمزية مع الهوية، فيما تتبع بقوة الموضات الجديدة، بحيث تستطيع أن تمثل الزي الإسلامي المناسب مع الإحياءات بالموضة.

أصبح للمحجبة على الموضة مجلات تسمى - مجلات أسلوب الحياة الاسلامي - والتي ترسم صورة للأنتى المسلمة التي ابتكرها مصممو الموضة، أي المرأة المسلمة المتدينة الجذابة المخلصة لدينها ولخلفيتها الاجتماعية والثقافية. يجري التبشير بتلك الشخصية للمرأة المسلمة والترحيب بها بصفاتها المسلمة النموذجية التي يمكن لقارئات المجلة الوصول إلى الصورة التي تمثلها، وابتياح أزيائها، ومعها اكسسواراتها، وأسلوب حياتها.³

صناعة الأزياء الإسلامية الموضة التي لا تتناقض مع التدين الحق، تسعى إلى خلق صورة ذهنية لتمسكها الصارم بالتفسيرات المحافظة للإسلام، فنجد بعضها لا ينشر المقالات سوى لكاتبات مسلمات فقط، فيما لا تُظهر أخرى سوى الملابس التي تصممها نساء مسلمات

¹ سحر عامر، مرجع سابق، ص 229.

² سحر عامر، نفس المرجع ، ص 225.

³ سحر عامر، مرجع سابق، ص 232.

أو تعرضها (عارضات أزياء) مسلمات فيما تعطي أخريات أولويات الإعلانات للإكسسوارات التي يبيحها الإسلام مثل "مكياج حلال" (مجلة نور)

أيضا يحاول القارئون على تلك المجالات، تخصيص مساحات على صفحاتها، ليس فقط لأعمدة الإرشاد الإسلامي، بل أيضا لكتابة قصص عن نساء مسلمات حقن نجاحا باهرا أو عن عارضات أزياء شهيرات وأخريات مرموقات أصبحن ملتزمات، وتقديمهن للقارئات كنماذج يُحتذى بها من خلال إلقاء الضوء على إنجازاتهن وخلفياتهن العائلية ومكانتهن الاجتماعية والوظيفية، وذلك لتوضيح أنه بإمكان المسلمات أن يجمعن بين الحجاب والنجاح المهني ويتبعن آخر صيحات الموضة، أي أن الموضة، وخلافا لما قد يعتقده البعض، ليست بالضرورة غير متسقة مع تعاليم الإسلام الجوهرية ولا تمثل تهديدا لسمعة النساء المسلمات.

المبحث الثالث: فعل التحجب (بين النسق والدلالات الرمزية).

1- نسق فعل التحجب:

كانت الأزياء التقليدية في المجتمعات المسلمة مزيجاً من نسق "التحجب" العربي الذي تمّ تصديره مع امتداد الدولة الإسلامية، ومن ثمة تصديره مع حركة الهجرة الى أوروبا وأمريكا، متداخلاً مع نواتج البيئة الثقافية المحلية. حاملاً معه ما يشكل نظام (الحرمة) - والذي يتم تبريره بالتقاليد والدين - نموذجاً معبراً عن نسق التحجب التقليدي.

قد تنوعت دلالات ومعاني الحجاب، حيث يستمد الزي شرعيته من كونه تقليداً جماعياً غير فردي وقد أعيدت بلورة "نسق التحجب" مرة أخرى في العصر الحديث بسبب بدء عملية تحديث كل المجتمعات العربية وبداية انحسار الأزياء التقليدية في المدن لتخلف فراغاً تملؤه الأزياء الغربية. فأحياناً تتلاقى إحدى دلالات الزي التقليدي مع دلالات الأشكال المعاصرة من "الحجاب"، ولكنَّ الفارق بينهما يتمثل في ثنائية التقليد/ الحداثة.

الزي التقليدي يعكس التدين، كما أنه يحتفظ بهامش واسع للتسامح مع التفاصيل والتنوع بعيداً عن الضوابط الموحدة. بينما تعكس الأشكال المعاصرة للفكر وللدين كأيدولوجيا صارمة تستدعي سلطةً كبرى مركزية ومتحكمة ومتجذرة في الفعل اليومي وتستدعي هوية كبرى جامعة عابرة للتكوينات الصغيرة. ففي مقابل تنوع الأزياء التقليدية بحسب البيئة والمكان، نجد وحدة ونمطية أشكال "الحجاب" الملتزم: الخمار والأسدال.

بجانب الزي التقليدي في تعامله مع جسد المرأة رغم ستره للجسد، نجد صرامة "الحجاب" في الطمس الكامل لكل معالم أنوثة الجسد. فالزي التقليدي يشير إلى هوية فرعية مميزة في القرية أو القبيلة أو ربما الحي الشعبي . بينما يشير "الخمار" للهوية الدينية الجامعة. ولهذا ربما يتعرض الحجاب الشعبي التقليدي أحياناً للنقد من قبل الخطاب الإسلامي الذي لا يراه إلا استمراراً لتقاليد محلية - ليست بالضرورة متصالحة مع الهوية الإسلامية - بينما الحجاب الذي تتخذه الفتاة بقرار فردي شخصي وعن قناعة دينية يعبر عن اتجاه حضاري

ثقافي يختلف عن العادات المحلية والتقاليد، ويقف في مواجهة الحداثة الغربية وتحدياتها الثقافية.

2- رمزية الحجاب:

يؤكد - بيار بورديو - " على وجود حقول لا يمكن تحليل الواقع ولا يتم إدراك المفاهيم إلا من خلالها، وهذا يعبر على أنّ للمفاهيم صفةً إجرائية، بمعنى أنها لا تحمل مضمونها وتكتسب معناها إلا في إطار استخدامها في الواقع وفي إطار عام للعلاقات، فلا يمكن تحليل الواقع.¹ ويأتي **الحقل الديني** ليشمل الظواهر، الطقوس والعبادات والمعتقدات والأساطير والخرافات، والميثولوجيا والمذاهب والفلسفات الدينية وعلاقات القرابة".²

يتكون الحقل من جملة من العناصر المتشابهة، هي عبارة عن مواقع وسلطات أو مواقف وخيارات أو مصالح واستراتيجيات أو رهانات واستثمارات. هذه العناصر تدخل في تركيب الحقل على نحوٍ يجعل منه - بنية تفاضلية - تعمل بحسب مبدأ أساسي يقوم على توزيع أنماط السلطة وأنواع رأس المال الفاعلة في الفضاء الاجتماعي والتي تتغير تشكيلتها بحسب الظروف والأمكنة.

رؤوس الأموال هي على نوعين كبيرين: رؤوس مال رمزية كالمعتقدات والمنتجات الثقافية والألقاب العلمية. ومادية كالأموال والموارد الطبيعية والسلع الاستهلاكية والمنتجات التقنية. والسلطات هي كذلك على نوعين: مادية كمؤسسات الدولة من شرطة وجيش وقضاء. ورمزية تتمثل في السلطات الثقافية من دينية وخلقية وأدبية. الأولى تمارس العنف الفيزيائي بأجهزتها الأمنية فيما تمارس الثانية العنف الرمزي بأجهزتها الإيديولوجية (المرجعيات الدينية). الأمر الذي يجعلنا أمام نوعين من الشرطة شرطة أمنية تقوم بحراسة الأجساد والممتلكات وشرطة فكرية تقوم بحراسة القيم والمعتقدات.³

¹ عبد الغنى عماد، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والإشكاليات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008، ط2، ص99.

² عبد الغنى عماد، سوسيولوجيا الثقافة، مرجع سابق، 2008، ص99.

³ عبد الغنى عماد، سوسيولوجيا الثقافة، مرجع سابق، ص101. بتصرف.

سيبولوجياً يذهب التعريف الى القول أن - الرمز - هو شيء ما يحتل مكان شيء آخر أو أنه شيء ما يحل محل شيء آخر ويستدعي قيمته أو معناه ممن يستخدمونه.¹ وتؤدي الرموز وظيفتين، الأولى هي وظيفة الاتصال، والثانية هي وظيفة المشاركة وهما يتساندان في أوجه الفعل الاجتماعي فرمزية الاتصال تسيّر المشاركة وتساعد عليها ورمزية المشاركة تقيم أنماطاً عدة من الاتصال أيضاً.²

للرموز وظيفة أخرى تتعلق بالمشاركة حيث أنها تستخدم بصور فعّالة في تحسين الحقائق المجردة العقلية أو الأخلاقية في المجتمع وتجعلها مرئية وملموسة. وهي بهذا تسهم في التذكير والمحافظة على مشاعر الانتماء وبالتالي تحافظ على بقاء هوية الجماعة واستمرارها فالرموز تدفع إلى التضامن وتؤكد على الانتماء ويكتسب الفرد هذه الأفكار وأساليب السلوك الشائعة والمعروفة عن طريق التنشئة والتفاعل الاجتماعي وترتبط الحاضر بالماضي لذلك يعتبر التفاعل الرمزي مادة تشكيل لبّ الشخصية والهوية والتي بدونها لا يمكن إقامة التواصل مع الآخرين³

" يعتبر الحجاب كعلامة عن ايديولوجيا متكاملة تتعلق في النظرة لهذا الجسد وعلاقته بالجسد الآخر وعلاقتها معاً بمنظومة أخلاقية معيارية تقوم على تشييء جسد المرأة.⁴ كما تقوم هذه المنظومة الأخلاقية على تبريء الرجل وتجعل من المرأة فاتنة ومفتونة. وعلى المجتمع أن يتخذ التدابير الوقائية للحيلولة دون هذه الفتنة والتي لا تتأكد سواء بإشهار عفتها بالحجاب"⁵

¹ عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص170.

² عبد الغني عماد، نفس المرجع، ص171.

³ عبد الغني عماد، نفس المرجع، ص173.

⁴ عابدة الجوهري، رمزية الحجاب مفاهيم ودلالات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007، ص185.

⁵ عابدة الجوهري، رمزية الحجاب مفاهيم ودلالات، مرجع سابق، ص185.

3- دلالات ومعاني الحجاب

" إن للحجاب قيمةً رمزيةً كبيرةً الأهمية تدل على الهوية الاجتماعية لحاملاته، إذ مهما تكن الدرجة التي تلعبها ذاتية الواحدة منهن في اختيار الحجاب المناسب لها بحسب ذوقها الشخصي، فإنه يحدد إلى درجة كبيرة الفئة الاجتماعية والمجال الذي تنتمي إليه، كما يعتبر مؤشرا على تمثّل للتوجهات المعرفية والدينية والحضارية التي ترسم في المجتمع، والهادفة إلى تثبيت شخصية اجتماعية محددة"¹. وهناك مجموعة من الدلالات والمعاني للحجاب نذكر منها:

3-1 دلالات الحماية والصيانة(السلطة الذكورية):

وهي دلالة جندرية معبرة عن الرغبة في رسم الحدود بين الجنسين بعد "التشويش" الذي حل بها. فيغدو الحجاب محددًا جنديًا يحول دون 'تشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء' وانتشار 'الفوضى واللبس' في الفضاء العمومي.

وهذه الدلالات الجنسانية ترتبط بوضع الجسد الأنثوي المسيج داخل ثنائية الحجب/الكشف في مجتمعات إباحية لا نعترف بمفهوم ولا الستر.... فتحاول تجريد هذا الجسد من الحجاب. والحجاب على جانب آخر وخاصة مع انتشار القنوات الفضائية وتنوعها. له دلالات ترتبط بـ"خطاب الحجاب"، وبتقديمه على أنه حماية وصيانة للمرأة. ويتلخص هذا الخطاب في شعارات من نوع "الحجاب طاعة لربك.. صيانة لنفسك" أو "الحجاب.. يحميك من الذئاب"، وهي شعارات تضمنتها أكثر الشعارات انتشارا. وتصدر من المنابر وعبر القنوات الفضائية ومسارات الانترنت المختلفة.

فكرة الحماية والصيانة تشير في وضوح لأفكار "نسق التحجب": التملك والسيطرة على حد تعبير - بورديو- والدخول في حرم الرجل ومسئولية المرأة عن أي تهديد للشرف. فهذه

¹ عايدة الجوهري، رمزية الحجاب مفاهيم ودلالات، مرجع سابق، ص 45..

الحماية والصيانة تعنى في المقابل أن غير المحجبة معرضة لخطر الذئاب، وأن إبداء المرأة بعض زينتها هو مبرر كاف للذئاب لانتهاكها.

هذا تبرير ولو نسبي لفكرة التحرش بالمرأة غير المحجبة وفق معيار مجتمعي ما. يلقى هذا الخطاب رواجاً في المناطق العشوائية والشعبية التي تقل فيها سيطرة الأمن ولا تهتم فيها الشرطة بأمن الأفراد. أو غياب الشرطة والذي يجعل مسؤولية تحقيق الأمن ملقاةً على عاتق الأفراد. ولا قدرة لهؤلاء الأفراد على مواجهة المنحرفين. وكذلك المتحرشون يصيرون أمراً طبيعياً ويصبح على عاتق الفتاة حماية نفسها منهم. وهنا يصبح الحجاب أو الزي المحافظ ضرورة للفتاة لتجنب التحرشات والمضايقات، خاصة إذا ما كانت تخرج للدراسة أو العمل. أما المتحرشون فكثير منهم يسكنهم هذا الخطاب وكأنما يرون المرأة المتزينة تدعوهم للتحرش بها أو أنها على الأقل المسئولة عن ذلك لأنها "غير محترمة".

فالحجاب يعلن على أن هذه المرأة محافظة فلا تُحرم من الوجود الاجتماعي والمشاركة والفاعلية ولا يجعلها تتوجس من الاختلاط بالجنس الآخر. بل إن البعض يرى أن هذا يسهل مهمتها. وهكذا يعتبر الحجاب أحياناً نوعاً من الصفقة بين المرأة وبين المجتمع وقيمه، تكون فيه المرأة محافظة في جانب، مقابل تقدمها أو تحررها في جوانب عدة (الدراسة، العمل، النشاط الاجتماعي).

2-3 دلالات التدين الجماعتي:

وهي دلالة أيديولوجية سياسية فالحجاب وسيلة للتمييز بين المنتمي إلى تيار إسلامي وغير المنتمي، وبين أتباع هذا الاتجاه وذاك (انظر مثلاً لباس "الجلباب لسلفيات وعباءات والخمار للأخوانيات)، تبرز الأبحاث الأنثروبولوجية طبيعة تقديس الفردي داخل "العشيرة" أو القبيلة لتقديس مماثل في الميدان السياسي والديني. فزعيم العشيرة هو نقطة الوصل بين أفرادها ومجتمع الأجداد، ومن ثم، يتداخل كل من المقدس والسياسي. ويصبح المقدس هو أحد أهم أبعاد النشاط السياسي. وحسب "دوركايم" فإن علاقة السلطة السياسية بالمجتمع

تشابه العلاقة القائمة بين الطوغم (إله القبيلة) والعشيرة، وهذه العلاقة هي بشكل جوهري مضمنة بالقدسية.

من ثم تكمن أهميتها في إمكانية توظيفها سياسياً وأيديولوجياً. والمرجعية الدينية في الخطاب الإسلامي مرجعياتٌ متعددة الإخوانية والسلفية والصوفية والشيوعية... إلخ وفي حال اختيار واحدة من هؤلاء، فما هو موقفها من باقي المرجعيات الأخرى؟؟ فالدين بمعنى المرجعية يكرس كل أنواع العبادات والطقوس وحتى الأساطير في نزاعاتها مع خصومها في سبيل تثبيت شرعيتها وضمان استمرار وجودها.

لقد جرى تحول بالغ الأهمية مع الصحوة الإسلامية في عقد السبعينيات انتقلت معه الحركة الإسلامية في قضية لباس المرأة من خطاب يرفض العري والابتذال الذي يخرج عن قيم الستر والاحتشام التي عرفها المجتمع "المسلم" إلى خطاب آخر مختلف يسعى إلى تحديد الحجاب كلباس "شرعي" وحيد للمرأة يُفترض أن تتجسد فيه كل القيم العليا التي يدعو الإسلام المرأة إلى الالتزام بها، وهو تحولٌ جاء ضمن سعي "ايديولوجي" أوسع لبناء مجتمع الدولة الإسلامية.

طوال عقدي السبعينيات جرى ما أسماه بـ "أيقنة" الحجاب كشكل محدد للباس الشرعي للمرأة؛ أي تحويل الحجاب إلى أيقونة ترمز لمجموعة من القيم والأخلاق وتكاد تجسدها حصرياً فضلاً عن اختصاره لكل قضايا المرأة المسلمة التي تبدأ ولا تنتهي إلا به.

لقد جرى الربط الشرطي والآلي بين ارتداء الحجاب وبين الأخلاق، بحيث صار الحجاب علامةً وحيدةً وحصريّةً على الأخلاق التي يُفترض أنها تغيب بغيابه وتحضر بحضوره.. فصُكّت شعارات مثل: حجابك أخلاقك، حجابك عفتك، الحجاب فريضة كالصلاة، الحجاب قبل الحساب، الحجاب عفة طهارة نقاء، الحجاب عنوان حياتك.. وكان الربط الآلي والشرطي بين شكل معين للباس وبين معاني الحياء والعفة والطهارة والنقاء جزءاً من سمة

الاختزال والتسطيح التي غلبت على الخطاب الإسلامي الحركي ذي النفس الأيديولوجي الذي ساد حقبة السبعينيات والثمانينيات.

عندما ننقل لدلالات الحجاب "الملتزم"، الخمار والأسدال وما شابههما. فالالتزام هنا يجعل الزي أكثر صرامةً في حجب المعالم الأنثوية، وفي الإحالة لمفاهيم مرتبطة مثل رفض الاختلاط تماما والاعتماد على شكل تقليدي في الزواج. هذا النمط هو المفضل لنساء الحركات الإسلامية الوسطية نسبيا مثل الإخوان.

بينما يمثل الجلباب والحجاب الزي المفضل لنساء الحركات الإسلامية الراديكالية (التيار السلفي) فالأول يبدو معتدلا وأكثر قبولا من الحجاب كما أنه يسهل قيام المرأة بأنشطة دعوية وغيرها ويسهل توسيع دائرة علاقاتها الاجتماعية أكثر من الحجاب. ولكن مرتديات هذا الزي لا ينتمين بالضرورة لأي حركات. وكما أن ارتداء هذا الزي يمكن أن يُعبّر عن اتجاه الأهل أو الزوج ثم تبعية المرأة (كمشاهدة شاب ملتحي يرتدي القميص وترافقه زوجة ترتدي الجلباب والنقاب).

فالمرتديات الحجاب 'المُسيّس' المصحوب بالزي الشرعي «الإسلامي» الفضفاض يحرصن على طمس معالم الأنوثة لديهن ويجاهدن في سبيل تحويل أجسادهن إلى مجرد كتل "لحمية" عديمة الشكل بريئة من الفتنة. فيكون سلوكهن معبرا عن مقت لهذا الجسد الأنثوي من جهة ودخلنا في الخطاب التائيمي الذي لا يرى في المرأة إلا جسدا يستهدف القضاء على الرجال كيدا وإغراء وفتنة.

3-3 دلالات تأكيد الهوية الثقافية:

تمثل دلالة سوسيوثقافة تكشف عن الحراك الاجتماعي وتومئ إلى تغيير أصاب مختلف الأنساق والبنى. فالثقافة المهددة صارت اليوم تبحث عن وسائل مقاومة متعددة لتواجه بها أعداء الإسلام منها الحجاب الفاصل بين مقومات هويتنا وهويتهم، ديننا ودينهم، أخلاقنا

وأخلاقهم، نساءنا ونساءهم إلى غير ذلك من الثنائيات المتضادة الموضحة لعلاقة الأنا بالآخر.

يثير نمط الحجاب المحتشم الأنيق أحيانا انتقادات وتحفظات بعض الدعاة السلفيين باعتباره يمثل خروجاً عن روح التشريع، التي يهدف لحجب الجمال والأنوثة. بينما الانتقادات الأشد والأعنف تنصب على نمط الزي المتحرر نسبياً مع غطاء رأس (حجاب الموضة). باعتباره عند البعض "تبرجا" يتمسح في الزي الشرعي بإضافة غطاء على الشعر. هذا النمط من "الحجاب" هو الأكثر إشكالية والأعنى دلالات. فهو نمط من الاستجابة لضغط خطاب الحجاب أو "نسق الحجاب" السائد، عن طريق مجاراته والتمسح به. واستجابة لضغط حركات الموضة والتحديث. كما أن الموضة وظيفتها الإبقاء على أنوثة المرأة وذلك ما تسعى إليه الإناث كما أن الموضة تحقق الرغبة في تحقيق الذات والتميز كفرد في الجماعة، والرجال أقل ميلاً في هذا المجال من النساء، فللنساء رغبة دائمة في التغيير¹ كما أن تقدير الذات هو إدراك الفرد لنفسه ورغبته في التعبير عنها من خلال الملابس التي توضح وتؤكد اتجاهاته وقيمه وسلوكه التي تؤكد وتحدد شخصيته وتميزه عن الآخرين ومحاولاً في ذلك تحقيق التكيف النفسي الاجتماعي عن طريق ملاءمة الملابس للفرد والنشاط الذي يمارسه، وتحقيق الراحة الجسمية والنفسية والاعتماد على نفسه في اختيار احتياجاته من الملابس".²

هذا النمط أيضاً يفارق "نسق الحجب" في أكثر من مظهر، فكثير من مرتدياته لا يتحرجن من الاختلاط بالرجال أو إقامة علاقات زمالة وصدافة. أكثر تحرراً من "المحجبات". هذا النمط إذن يحمل في طياته نزعات التوفيق والتهجين كما يحمل نزعة شكلانية وميلاً لتحويل الجانب الديني إلى مجموعة من الأيقونات والطقوس المريحة والمُرضية للذات وللمجتمع.

¹ - عايدة الجوهري، مرجع سابق، ص202.

² - عليه عابدين، دراسات في سيكولوجية الملابس، دار المسيرة، عمان، ط1، 2008، ص195-196.

وهذه النزعات المرتبطة بهذا الزي تعكس سمات مميزة للتدين الشعبي المعاصر سواء للنساء أو حتى للرجال الذين يؤمنون بالاعتدال في التدين والابتعاد عن التشدد والتطرف.

المتحجبات على الموضة يحرصن على الظهور كمسلمات ملتزمات بالقيم الدينية ويتبعن الموضة في آن واحد. وأيضاً نجد من يدعوهن (محجبات المكياج) في إشارة أنّ المحجبة بإمكانها ان تستخدم المكياج مثل غيرها من غير المسلمات ومن غير المحجبات. أيضاً بإمكان المحجبات اشتراء حجابهن كل قطعة على حدة وتنسق بين البلوزات وما يتناسب معها من ربطات للخمار، أو يذهبن إلى محلات أخرى تعرض مجموعات منسقة من الأزياء بما فيها الاكسسوارات.

خلاصة الفصل:

الحجاب ثقافة متجذرة في كل الأديان السماوية. وليست في الإسلام فحسب. إلا أن الحجاب عند المسلمين أخذ بعدا لهوية المرأة ومن خلالها هوية الأمة ككل. لما يحمل من دلالات للستر والحشمة والتدين.

من المفيد أن نؤكد هنا إلى أن القرآن عندما يتكلم عن "الجلباب" و"الخمار" كان يشير إلى ممارسات تخص الألبسة التي كانت سائدة في عصر الجاهلية وبقيت خلال فترة الوحي واستمرت من بعده. فأن تضرب النساء بخمرهن على جيوبهن كما هو صريح الآية القرآنية معناه أن الخمار كان جزءاً من لباس النساء في ذلك الزمن الذي نزل فيه الوحي. ولم يفرضه القرآن على النساء، وإنما طالبهن بضربه على الجيوب. أما تعبير الضرب على الجيوب فيحتمل تأويلات متعددة لا يزال الكثير من الفقهاء يختلفون في شأنها إلى يومنا هذا.

مما سبق يظهر الحجاب (بنتوعاته ودلالاته وخطابه) ليس خاليا من البعد السياسي، بل كان وما زال في قلب المشهد الاجتماعي والثقافي والسياسي العام. ولكن المواقف السياسية البحتة - إن جاز التعبير - تتوزع إزاءه على محورين: فرض الحجاب مقابل الدفاع عن التحرر منه، وحظر الحجاب في مقابل الدفاع عن حق ارتدائه.

ففرض الحجاب تقوم به أنظمة ذات طبيعة دينية مثل المملكة العربية السعودية وإيران: عُرُفاً عن طريق جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية، أو عن طريق قانون مكتوب كما في إيران. وعلى الجانب الآخر نجد سياسات تحظر الحجاب تحت دعاوى "علمانية" مثل الحالة الفرنسية التي اعتبرت الحجاب علامة دينية يحظر ارتداؤها في المدارس حمايةً لعلمانية الدولة، كما تعتبر الحكومة التونسية الحجاب "زياً طائفياً" ومناقضاً لتقدم المرأة التونسية ولعلمانية الدولة، و تركيا تحمي مؤسساتها القيم العلمانية وتحظر ارتداء الحجاب في المؤسسات العامة باعتباره زياً دينياً..

على المحور الأول يواجه فرض الحجاب بخطاب الحريات والديمقراطية والمطالبة بعلمانية الدولة والتتديد بِنَبْيِ الدولة مذهباً دينياً محدداً وَحَمَلِ الناس عليه. وعلى المحور الثاني يواجه حظر الحجاب أو التمييز ضده بخطاب الحريات والديمقراطية - أيضاً- والتتديد بالعلمانية السلطوية التي تنتهك الحرية الدينية للأفراد.

الفصل الرابع: المواطنة إشكالية المفهوم وواقع الممارسة

تمهيد

المبحث الأول: الاشكالية النظرية لمفهوم المواطنة والأبعاد القانونية والسياسية

1- التعريف اللغوي والاصطلاحي للمواطنة

2- المواطنة والوطنية

3- المواطنة والجنسية والقومية

المبحث الثاني: المواطنة في الاتفاقيات الدولية والإقليمية

1- المواطنة وحقوق الانسان في الاتفاقيات والمواثيق الدولية

2- الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان

3- المشكلات التي تواجه تفعيل المواطنة وطريقة علاجها

4- مجالات المواطنة

المبحث الثالث: المواطنة وظاهرة الحجاب في فرنسا.

1- الإطار القانوني للمواطنة في فرنسا

2- المواطنة والجنسية في فرنسا

3- قضية الحجاب في فرنسا

خلاصة الفصل

تمهيد:

كثر الاهتمام والحديث في أدبيات الفكر المعاصر، حول مفهوم المواطنة وتداخل تداوله بين مختلف التخصصات (الفكرية السياسية والقانونية، وفي علم الاجتماع والنظريات النسوية.....). وتحتل المواطنة بشكل عام الصدارة في ترتيب قيم الديمقراطية باعتبارها شرطها الأساس. ذلك أنّ المواطنة هي الأداة الفاعلة الوحيدة لتكريس سيادة القانون. والمواطنة هي المحرك الذي يُعنى بتفعيل حقوق الإنسان، وتحويلها من منظومة قانونية مجردة إلى منظومة سلوكيات، وأفعال تمارس قيمها ومبادئها إلى واقع ملموس يعيشه الأفراد والجماعات على كافة المستويات. فلا جدوى لحقوق الإنسان في غياب ديناميكية المواطنة لأنها أكثر الآليات صدقا لتأكيد عالمية هذه الحقوق وترابطها.

للمفهوم النظري للمواطنة أبعاداً قانونية وسياسية تستدعي شيئاً من التأسيس النظري حتى نَفك التشابك والتداخل بينه، وبين المفاهيم القريبة واللصيقة به كمفهوم الوطنية والقومية والجنسية وكافة مجالات ممارسة المواطنة.

كما نحاول الإطلاع على واقع حقوق الإنسان في الاتفاقات والمواثيق الدولية التي تخص المواطنة وقضايا الحجاب في فرنسا، وخاصة ما تعلق منه بمنع الخمار في المدارس وحظر النقاب في الأماكن العامة.

المبحث الأول: المواطنة المفهوم النظري والأبعاد القانونية والسياسية

1 - الإشكالية النظرية لمفهوم المواطنة:

1-1 التعريف اللغوي والاصطلاحي للمواطنة:

مفهوم المواطنة من المفاهيم التي يدور حولها جدلٌ كبيرٌ، لذا يصعبُ أن نجدَ لها تعريفاً يُرضى كل المختصين، ممّا أشكّلَ ضبطه كمفهوم وصعبَ تحديده أبعاده منهجياً ومعرفياً وبالتالي يختلف مفهوم المواطنة تبعاً للزاوية التي نتناولها منها، وتبعاً لهوية من يتحدث عنها وتبعاً لما يراد بها.

أصل كلمة مواطنة في اللغة العربية منسوبة إلى الوطن، وهو المنزل الذي يقيم فيه الإنسان. والجمع أوطان، ويُقال وَطِنَ بالمكان وأُوطِنَ به أي أقام، وأُوطِنَهُ اتَّخَذَهُ وَطْناً، وأُوطِنَ فلانٌ أرضَ كذا أي اتَّخَذَهَا مَحَلًّا وَمَسْكناً يقيم فيه".¹

أمّا عن الأصل اللاتيني لكلمة مواطنة " تُطلق كلمة مواطن على ساكنٍ للمدينة وللمشارك في شؤونها، ويتمتع بالحق المدني ويقوم بواجب المواطنة".² وقد كان استخدام الرومان في البداية مفهوم المواطنة كوسيلة للتفرقة بين ساكني مدينة روما وبين أولئك الذين هزمتهم روما في الحرب واستولت على بلدانهم وضمتها لأراضيها"³

إنّ مفهوم المواطنة ليس حديثاً بل إنّه متناهي القِدَم، فمصطلح المواطنة يعود إلى عصور الدولة اليونانية والرومانية، وقد تطوّر مفهوم المواطنة بشكل مستمرّ، إلّا أنّه تراجع بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، وفي فترة الإقطاع وحتى نهاية العصور الوسطى والتي امتدت ما بين 300 م - 1300 م عاد المفهوم للتطور بعد ذلك متأثراً بحدثين هامين هما: إعلان استقلال

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة وطن حرف الواو، ج 6، دار المعارف، القاهرة 1984، ص 4868.

² رجب بودبوس، القاموس السياسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الجماهيرية الليبية، 2003، ص 155.

³ The New Ency. Britannica. art. citizenship. vol 3. P.332

الولايات المتحدة في عام 1786م، وبالمبادئ التي جاءت بها الثورة الفرنسية في عام 1789م فكانت نقطة تحول تاريخية في مفهوم المواطنة¹.

وأما من الناحية الاصطلاحية: المواطنة هي الارتباط الاجتماعي والقانوني بين الأفراد يلتزم فيه الفرد اجتماعياً وقانونياً بالجمع بين الفردية والديمقراطية، ويكون الفرد مواطناً إذا ما التزم باحترام القانون، واتباع القواعد ودفع الضرائب والمحافظة على أموال الدولة، وأداء الخدمة العسكرية والإسهام في نهضة المجتمع المحلي وتحسين نوعية الحياة السياسية والمدنية للدولة². كما يُعرّفها مركز التربية الوطنية. أنّها "العضوية في الجماعة السياسية، وأعضاء الجماعة السياسية مواطنوها، وبذلك فالمواطنة هي أيضاً العضوية في المجتمع، والعضوية تتطلب المشاركة القائمة على الفهم الواعي، والتفاهم، وقبول الحقوق والمسؤوليات"³.

وتشير دائرة المعارف البريطانية إلى أن المواطنة "علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة متضمنة مرتبة من الحرية، وما يصادبها من مسؤوليات فتُسبغ عليه حقوقاً سياسية مثل حقوق الانتخاب وتولي المناصب العامة. وميّزت الدائرة بين المواطنة والجنسية التي غالباً ما تُستخدم في إطار الترادف إذ أن الجنسية تضمن بالإضافة إلى المواطنة حقوقاً أخرى مثل الحماية في الخارج"⁴.

في حين لم تميز الموسوعة الدولية، وموسوعة كولير الأمريكية بين الجنسية والمواطنة فالمواطنة في (الموسوعة الدولية) هي عضوية كاملة في الدولة، وتؤكد الموسوعة أنّ المواطنين لديهم

¹ جاب الله، عبدالحميد صبري(2005)، "تطوير التربية للمواطنة في العالم العربي في ضوء الاتجاهات العالمية"، مجلة التربية، قطر، السنة 34، العدد152: ص156-157.

² - John. Patrick, J.(1999), **The Concept of Citizenship in Education for Democracy**. pp.2-3. (ERIC Digest- ED432532-www.eric.ed.gov).

³ Center For Civic Education (1998 September). **The Role of Civic Education**, from the world wide web: <http://www.Civiced.org/stds-htm>

⁴ Encyclopedia , Boor international nnica .Inc , The New Encyclopedia peered , Britannica , Vol . 20 . pp .

بعضُ الحقوق مثلُ حقِّ التصويت والترشُّح وحقُّ تولِّي المناصب العامة وكذلك عليهم بعضُ الواجبات مثلُ واجبِ دفع الضرائب والدفاع عن بلدهم¹. وفي موسوعة (كولير) الأمريكية، المواطنة هي "أكثرُ أشكالِ العضوية اكتمالا في جماعة سياسية ما"².

في قاموس علم الاجتماع تمَّ تعريف المواطنة بأنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول (المواطن) الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة³. والمواطنة تقوم على المساواة بوجه عامّ فهي أن يتساوى الأفراد في الحقوق والواجبات، فلا تمييزٌ بينهم بسبب الجنس أو اللون أو الدين أو العقيدة.. الخ، وقد استقرت معظمُ المواثيق الدولية، والدساتير على التمسك بمبدأ المساواة والتأكيد عليه⁴.

أنَّ العنصرَ الأساسيَّ في مفهوم المواطنة هو الولاء والانتماء الذي لا يمكن أن يتحقَّق دون التربية على المواطنة، من هنا يمكن أن نستنتج أن المواطنة هي روح الديمقراطية وقلبها النابض. وقد تطوَّر المفهومُ الحديث للمواطنة مع تشكُّل الدولة القومية والتي تحتكر لنفسها السيادة المطلقة داخل حدودها.

من أجل منع استبداد الدولة وسلطتها، نشأت فكرة المواطن الذي يمتلك حقوقاً مدنيةً تتعلق بالمساواة مع الآخرين، وحقوقاً سياسيةً تتعلق بالمشاركة في اتخاذ القرار السياسي، وحقوقٍ جماعيةٍ ترتبط بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

¹World Boor international , The World Boor Enyelere , London World Boor Inc ,(n-d) Vol 4 p.15.

² أحمد صدقي الدجاني، مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية الإسلامية، مركز يافا للدراسات والأبحاث ، القاهرة ، 1999 ، ص5

³ محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1995، ص 56.

*انظر على سبيل المثال: إعلان الاستقلال الأمريكي الصادر سنة 1776م، والتعديل الخامس عشر للدستور الأمريكي الصادر عقب انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية ، المادة 15 من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان الموقعة سنة 1950 ، المادة 4/1 من مشروع الدستور الأوروبي الموحد، ولمزيد من التفاصيل راجع: د. خير الدين عبداللطيف محمد: اللجنة الأوروبية لحقوق الإنسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2005 ، ص108، 109.

لذا تُعرّف الدولة القومية باسم دولة القانون والمؤسسات المستندة إلى الإرادة الشعبية فهذه العناصر الثلاث (السيادة، القانون، والمؤسسات الديمقراطية) هي ما يُعطي لمفهوم المواطنة معناه. وتقاس المواطنة استناداً إلى معيارٍ أساسي هو الجنسية كرابطة قانونية وفقاً لهذه الرابطة للانتماء، وفي هذا السياق تُتيح المواطنة مجموعةً من الحقوق كحقّ الترشيح والانتخاب وتوليّ الوظائف العامة، ومجموعة من الواجبات كأداء الخدمة العسكرية، وذلك دون النظر إلى دينه أو أصله أو جنسه.

1- 2 المواطنة والوطنية:

"لا يمكن حمل معنى المواطنة على مدلول التربية الوطنية، لأنّ هذه الأخيرة تُحصَر في علاقة الفرد بوطنه، افتخاراً به واعتزازاً بهويته ودفاعاً عن بلده في حين أنّ التربية على المواطنة تُعدّ أوسع نطاقاً، بما أنّها تشمّل التربية الوطنية وتجعلها مكوّناً من مكوّناتها"¹ بل تتعداها لتُدخِل في نسيجها جوانبَ أخرى من "معارف قانونية وثقافية وتاريخية و تمنح القبول بتباين الآراء والمعتقدات وعدم التمييز بين الأجناس والألوان والتسامح والحريات والمساواة"². "ومعرفة قواعد الحياة الجماعية، وصيغ حلّ النزاعات بالطرق السلمية كالوساطة واستظهار القيم والمبادئ المستمدّة من بنود حقوق الإنسان"³. ومعنى ذلك أنّ صفة الوطنية أكثر عمقاً من صفة المواطنة أو أنّها أعلى درجات المواطنة، فالفرد يكتسب صفة المواطنة، بمجرد انتسابه إلى جماعة أو لدولة معينة، ولكنه لا يكتسب صفة الوطنية إلا بالعمل والفعل لصالح هذه الجماعة أو الدولة، وتصبح المصلحة العامة لديه أهمّ من مصلحته الخاصة.

وقد أشار عبدالنواب إلى أنّ الحديث عن المواطنة والوطنية يَخْتَلِف عن الحديث عن الانتماء والولاء، فأحدهما جزء من الآخر أو مكملّ له. فالانتماء مفهومٌ أضيق في معناه من الولاء،

¹ توبي لحسن، الحجاج والمواطنة، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص158.

² نمر فريجة، فعالية المدرسة في التربية الوطنية، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، القاهرة، 2006، ص23

³ François audigier(1999).p22.

والولاء في مفهومه الواسع يتضمن الانتماء، فلن يحب الفرد وطنه ويعمل على نُصْرَتِهِ، والتضحية من أجله إلا إذا كان هناك ما يربطه به، أما الانتماء فقد لا يتضمن بالضرورة الولاء، فقد ينتمي الفرد إلى وطن مُعَيَّنٍ ولكنّه يُحجِمُ عن العطاء والتضحية من أجله¹.

لذلك فالولاء والانتماء قد يمتزجان معاً حتى أنه يصعب الفصل بينهما، والولاء هو صدق الانتماء، وكذلك الوطنية فهي الجانب الفعلي أو الحقيقي للمواطنة. والولاء لا يولد مع الإنسان وإنما يكتسبه من مجتمعه، ولذلك فهو يخضع لعملية التعلم والتربية فالفرد يكتسب الولاء "الوطني" من بيئته أولاً، ثم من مدرسته، ثم من مجتمعه بأكمله حتى يشعر الفرد بأنه جزء من كل².

أما في الاصطلاح فالوطنية، تأتي بمعنى حبّ الوطن Patriotism في إشارة واضحة إلى مشاعر الحب والارتباط بالوطن وما ينبثق عنها من استجابات عاطفية، أما المواطنة Citizenship فهي صفة المواطن، والتي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية، وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه، وخدمته في أوقات السلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردية الرسمي والتطوعي في تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحد من أجلها الجهود وتُرسم الخطط وتوضع الموازنات³.

وتُعرّف الموسوعة العربية العالمية الوطنية بأنها "تعبيرٌ قويم يعني حبّ الفرد وإخلاصه لوطنه، الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة

¹ عبدالنواب، عبدالله عبدالنواب، دور كليات التربية في تأصيل الولاء الوطني، القاهرة، مجلة دراسات تربوية، 1993، ص108.

² -السلیمان، سليمان سعد، اتجاهات بعض المربين نحو الدراسات الاجتماعية في مدينة الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، رسالة الخليج العربي، ع38، 1991، ص196.

3 -حمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص60-62.

الوطن. ويوحى هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة".¹ كما تُعرَّفُ بأنَّها "الشعورُ الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة، ويملاً قلوبهم بحب الوطن والجماعة، والاستعداد لبذل أقصى الجهد في سبيل بنائهما، والاستعداد للموت دفاعاً عنهما".

1- 3 المواطنة والجنسية والقومية:

الجنسية Nationalité اشتقاق عن لفظ Nation (الأمة) والتي تعني شعباً يُقيَّمُ بإقليمٍ محدّدٍ تحت نظام سياسي موحد، "فالجنسية هي حالة الانتماء الى أمة معينة خاصة لو كان هذا الانتماء عن طريق شهادة الميلاد"²

ولعلَّ الترجمة العربية للفظ Nationalité بالجنسية دقيقة جداً، من حيث أنَّ الجنس هو الضربُ من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير"³ وهو ما جاء في دائرة المعارف البريطانية سواء كان الحاصل على الجنسية أفراداً أو مؤسساتٍ أو سفناً، أو طائرات"⁴ إذن الجنسية بهذا المعنى هي ارتباطٌ قانوني سياسي معنوي بدولة معينة.⁵

فالفرق أنَّ الجنسية تخلف تضامناً في أداء الواجبات بينما المواطنة تمنح حقوقاً"⁶. فالمواطنة هي الامتياز الأسمى للجنسية"⁷، فالمواطنة تتطلب أولاً الحصول على الجنسية. وليس كلُّ حاملٍ للجنسية يمتلك مواطنةً كاملةً وليس عضواً كامل الحقوق كأن من حق الانتخاب أو الترشح."⁸

¹ -الموسوعة العربية العالمية(1996). مرجع سابق، ص110.

² Macmillan Contemporary Dictionary. art nation. p :674.

³ ابن منظور، لسان العرب، مادة الجنس (حرف الجيم)، ج1، ص700.

⁴ The New Ency. Britannica. art. citizenship. vol 3. P.332

⁵ جيرار كورنو، معجم المصطلحات القانونية: ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1998، ص373.

⁶ ألان تورين، ما هي الديمقراطية حكم الأكثر أم ضمانات الأقلية، ترجمة حسن قبيسي، ط2، دار الساقي، بيروت، 2001، ص95.

⁷ The New Ency. Britannica. art. citizenship. vol 3. P.332

⁸ Routledge ENCY.of philosophy. Art Citizenship.vol2. p. 362

أما القومية فهي إخلاصٌ يكون في العادة متعصِّبًا تجاه بلد الشخص (الأصلي) وتراثه وتقاليده". والقومية هي التعبير عن روح التحرير من الاحتلال، وإنشاء الدولة القومية المستقلة التي يحكم شعبها نفسه بنفسه.... والولاء هو الشرط الذي تُبنى عليه الروحُ القومية¹. وعليه تُعتبر الجنسية رابطةً قانونيةً بينما القومية هي رابطةٌ روحيةٌ.

¹Macmillan Contemporary Dictionary. art **nationalism**. P. 674.

المبحث الثاني: المواطنة في الاتفاقيات الدولية والإقليمية

1- المواطنة وحقوق الانسان في الاتفاقيات والمواثيق الدولية:

جاءت كافة الاتفاقيات والمواثيق الدولية لتؤكد على المساواة بين البشر وعدم جواز التمييز فيما بينهم بسبب العرق، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو غيرها من معايير التمايز والاختلاف بين البشر. وعلى هذا الأساس صاغت منظمة الأمم المتحدة مفهوم المواطنة، حيث نصت المادة الثالثة عشرة من وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948م على أنه «يَحِقُّ لكلِّ فردٍ أن يغادرَ أيَّةَ بلادٍ بما في ذلك بلدَه كما يحق له العودة إليه» كما أكّدت المادة الخامسة عشرة من الإعلان أن «لكلِّ فردٍ حق التمتع بجنسية ما، وأنه لا يجوز حرمان شخصٍ من جنسيته تعسُّفاً أو إنكار حقه في تغييرها..»

قد أكد العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام 1966م عدم جواز التمييز بين مواطني الدولة الواحدة لأي من الأسباب، حيث نصت المادة الخامسة والعشرون منه على أن تتاح لكل مواطن دون أي وجه من وجوه التمييز (بسبب العرق، أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين، أو الرأي، أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الثروة أو النسب، أو غيره) فرصة التمتع بمجموعة من الحقوق دون قيود غير معقولة. وتشمل هذه الحقوق المشاركة في إدارة الشؤون العامة إما بشكل مباشر أو من خلال ممثلين يتم اختيارهم في حرية الترشح والانتخاب في انتخابات عامة دورية نزيهة، على قدم المساواة بين الناخبين وبالتصويت السري بما يضمن التعبير الحر عن إرادة الناخبين، فضلاً عن الحق في تساوي الفرص بين المواطنين في تقلد الوظائف العامة في دولتهم.

أما الأمم المتحدة فقد أقرت البرنامج العالمي للتربية لحقوق الإنسان 2006-2009. هذا البرنامج الذي اعتمدته الحكومات التي تحاول إدراج محتوى يُدرّس على مستوى المنظومات التربوية. ووضعت أوروبا برنامجاً ثانياً تحت شعار "التربية للمواطنة"، وأقرت سنة 2005 السنة الأوروبية للمواطنة عبر التربية. اجتمع ممثلو 48 بلداً ومنظمات ومؤسسات عالمية في رومانيا

يومي 27 و 28 أبريل 2006م، لتقويم نتائج السنة الأوروبية للمواطنة عبر التربية¹. ووزارة التربية الفرنسية بعثت بمذكرة في نوفمبر 2004م لكل مسؤولي التربية تحثهم على إدراج التربية للمواطنة في الطور الابتدائي ضمن ما عرف ببيداغوجية المسار².

2- الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان:

" تم التوقيع على الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان وحرياته الأساسية في مدينة روما في 4 نوفمبر عام 1950م، وقد وقعتها الدول الأعضاء في مجلس أوربا، ودخلت حيز التنفيذ في 3 سبتمبر 1953م، وجاءت هذه الاتفاقية نتيجة طبيعة الإعلان العام لحقوق الإنسان باعتباره يهدف الى ضمان العالمية والاعتراف الفعال ورعاية الحقوق. وهي تُعد الدستور الأساسي للدول الأوروبية في مجال حقوق الإنسان"³.

كما تؤكد الاتفاقية إيمانها العميق بالحرية الأساسية للفرد، التي تعد أساس العدالة والسلام في العالم، وقد تم تعديلها أكثر من مرة، ونصت الاتفاقية على الحقوق التالية:

"منع التعذيب والعقوبات أو المعاملات غير الإنسانية ومنع الرق، والحق في الحرية والأمان وفي محاكمة عادلة، وفي احترام الحياة الخاصة، وحرية التفكير والضمير والعقيدة، وحرية الرأي والتعبير، والتجمع السلمي، وتكوين النقابات، واحترام الملكية، وحق التعليم والانتخاب، وحق التنقل، وحق اللجوء السياسي"⁴.

¹ Goucha. M, 2007, compte rendu sur la note concernant l'éducation à la citoyenneté, Section philosophie et sciences humaines, MEN, France.

² MEN. Desco A9, 2004, l'éducation à la citoyenneté, note de service du ministère de l'éducation français, France.

³ حسين أحمد رشوان، حقوق الإنسان دراسة في علم الاجتماع القانوني، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012، ص111.

⁴ مدهش عبدالله معمري، الحماية القانونية لحقوق الإنسان، المكتب الجامعي الحديث، 2007، ص196.

الى جانب الاتفاقيات الدولية والإقليمية وهناك حقوق في الإطار الوطني ويقصد بها " تَبَيُّ هذه الحقوق في صُلب موادها، حيث تضع الدساتيرُ القواعدَ، والمبادئَ العامة للحقوق والحريات، ثم يأتي بعد ذلك دور المشرع لينفذها وينظمها طبقاً للنظام السياسي في كل دولة"¹. ويعد ذلك ضماناً من ضمانات حقوق الإنسان.²

3- المشكلات التي تواجه تفعيل المواطنة وطريقة علاجها؟

يشير "سيرز وهيسلوب ومارجسون" إلى أن من بين القوى الرئيسية المحفزة لبروز ذلك الاهتمام العالمي الكبير بموضوع حقوق وأوضاع الأقليات العرقية، والثقافية في المجتمعات متعددة الأعراق، وقيم وممارسات ومسؤوليات المواطنة الديمقراطية خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين: شعور النظم الديمقراطية حول العالم بوجود أزمة كبيرة مترتبة على إجماع المواطنين عن المشاركة حتى في أكثر العناصر أهميةً من الحياة المدنية"³.

من الشائع التعبير عن هذا الأمر بشكل متكرر من جانب الأدبيات البحثية ووسائل الإعلام المختلفة. ويُبرز الجدول التالي عرضاً عاماً لعدد من المشكلات، والأزمات الرئيسية التي تواجه تفعيل غرس مبادئ المواطن، في عقول أفراد المجتمع وبخاصة: فئة الشباب منهم:

¹ حسن على، حماية حقوق الإنسان ضمانات الحرية في نظم السياسة المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1985، ص 26.

² عبدالعزيز محمد سرحان، الإطار القانوني لحقوق الإنسان في القانون الدولي، جامعة عين شمس، القاهرة، 1987، ص 22.

³ - Sears, A.& Hyslop -Margison, E.(2007), Crisis as a Vehicle for Educational Reform: The Case of Citizenship Education. The Journal of Educational Thought. Calgary: Spring. Vol. 41, Iss. P46-47.

جدول (2) يبين عرضاً لأزمات المواطنة وصورها المختلفة وسبل حلّها ومواجهتها

أزمات ومشكلات المواطنة	صورها وتجلياتها المختلفة	سبل حلّها ومواجهتها عملياً
الجهل بالمعرفة والعمليات المدنية	العزوف عن المشاركة في الممارسات السياسية الرسمية (مثل: التصويت في الانتخابات، والانضمام إلى الأحزاب السياسية).	تفعيل مشاركة أفراد المجتمع في العمليات السياسية المختلفة.
الاغتراب عن مجال السياسة والمجتمع المدني	العزوف عن المشاركة في الجمعيات والهيئات التطوعية غير الرسمية (مثل: مؤسسات العمل التطوعي، ومؤسسات المجتمع المدني).	تفعيل المشاركة النشطة لأفراد المجتمع في هيئات ومؤسسات المجتمع المدني.
اللامبالاة بقيم الديمقراطية والمواطنة الديمقراطية	* تنامي النزعة نحو التطرف السياسي والاجتماعي (مثل: الانضمام إلى جماعات النازية الجديدة وحلّقي الرؤوس ذوي النزعة العنصرية المضادة للأجانب، بالإضافة إلى التمتع بتعبيرات عنيفة عن الأصولية والتعصب الديني (الإرهاب)). * زيادة الأنماط العنيفة/الهدامة من المشاركة في النشاط السياسي (مثل: المظاهرات التي شهدتها مدينة سياتل الأمريكية ضد العولمة، والاحتجاج ضد الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول محمد (ص) في أوروبا).	الانخراط في أنشطة سياسية تتمتع بالاحترام وعدم اللجوء إلى استخدام العنف في التعبير عن الرأي (مثل: المشاركة في مظاهرات سلمية وحملات العمل السياسي).

4- مجالات المواطنة:

يرى كلٌّ من " هيبرت وسيرز" أنّ هناك أربعة مجالاتٍ، وأبعاد رئيسية للمواطنة هي: (الأبعاد: المدنية، والسياسية، والاجتماعية الاقتصادية، والثقافية). وتتمتع تلك المجالات والأبعاد الأربع الحالية، بدرجة كبيرة من الدينامية والترابط الوثيق، في ظل علاقة قائمة على دعائم التفاعلات المعقدة في إطار السياق الراهن للعولمة¹ كما يلي:

4- 1 المجال المدني للمواطنة:

يشير إلى أسلوب الحياة الذي يمكن المواطنين من خلاله السعي نحو تحقيق مجموعة من الأهداف المشتركة الوثيقة الصلة بالمبادئ والأسس الديمقراطية للمجتمع، وتتضمن مجموعة القيم الأساسية، والقيود المفروضة على قدرة الحكومة على صنع واتخاذ القرارات المتعلقة بالمواطنين، وحقوق الجماعات والهيئات والمؤسسات ذات المصالح الخاصة في المجتمع. كما يتضمن - أيضا - حرية التعبير عن الرأي والمساواة أمام القانون بالإضافة إلى حرية الاجتماع وتكوين الجمعيات، والوصول إلى المعلومات والبيانات المطلوبة عبر الانترنت.

4- 2 المجال السياسي للمواطنة:

يتضمن تمتُّع الفرد بالحق في التصويت، وفي الانتخابات والمشاركة السياسية. وفي هذا الإطار يمكننا الإشارة إلى أنّ الانتخابات الحرة والنزيهة، تُعدّ بمثابة الركيزة الأساسية لهذا البُعد للمواطنة، كما هو الحال في حقوق الأفراد في التمتع بالحرية في السعي نحو تولّي المناصب السياسية في المجتمع. وبمعنى آخر، فإنّ المواطنة السياسية تشير في جوهرها إلى مجموعة الحقوق والواجبات السياسية الوثيقة الصلة بالنظام السياسي القائم في المجتمع.

¹ Hebert, Y., & SEARS, A. (2003) Citizenship education. The Canadian Education Association, retrieved from Available at http://www.cea-ace.ca/media/en/Citizenship_Education.pdf.

4-3 المجال الاجتماعي الاقتصادي للمواطنة:

يتضمن تعريف الحقوق الاجتماعية، وتتطلب ضرورة تمتعهم بالولاء والانتماء والتضامن الاجتماعي، وتمتعهم بالحق في الشعور بالأمن والعيش في بيئة آمنة. أما مفهوم المواطنة الاقتصادية فيشير بدوره إلى العلاقات التي تربط ما بين الفرد وسوق العمل والاستهلاك في المجتمع، ويتضمن ضرورة تمتع الفرد بشكل ضمني بالحق في العمل والحصول على الحد الأدنى المطلوب من وسائل المعيشة وكسب الرزق.

4-4 المجال الثقافي الجماعي للمواطنة:

يشير إلى الطريقة التي تأخذ المجتمعات المختلفة من خلالها في الاعتبار جوانب وأبعاد التنوع الثقافي المتزايد بها، والتي تعود بالأساس إلى تمتعها بدرجات أكبر من الانفتاح على الثقافات الأخرى، وبروز الهجرة الدولية. كما يشير مفهوم المواطنة الثقافية هنا إلى مدى الوعي بالتراث الثقافي المشترك للمجتمع، وتتضمن سعي الأفراد إلى الحصول على اعتراف المجتمعات بالحقوق الجماعية لأفراد الأقليات بها، وترتكز العلاقة التي تربط ما بين الثقافة والدولة بالأساس على دعائم حقوق الإنسان التي تُقرُّ بالأبعاد الإنسانية (ذات الطابع الأنثروبولوجي) للفرد، والتي تتضمن توافر تصورٍ مفاهيمي محدّد عن البشر وشعورهم بالعزة والكرامة، وتأكيد مبدأ المساواة القانونية وحماية الفرد من كافة صور وأشكال التمييز التي تظهر بسبب عضويته في مجموعة أو فئة أو شريحة معينة في المجتمع. مع منح جميع الأفراد ولأهم السياسي للدولة والنظام الحاكم.

المبحث الثالث: المواطنة وظاهرة الحجاب في فرنسا.

1- الوجود الإسلامي في فرنسا

1-1 المسلمون في فرنسا:

استوطن المسلمون فرنسا في مرحلتين اثنتين عبر التاريخ، إحداهما تتعلق بهجرة، ثم تهجير مسلمي الأندلس الجارة. وتمتدّ هذه المرحلة من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر الميلادي. أما المرحلة الثانية فتبدأ من الحرب العالمية الأولى في مطلع القرن العشرين إلى يومنا هذا. بلغ عدد سكانها حسب معهد الاحصاء الفرنسي (insee) 65.4 مليون نسمة سنة 2010. يتشكلون من مختلف الأجناس والأعراق لكونها دولة استقطاب للمهاجرين، والذين يشكلون حوالي ثلث السكان. وفرنسا دولة علمانية تعتبر الحرية الدينية حقا دستوريا. وتركيبها الدينية أغلبيتها على النصرانية الكاثوليكية 65% فيما يبلغ عدد اللادينيين 12.6% وتأتي الديانة الإسلامية في الدرجة الثالثة حوالي 8.4% ما يشكل قرابة 5.3 مليون مسلم أغلبهم من شمال أفريقيا ويشكل البروتستانت حوالي 2% فقط من السكان، واليهود 1% كذلك البوذيون حوالي 1%، أما الذين يؤمنون بأديان أخرى فتصل نسبتهم إلى نحو 10% تقريبا من السكان. تصنف حوالي 97% من المدارس الخاصة في فرنسا هي مدارس كاثوليكية. ويوجد فقط 4 مدارس إسلامية في فرنسا.¹ و يوجد حوالي 2260 مسجد في فرنسا.²

هذه الأرقام ليست رسمية أو حكومية، فقانون الإعلام والحريات (Informatique et libertés) يمنع تعداد المواطنين حسب انتمائهم العرقي أو الديني أو الفلسفي. فطبيعة هذه الأرقام لا تتجاوز كونها استقراءات علماء الاجتماع واستطلاعات مراكز مختصة للرأي.

¹ Immigrés et descendants d'immigrés en France,» Institut National de la Statistique et des Etudes : Economique (2012), <http://www.insee.fr/fr/ffc/docs_ref/immfra12_a_sommaire.pdf>.

² <https://ar.wikipedia.org/wiki/مساجد>

وفقا لدراسة لمعهد الوطني للدراسات الديموغرافية INED فان الغالبية الساحقة من مسلمي فرنسا هم من المغرب العربي ونسبتهم 82% من مجمل مسلمي فرنسا. (43.2% من الجزائر و27.5% من المغرب و11.4% من تونس) و9.3% من أفريقيا جنوب الصحراء و8.6% من تركيا، و0.1% فرنسيون تحولوا إلى الإسلام (حوالي 70,000 متحول للإسلام).¹

توفر الحكومة الفرنسية أراضي لبناء المساجد في جميع مدن فرنسا ولا تفرض أي ضغوطات على المسلمين في التمسك بمعتقداتهم، كما أن الرئيس السابق نيكولا ساركوزي شجع المنشآت التجارية الكبرى على توفير اللحم الحلال، على مدار السنة وطبعاً تم التقيد بهذا الرأي في كل المحال الكبرى مثل "كارفور" و"كورا" و"جيان" مئات المحال الأخرى إضافة إلى توفير المأكولات المغاربية والشرقية العربية في شهر رمضان.

فرنسا دولة لا دينية منذ عام 1905، فهي لا تعترف بالأديان ولا تعاديها، فدستورها ينص في مادته الثانية أنها «جمهورية علمانية، لكنها تحترم كل الأديان». فنظرياً وقانونياً يعامل الإسلام في فرنسا، كما تعامل جميع الأديان بما في ذلك الكاثوليكية التي كانت فرنسا تعتبر ابنتها البكر قبل الثورة الفرنسية. هذا ما تنص عليه قوانين كثيرة أما في الواقع المعاش فيختلف الأمر قليلاً أو كثيراً حسب تعاقب السياسات وتقلب الأحداث المتعلقة بالإسلام محلياً أو عالمياً.

1-2 تمثيل الإسلام في فرنسا:

الجمعيات والهيئات التي تمثل الإسلام في فرنسا كثير وأبرزها:

- المعهد الإسلامي ومسجد باريس الكبير الذي دشن في 1926 والمساجد الإقليمية التابعة له وقد اعتُبرت هذه المؤسسة لعدة عقود الممثل الفعلي للإسلام في فرنسا، لكن بعد ضعف

¹ Michèle Tribalat, *L'islam en France*, p. 28

إشعاعها، منذ بداية التسعينيات، وظهور هيآت إسلامية أخرى تنافسها، أصبح المعهد الإسلامي ومسجد باريس يشخص الإسلام "المعتدل" الذي تمده بالرعاية نوعا ما الحكومة الجزائرية؛

- **اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا:** وهو تنظيم يعتبر نفسه امتدادا لـ "الإخوان المسلمون" ويدير بعض المساجد والمدارس، والمخيمات الشبابية كما يقيم مؤتمرا سنويا تُلقى فيه المحاضرات وتُعرض فيه الكتب المبيعات "الإسلامية"، ويدير الاتحاد معهدا إسلاميا -حسب رؤيتهم للإسلام- يحمل اسما محايدا فهو يُدعى رسميا المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية وكثير من دروسه تعطى عن طريق المراسلة، ويسعى الاتحاد من خلال معهده تكوين الأئمة ونشر الكتب الإسلامية باللغة الفرنسية.

- **الفيدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا** وقد تأسست سنة 1985 م برعاية رابطة العالم الإسلامي التي اعتمدت في إيجادها وتسييرها على فرنسيين معتنقين للإسلام من أمثال الشيخ يعقوب روتي ويوسف لوكليرك. ثم تغير مع مرور الزمن أعضاء مجلس إدارة الفيدرالية، فاستقلت عن الرابطة لتقترب من الحكومة المغربية، وتضم حاليا أكثر من 150 جمعية.

- **جماعة الدعوة والتبليغ** وأصل مذهبهم من الهند، وهم دعاة متجولون زاهدون لا يخوضون في السياسة ولا يتدخلون في النقاش الاجتماعي. وينقسمون إلي جمعيتين أساسيتين، وقد تفرغوا لإعادة أسلمة من "ابتعد عن الإسلام" ويرى الكثيرون في ذلك دعوة لاعتناق مذهبهم لا أكثر. ويمتلكون العديد من المساجد والمصليات في كبرى المدن الفرنسية خاصة.

1-3 فرنسا وقانون الهجرة: والنظام السياسي الفرنسي جمهوري ديمقراطي، إلا أنه يشهد في مطلع القرن الواحد والعشرين تقدم اليمين المتطرف المعروف بسياسته غير المتسامحة مع المهاجرين، وهو ما يهدد مستقبل المواطنة. كما تعتبر فرنسا نموذجا مثاليا في ممارسة الديمقراطية ورعاية حقوق الإنسان، وتحقيق التوافق والانسجام الاجتماعي، والاندماج بين الأعراق والأجناس المختلفة التي تعيش على أراضيها، وهذا لعراقة التجربة الديمقراطية في الدولة الفرنسية. كما تعمل على "تأصيل ثقافة احترام القانون وفعالية الأجهزة الإدارية

ونزاهتها.¹ واستقلالية القضاء وعدالته. وعلى الرغم من أنّ مفهوم المواطنة أخذ صبغة عالمية إلا أنها لاتزال تُضفي عليه ضوابط تتناسب مع الخصوصيات الثقافية، وخلفيتها الحضارية وتتلاءم مع أوضاعها الاقتصادية.

واحدة من خصوصيات النموذج الفرنسي للمواطنة هو ربط معنى المواطنة بمفهوم الجنسية والذي تتأسس عليه شروط المشاركة السياسية... وعلى الرغم من التطورات القانونية في مجال المواطنة فالجنسية والمواطنة تبقين مترادفتين في الخطابات الفرنسية... تتعامل الدولة مع الأفراد كشركاء ولا تفعل ذلك مع الجماعات الدينية والعرقية... فالنموذج الفرنسي يقوم على فكرة - المواطنة الفعالة - أي الاهتمام بالشأن العام.²

جاء القانون رقم 2011/672 المتعلق بالهجرة والاندماج والجنسية ليُعدّل القوانين السابقة، ليسجل العودة إلى المقاربة الانتقائية والطوعية لقانون الجنسية، وذلك بفرض مجموعة من الشروط على المترشحين للحصول على الجنسية الفرنسية والمتمثلة في: معرفة التاريخ والثقافة والمجتمع الفرنسي، وكذا الإمضاء على عقد الحقوق والواجبات.³

2- الإطار القانوني للمواطنة في فرنسا:

1-2 فرنسا دولة الديمقراطية وحقوق الإنسان:

الجمهورية الفرنسية (la République française) وهي جمهورية دستورية ذات نظام مركزي وبرلماني ذي نزعة رئاسية، وهي تقع في أوروبا الغربية، تمتلك عضوية دائمة في مجلس الأمن، كانت إمبراطورية، ثم دولة توسعية استعمارية، ولها عدة مناطق وأقاليم منتشرة في جميع أنحاء العالم عاصمتها باريس، ولغتها الرسمية هي الفرنسية وعملتها اليورو شعارها

¹ جاك شيراك، فرنسا جديدة...فرنسا للجميع، تر: أنطوان الهاشم، الهاشم أحم، منشورات عويدات، 1995، ص 114.

² منير مباركية، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة، وحالة المواطنة في الجزائر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2013، ص 110-111.

³ منير مباركية، مرجع سابق، ص 24.

(حرية، مساواة، إخاء). عَمَمها مكون من ثلاثة ألوان عمودية بالترتيب أزرق، أبيض أحمر نشيدها الوطني هو لامارسييز.

تلعب فرنسا دورا بارزا في تاريخ العالم من خلال تأثير ثقافته وانتشار اللغة الفرنسية، وقيمه الديمقراطية والعلمانية والجمهورية في كامل القارات الخمس، وتعتبر فرنسا مركزا عالميا بارزا للثقافة والموضة ونمط الحياة، وهي تضم رابع أكبر قائمة من حيث مواقع التراث العالمي لليونسكو، وصل عدد زوارها من السواح ما معدله 83 مليون سائح أجنبي في السنة أي أكثر من أي بلد في العالم بأسره.

2-2 المواطنة والاقتراع في فرنسا:

قد ارتبطت المواطنة بحق الاقتراع. فالمواطنون أولئك الذين لهم حق التصويت. نلاحظ أنَّ الارتباط قد تغير ليصبح الاقتراعُ هو المحورُ منذ دستور 1793 الذي تكلم عن حق المواطنة لكل أجنبي بلغ سن 21 سنة ويقيم منذ عام واحد، لكن هذا الحق الدستوري لم يطبق ولحد الآن. أقرت فرنسا الاقتراع العالمي للرجال والنساء (أمرية أبريل 1944). بالرغم من القوانين التي سنَّت والتي أعطت للأجانب حقوقا كثيرة، لا توجد أحيانا حتى في بلدانهم الأصلية، إلا أنَّ الحق في التصويت لازال مُعضلة أثارت نقاشا حادا عام 2007. لازال هذا النقاش دائرا حول تصويت الأجانب الغير أوروبيين وتصويت الأجانب الأوروبيين طبقا لمعاهدة ماستريتش 1992 التي تقرر الترشح والاقتراع في الانتخابات البلدية.

لعل الناس يعتقدون أن الحريات للمواطنة مضمونة للجميع في فرنسا لكنَّ الواقع يخبرنا بعكس ذلك. نلاحظ أن فرنسا سنَّت قوانين الاقتراع موازاةً مع الحرب العالمية الأولى. فالنساء أصبح لهن الحق في الاقتراع بعد الحرب العالمية الثانية. ويبقى الأجانبُ محرومون من حقِّ الاقتراع، بالرغم من تمتعهم بمزايا كثيرة، مهما طالَّت مدَّة الإقامة. هذا الوضع يثير نقاشات ساخنة كلما اقتربت المواعيد الانتخابية. ومطالبة الجاليات بحق الاقتراع سيقلب الموازين في حالة تحقق ذلك.

هذا كان سببا في تجلي الارتباط بين الجنسية والمواطنة. هنا يظهر جليا أنّ الحق في المواطنة يخضع أساسا للشروط الموضوعية للحصول على الجنسية. هذا الموضوع أصبح الآن من موضوعات الساعة في أوروبا، لاسيما فرنسا التي تريد التشدد في منح الجنسية.

2-3 المواطنة والجنسية في فرنسا.

جمعت الموسوعة الأمريكية بين مفهوم المواطنة ومفهوم الجنسية دون تمييز بينهما حيث يشير الأخير إلى العلاقة بين الشخص والدولة والتي ترتب للطرف الأول الحماية وتوجب عليه مجموعة من الالتزامات قبل الطرف الثاني، بحيث يؤدي إخلاله بها إلى جواز تجريده من الصفة الوطنية وحرمانه من حقوق المواطنة.

"تتميز المواطنة بالمفهوم الفرنسي بكونها تربط بين المواطنة والجنسية وتُركّز على إعطاء الحقوق الفردانية ولا تعتبر بالجماعة العرقية والدينية، والعلمانية هي الأساس الدستوري الأول في التعامل بين السلطة والمواطن، والاندماج في الثقافة الفرنسية ضروري وأكد¹. يثير موضوع الجنسية عدداً من الإشكاليات الأساسية منها ما يترتب على اختلاف معايير منح الجنسية ومنها ما ينجم عن رفض تحويل الانتماء من دولة لأخرى، ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى عدد من المفاهيم ذات الصلة:

2-3-1 منح الجنسية:

العملية القانونية التي يقوم الفرد بمقتضاها بتغيير جنسيته من دولة إلى أخرى. وتتنوع التفاصيل والإجراءات المتبعة من دولة لأخرى ولكنها عادة ما تشمل على التخلي الرسمي عن الولاء لإحدى الدول ذات السيادة والولاء لسيادة دولة جديدة.

¹ منير مباركية، مرجع سابق، ص 14. بتصرف.

يعتبر منح الجنسية بمثابة الأسلوب الوحيد، الذي يمكن به للشخص الذي لا يستطيع طلب حق المواطنة في دولة ما استناداً إلى حق المولد (رابطة الدم أو واقعة الميلاد)، أن يحصل على المواطنة في هذه الدولة.

2-3-2 ازدواج الجنسية:

تُعلّق صفة المواطن بأكثر من دولة، وهو ما يمكن أن يتم حين يكتسب شخص ما المواطنة في دولة عن طريق تباين الأسس التي يتم من خلالها اكتساب الجنسية (الدم أو الميلاد)، أو حينما يكون الشخص مواطناً بالميلاد في دولة ما ويُمنح جنسيه دولة أخرى فيما لا تقر الدولة الأولى بضرورة تخلي هذا الشخص عن انتمائه لها. وتحدد التشريعات الوطنية ما إذا كان ينبغي على الشخص مزدوج الجنسية أداء الخدمة العسكرية في إحدى الدولتين أو كليهما، إلا أنه في حالة غياب اتفاق بشأن هذا الموضوع فإن حق المطالبة عادة ما يقرر لصالح الدولة التي تمتلك السلطة الفعلية على الشخص.

هذا وفي حالة وقوع تنازع بين الدول حول الجنسية فإن المعمول به بصفة عامة، في حسم هذا النزاع إنما يكون بالرجوع إلى ما يُعرف في فقه القانون الدولي، العام والخاص، بالجنسية الفعلية أي جنسية الدولة التي يقيم فيها الشخص فعلاً وبشكل دائم وبيّاشر فيها نشاطه الرئيسي.

2-3-3 سحب الجنسية:

التصرف الذي يتم بموجبه إعفاء فرد من المواطنة، أو إسقاطها عنه بواسطة حكومته بسبب تصرفات صدرت عنه أو بناء على طلبه. وتتضمن الأفعال التي تبرر سحب الجنسية القسّم على الولاء لدولة أخرى، أو أداء الخدمة العسكرية لدولة أجنبية دون تصريح. أو التصويت في انتخابات هذه الدولة والتخلي العام عن المواطنة. والواقع أنه إذا فقد الشخص جنسيته، فإنه يصبح دون وطن وغير قادر على الحصول على تصريح بالإقامة بالسفر لدولة أخرى وبالتالي لا يمكنه المطالبة بحماية أي دولة.

2-3-4 اللاجنسية:

الحالة التي يكون فيها الفرد غير معترف به كمواطن من قبل أية دولة. قد تُنتج حالة اللاجنسية عن عدم وجود ملجأ بسبب الحرب أو الثورة أو تضارب القوانين الوطنية أو بسبب الإجراءات التي تتخذها حكومة ما ضد بعض مواطنيها، وتؤدي إلى فقدان أو إسقاط المواطنة عنهم. ويعني عدم وجود جنسية لشخص ما عدم أحقيته في المطالبة القانونية بحماية أية دولة وفي حالة اللاجئين السياسيين يعني هذا عدم القدرة على الحصول على جواز سفر أو تصريح بالدخول لأي مكان. لذا تحظى المشكلات الإنسانية والدولية للأشخاص الذين لا يتمتعون بأية جنسية واللاجئين باهتمام خاص من قبل الهيئات الدولية كالجمعية العامة والمجلس الاقتصادي والاجتماعي والمفوضية العليا لشئون اللاجئين التابعين للأمم المتحدة.

3- قضية الحجاب في فرنسا:

1-3 الجدل حول الحجاب:

" لكن بمقابل هذه الإيجابيات السابقة التي عرفت الأثر القانونية للمواطنة الفرنسية، هناك انتكاسة شديدة في السنوات الأخيرة نتيجة اعتماد مجموعة من القوانين التي اعتبرت قوانين ضد المواطنة في فرنسا الصادر بتاريخ 2004/03/04 والذي يحظر ارتداء الحجاب الإسلامي في المدارس، وكذا قانون منع ارتداء النقاب في الأماكن العامة وأماكن العمل والجامعات والمستشفيات، والمباني المملوكة للدولة، بالإضافة الى وسائل النقل العامة.¹"

" بالإمكان القول أنّ الجدل حول الحجاب في فرنسا بدأ يوم 3 أكتوبر عام 1989 في أعقاب رفض ثلاث طالبات بالمرحلة الإعدادية، اثنتان مغربيتان، وواحدة جزائرية، خلع خماراتهن بالمدرسة، وفصل مدير المدرسة لهن بحجة مخالفتن لمبدأ العلمانية والحياد الجاري العمل به في المدارس العامة.²"

" كان هذا في مدرسة جابرييل الإعدادية ببلدة كرييل وهي ضاحية فقيرة، تبعد عن باريس بمسافة 30 كلم وتسكنها إقليات مختلفة وبها عدد كبير من السكان المسلمين. وبدلاً من التعاضّي عن الواقعة واعتبارها عقوبة تأديبية عابرة من جانب المدرسة، فقد حازت مباشرة على اهتمام إعلامي كبير في فرنسا، وأصبحت رمزا لكل ما يتحدى الجمهورية الفرنسية وشمولية قوانينها و يهددها.

¹ منير مباركية، مرجع سابق، ص 17.

² سحر عامر، الحجاب: الأصول- التنوعات- التداخيات، تر: فاطمة نصر، مرجع سابق، ص 128.

2-3 قانون منع الخمار في المدارس:

حفزت تلك الواقعة المنعزلة، والمتعلقة بثلاث فتيات فقط، سلسلة من الأحداث أدت في نهاية المطاف إلى صدور قانون عام 2004 الذي يحظر ارتداء جميع أنواع الحجاب في المدارس العامة، وأدى ذلك بدوره، إلى اتخاذ دول أوروبية أخرى خطوات مماثلة.¹

" أصرّ نيكولا ساركوزي، وزير الداخلية آنذاك، على أنه ينبغي على النساء المسلمات أن تكون صورهن على تلك الوثائق سفارات، و رأى أن مقاومة النساء لتصويرهن من دون خمار هو بمثابة رفض من جانبهن لاعتناق مبادئ الجمهورية الفرنسية واستيعاب مُثُلها الأساسية، أي أن رفضهن خلعَ الخمارات أثناء التّقاط صورهن دلالة على أنّهنّ ليس بإمكانهن أن يكنّ مواطنات فرنسيات.²"

رأى كثير من السياسيين والشخصيات العامة الفرنسية «الخمارات الإسلامية رمزا للقمع ودلالة على عدم قدرة المهاجرين في فرنسا على الاندماج، وأنّ الإسلاميين في الخارج يمثلون تهديدا للمسلمين في جميع الأنحاء، علاوة على ذلك، فقد أحسّوا أنّ ثمة علاقة بين الإرهاب والتفجيرات والاعتقالات، وبين الفتيات اللاتي ارتدّين الخمار في مدارس المرحلة الإعدادية بفرنسا. وعلى الرغم من أنّ الفتيات أنفسهن عزّين تحجّبهن إلى محاولتهن تمييز أنفسهن عن أمهاتهن غير المحجبات، واكتساب هويتهن الخاصة كمسلمات.

" وبعد أشهر من المداولات والاجتماعات وإجراء المقابلات، تقدمت مفوضية ستاس* بعشرات التوصيات من أجل إعادة التوكيد على مبدأ العلمانية، من بين كلّ تلك التوصيات تخير جاك

¹ سحر عامر، نفس المرجع، ص 129.

² سحر عامر، نفس المرجع، ص 133.

* ستازي هي اللجنة التي كلفتها الحكومة الفرنسية لمناقشة قانون الحجاب

شيراك التوصية المتعلقة بالملابس، وتم التوقيع عليها كقانون في 14 مارس 2004، وتفعيله في العام الدراسي التالي.¹

" وفقا لحكم مجلس الدولة، ويمثل أعلى هيئة قضائية بفرنسا، حيث قرر أن ارتداء الخمار والعلامات الأخرى الدالة على الانتماء الديني لا يناقض بالضرورة مبدأ العلمانية وأن حضرها سيكون انتهاكا لحقوق الأفراد. قرر مجلس الدولة أيضا أن ارتداء الخمارات يتعارض مع العلمانية فقط حينما يرافق ذلك أفعال ضغط أو استقزاز أو دعوة أو دعاية، وأيضا حينما يُعيق ارتداؤها له ممارسة الأنشطة النظامية في الفصول والمدرسة. وبهذا أناط مجلس الدولة مهمة تفسير حالات ارتداء الخمارات، كل منها على حدة ومعرفة إن كان ذلك مقصود به التباهي ولفت النظر والدعوة أم أنه نابع من القناعة الدينية أناطها بالسلطات المحلية في المدارس و بمُدْرسيها.²

3-3 قانون حظر النقاب في الأماكن العامة:

" وفي عام 2010م أصبحت فرنسا ثاني بلد أوربي بعد بلجيكا يحظر البرقع أو النقاب في الأماكن العامة بما في ذلك الشوارع والمحلات والمراكز التجارية والأماكن الرياضية. وتُجبر النساء اللاتي يرتدين النقاب أو البرقع، بمقتضى القانون الفرنسي الكشف عن وجوهن وحضور دورات دراسية في المواطنة ويصبحن عرضة لدفع غرامة مالية قدرها 190 دولار، أما الرجال الذي يُنَّهَمون بإجبار النساء على ارتداء النقاب أو البرقع فإنهم يتعرضون لعقوبة أكبر تتمثل في السجن لمدة عام، ودفع غرامة مالية قد تصل الى 38000 دولار وتتضاعف العقوبة في حالة إجبار البنات القُصَّر. علاوة على ذلك، يجعل هذا القانون من الممكن سحب المواطنة الفرنسية ممن ترتدي النقاب، أو من الأشخاص الذين يُجبرون النساء على ارتدائه.³

¹ سحر عامر، مرجع سابق، ص 135.

² سحر عامر، نفس المرجع، ص 132.

³ سحر عامر، مرجع سابق، ص 125.

" بلا ريب يمثل قانون حظر النقاب في فرنسا لعام 2010م تصعيدا في الموقف الحكومي الفرنسي تجاه سكان البلد المسلمين و تصلبا إزاءهم. وفي واقع الأمر، فإنه فيما واجه قانون 2004 جدلا عنيفا، فقد كان ثمة اجماع يبعث على الدهشة حول قانون 2010م الذي يحظر النقاب والذي لقي شعبيةً جارفة من السياسيين، وتم تمريره في مجلس الشيوخ بغالبية 246 صوت مقابل صوت واحد (تغيب مائة عضو غالبيتهم سياسيين ذوي انتماءات يسارية) وتمت الموافقة على القانون بواسطة سبعة من بين كل عشرة فرنسيين.¹

" تثير معدلات الموافقة الدهشة بخاصة أن عدد النساء اللاتي كن يرتدين البرقع أو النقاب كان صغيرا جدا. ربما كان أحد الأسباب الرئيسية لموافقة هذا العدد الكبير على حظر البرقع والنقاب في فرنسا هو تلك النقاشات الجديدة التي طفت على السطح حول الأمن القومي وحقوق النساء في تبرير للقانون المقترح." لم يتقبل الفرنسيون وجود نساء سجينات خلف النقاب معزولات عن الحياة الاجتماعية برمتها ومحرومات من هويتهم المميزة بدورها رددت فضيلة عمارة، إحدى مؤسسات مجموعة - لسنا عاهرات - والتي كانت قد عُينت مؤخرا وزيرة للانبعاث والتجديد الحضري بحكومة ساركوزي، رددت آراء الرئيس، ورأت أن البرقع مثل النقاب يمثل قمع النساء وأنه من الواجب حظره.²

4-3 مناقشة القوانين:

- قانون رقم 288-2004 المؤرخ في 15 مارس 2004 المتعلق بحظر ارتداء الرموز الدينية بما فيها الحجاب داخل المدارس الحكومية.

- قانون رقم 1192-2010 المؤرخ في 11 أكتوبر 2010 المتعلق بمنع تغطية الوجه (النقاب) في الأماكن العامة.

¹ سحر عامر، نفس المرجع، ص 138.

² سحر عامر، مرجع سابق، ص 140.

وستركز المناقشة على ثلاث جوانب ، يتعلق الأول بمدى تلاؤم قانوني 2004 و 2010 مع النظام القانوني الفرنسي. ويخص الثاني مواءمة القانونيين مع الاتفاقيات الدولية، وأخيرا نتعرض لمدى توافق القوانين مع الاتفاقيات الأوروبية.

*** مدى انسجام القانونيين مع إعلان حقوق الإنسان والمواطنة لسنة 1789:¹**

يحق لكل مواطنة فرنسية ممارسة شعائرها الدينية سواء بارتداء الحجاب أو النقاب، وذلك حسب المادة 10 من إعلان حقوق الإنسان لسنة 1789 التي تمنع التعرض لأي شخص بسبب آرائه وأفكاره، حتى ولو كانت دينية حيث نصت على ما يلي: " لا يجوز إزعاج أي شخص بسبب آرائه حتى الدينية منها..." وعلى أساس هذه المادة يعتبر الفقه الفرنسي وعلى رأي "كلود دونراند" القانونيين غير مؤسسين قانونيا؛ بالإضافة إلى أن ارتداء الحجاب والنقاب لم ولن يضر بأحد سواء داخل المدرسة أو الجامعة أو حتى خارجها، وحتى النقاب فلا يعتبر من مهددات الأمن في فرنسا، والإسلاموفوبيا ولا يمنح الحق أو السلطة للمشرع الفرنسي في الاعتداء على حرية ممارسة الشعائر الدينية؛ بالمقابل نجد تبرير موقف المجلس الدستوري الفرنسي سواء عندما عرض عليه قانون حظر ارتداء الرموز الدينية في المدارس والمعاهد الحكومية، أو قانون حظر النقاب، بأن للدولة الفرنسية السلطة في اتخاذ الإجراءات اللازمة للحفاظ على النظام العام والأمن مستندا في ذلك إلى المادتين 4 و 10، التي تقيد الحرية بحدود القانون وعدم تهديد أمن المجتمع وبأولوية حماية النظام العام والأمن العام ولو على حساب الحرية الدينية.

*** مدى انسجام القانونيين مع قانون 9 ديسمبر 1905 المؤسس للعلمانية²**

والذي تم الارتكاز عليه مبررا لإصدار قانوني حظر ارتداء الحجاب والنقاب. غير أن الدراسة ترى أن هذا المبرر يصطدم بعدم وجود تعريف قانوني للعلمانية، خصوصا وأن هذا المفهوم

¹ هبة بوكر الدين، مدى مشروعية حظر ارتداء الحجاب والنقاب في فرنسا، مجلة العربية لعلم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، عدد (25): شهر مارس 2014م

² هبة بوكر الدين، مدى مشروعية حظر ارتداء الحجاب والنقاب في فرنسا، مرجع سابق.

تطور في فرنسا من فصل الكنيسة عن الدولة، وبعدها أصبح فصل المؤسسة السياسية عن المؤسسة الدينية، وحاليا تعني الفصل الصارم بين الدين والدولة. وعلى هذا الأساس، تم تكريس العلمانية داخل كل المؤسسات الحكومية الفرنسية، وحظر ارتداء الحجاب في المؤسسات التعليمية والنقاب داخل المؤسسات الحكومية، لكن الأمر امتد ليشمل الأماكن العمومية والشارع العام. كما أن اتخاذ أساس قانوني من قانون 1905 أمر مرفوض نظرا لعدم تناسب مفاهيمه وفترة صدورهما، لأنه يناسب فترة كانت الكنيسة هي التي تدير الدولة. ومن جهة أخرى لم تحترم فرنسا بإصدارها قانوني حظر ارتداء الرموز الدينية، الهدف الحقيقي لإقرار العلمانية فهي ليست مجرد حارس حدود يقتصر عمله على فرض احترام الفصل المطلق ما بين الدولة والأديان، بل يقتضي الأمر التوازن ما بين حياد الدولة وحرية المعتقد دون منح أي امتياز لدين معين. وهكذا تتفق الدراسة مع قرار مجلس الدولة الفرنسي في قرار المتعلق بالنقاب بتاريخ 12-04-2012 في كون قانون فصل الكنيسة عن الدولة لا يصلح أن يكون أساسا للحظر.

* **مدى انسجام القانونيين مع الدستور الفرنسي لسنة 1958**، إذ تلاحظ الدراسة أن مجلس الدولة الفرنسي قد انتقد فعلا المبررات التي تم الاستناد إليها، في إصدار هذين القانونين بسبب إخلالهما بمبدأ المساواة (المادة الأولى من الدستور الفرنسي، وإعلان حقوق الإنسان والمواطنة 1789) ومبدأ الكرامة الإنسانية وحمايتها مع حق كل فرد في حرية المعتقد، ليخلص أن مجلس الدولة لا يمكن فرض منع كامل وشامل على تغطية الوجه بشكل عام، أيا كانت أشكاله وصوره، وكذلك حظر ارتداء الرموز الدينية بما فيها الحجاب، لأنه سينتهك حقوقا أساسية وحرية عامة كالحق في التنقل، والعمل وحرية المعتقد الديني والحرية الشخصية والخاصة. ونركز في القسم الثاني من مناقشة القوانين على مدى مواءمة قانوني حظر ارتداء الحجاب والنقاب للنصوص الدولية، انطلاقا من المحاور الفرعية الآتية:

* **مدى مواعمة القانونيين للعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية¹**، حيث تنص المادة 18
فقرة 1 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية على أنه: "لكل إنسان الحق في حرية الفكر
والوجدان والدين. ويشمل ذلك حرته في أن يدين بدين ما، وحرته في اعتناق أي دين أو معتقد
يختاره، وحرته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد، وإقامة الشعائر، والممارسة والتعليم، بمفرده
أو مع جماعة، وأمام المأ أو على حدة" فطبقاً لهذا النص، يحق لأي فرنسية أن تعتنق الدين
الإسلامي، وبالتالي يحق لها أن ترتدي سواء الحجاب أو النقاب أمام المأ.

* **مدى مواعمة القانونيين لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري**، إذ تمنع هذه
الاتفاقية في مادتها الأولى، أي تمييز، أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس العرق
أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الإثني، ويستهدف تعطيل أو عرقلة الاعتراف بحقوق
الإنسان والحريات الأساسية أو التمتع بها أو ممارستها، على قدم المساواة في الميدان السياسي
أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو في أي ميدان آخر من ميادين الحياة، وفقاً لهذه
الأخيرة يعتبر كل من قانوني حظر ارتداء الحجاب والنقاب غير شرعيين، وبخاصة أن قانون
حظر النقاب استصدر تحت ضغط إعلامي وسياسي من اليمين المتطرف؛ فتصرفه يعتبر
تحريضا على الكراهية والتمييز العنصري. ورغم أن هذه الاتفاقية تؤكد في المادة السابعة بأن
تتعهد الدول باتخاذ تدابير فورية وفعالة، ولا سيما في ميادين التعليم والثقافة والتربية والإعلام،
بغية مكافحة النعرات المؤدية إلى التمييز العنصري، وتعزيز التفاهم والتسامح والصدقة بين
الأمم والجماعات العرقية أو الإثنية الأخرى، وكذلك نشر مقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة
والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وإعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز
العنصري، وتعلق الباحثة بأن فرنسا ضربت عرض الحائط هذه المادة، وأصدرت قانونين
يكرسان التمييز العنصري ضد الإسلام والمسلمين.

* **مدى مواعمة القانونيين للاتفاقية الدولية للقضاء على أشكال التمييز ضد المرأة**، التي تعبر
عن الحماية المضاعفة التي تتمتع بها المرأة، فيعتبر كل من قانون حظر تغطية الوجه في

¹ هبة بوكر الدين، مدى مشروعية حظر ارتداء الحجاب والنقاب في فرنسا، مرجع سابق.

الأماكن العامة وحظر الحجاب كجزء من قانون منع ارتداء الرموز الدينية في المدارس والمؤسسات الحكومية غير شرعيين لأنهما يتعارضان مع نص المادة 3 من هذه الدول التي تحث على ضرورة سن قوانين تكفل تطور المرأة وتقدمها الكاملين وذلك لتضمن ممارسة حقوق الإنسان والحريات الأساسية.

أما القسم الثالث من مناقشة هذه القوانين فيتعلق بتحليل مدى توافق قانوني حظر ارتداء الحجاب والنقاب في فرنسا مع الاتفاقيات الأوروبية، من خلال الاتفاقيات والمواثيق الأوروبية، وهي:

* **مدى توافق القانونين مع الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان**¹، التي تعد المادة 9 من هذه الاتفاقية من أهم الحقوق المكرسة لحرية المعتقد وحرية ممارسة الشعائر التعبدية، بحيث نصت في فقرتها الأولى على أن "لكل إنسان الحق في ممارسة التفكير، وحرية الضمير، والعقيدة وحرية إعلان الدين، أو العقيدة بإقامة الشعائر والتعليم والممارسة والرعاية سواء على أفراد أو بالإجماع مع آخرين بصفة علنية أو في نطاق خاص"؛ وانطلاقاً مما تقدم، تعتبر الدراسة كل من قانون حظر ارتداء الرموز الدينية بما فيها الحجاب، وقانون حظر النقاب غير مشروعين، لأنهما يحدان من حرية ممارسة الشعائر الدينية المتجسدة في ارتداء الحجاب والنقاب، رغم أن للمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان موقفاً آخر فكل قضايا حظر ارتداء الرموز الدينية التي نظرت فيها المحكمة أكدت على أن المادة 9 الفقرة 2 تفسح المجال للدولة في وضع القيود على ممارسة الشعائر الدينية في حالة ما إذا كان نظامها مهدداً.

* **مدى توافق القانونين مع ميثاق الحقوق الأساسية للاتحاد الأوروبي**، الذي أكد على احترام التنوع الديني داخل المجتمعات الأوروبية، وسيترتب على ذلك المادة 10 من الميثاق المؤكدة على ضرورة إتاحة المجال لأي شخص بأن يمارس شعائره الدينية، سواء بشكل علني أو سري، لكن هذه المفاهيم لم تؤخذ بعين الاعتبار في فرنسا.²

¹ هبة بوكري الدين، مدى مشروعية حظر ارتداء الحجاب والنقاب في فرنسا، مرجع سابق.

² هبة بوكري الدين، مدى مشروعية حظر ارتداء الحجاب والنقاب في فرنسا، مرجع سابق.

خلاصة الفصل:

تعتبر مقولة - فولتير - الشهيرة: أنا أخالفك في الرأي، ولكني أقاتل من أجل أن تقول رأيك. بذلك تعتبر هذه المقولة واحدة من مبادئ الثورة الفرنسية وأساساً لممارسة مختلف الحريات الشخصية. كحرية الصحافة التي يكفلها الدستور الفرنسي وتمارس على صعيد المؤسسات الإعلامية الحكومية والمستقلة بكل حرية، والحريات الدينية مع محافظة فرنسا على المبدأ العلماني الفاصل بين القضايا الدينية والسياسة، بالإضافة إلى حرية ممارسة الحياة الافتراضية الإلكترونية عبر الانترنت، فضلاً على الحريات السياسية والنقابات العمالية.

لكن في الواقع لم يعد لنموذج المواطنة الفرنسي ذلك البريق نفسه الذي كان عليه كنموذج يحتذى به للمواطن في دولة ديمقراطية عريقة. فقد أصبحت تتخلله عدة مظاهر ودلائل لأزمة مواطنة، وباتت عدة تحديات جادة، تُعد معالم أزمة مواطنة حقيقية. وخاصة مع الأقليات المهاجرة. " ففي المجال السياسي، وبالتحديد فيما يتعلق بالتمثيل السياسي لأغلب فئات المجتمع الفرنسي، ونتحدث بالضبط عما يعرف باضطرابات الضواحي الفرنسية وهي أزمة تمثل لمسلمي فرنسا: ؟ والتي تعتبر مفتاحاً لتقليل أخطار الشغب والجهادية المتطرفة، وتمكن في الوقت ذاته من كبح جماح بعض أشكال العنف، الذي تمارسه الدولة في الضواحي التي تقطنها أغلبية مسلمة، والعمل على إشراك المسلمين في العملية السياسية.

الفصل الخامس: التنشئة على الحجاب بين ترسيخ الهوية وتأكيد قيم المواطنة

تمهيد

المبحث الأول: التنشئة الاجتماعية للفتاة وقيم المواطنة

1. مفهوم التنشئة الاجتماعية
 2. التنشئة الاجتماعية والثقافة الذكورية
 3. التنشئة الاجتماعية ومنظومة قيم المواطنة
- ### المبحث الثاني: مؤسسات التنشئة الاجتماعية
1. الأسرة المهاجرة ونظام الحرمة
 2. المدرسة آلية لتكريس الايدلوجية أم فضاء لتربية على المواطنة
 3. الفضائيات الدينية - الميديا لوجيا
 4. مؤسسة المسجد والخطاب الديني

المبحث الثالث: أساليب التنشئة الدينية للفتاة

1. الأسلوب التربوي التسلطي
2. الأسلوب الحوار والإقناع
3. أسلوب الإهمال واللامبالاة
4. الأسلوب التربوي المثالي

المبحث الرابع: خصائص التنشئة الاجتماعية الدينية

1. التنشئة عملية تكيف واندماج اجتماعي
2. التنشئة عملية ديناميكية مستمرة
3. التنشئة عملية تعليم وتعلم
4. التنشئة عملية توريث للقيم الثقافية

خلاصة الفصل

الفصل السادس: مواطنة المحجبة في ظلّ التنوع الثقافي وتحديات العولمة

تمهيد

المبحث الأول: الهوية الثقافية

1. مفهوم الهوية

2. الهوية الثقافية

3. مستويات الهوية الثقافية

المبحث الثاني: المواطنة وتحدي التنوع الثقافي والنسوية

1- مفهوم التنوع الثقافي

2. المواطنة وتحدي التنوع الثقافي

3. المواطنة وتحدي النسوية (الجندر)

المبحث الثالث: المواطنة العالمية أفاق إنسانية

1. المواطنة العالمية والعولمية

2. المواطنة بين العالمية والقطرية

3. محتوى برامج الإعداد للمواطنة العالمية في ظلّ العولمة

خلاصة الفصل

الفصل السابع: الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

تمهيد

1-7 منهج الدراسة

2-7 التقنيات المستعملة

3-7 مجالات وحدود الدراسة

4-7 العينة وطريقة اختيارها

5-7 خصائص العينة

خلاصة الفصل

الفصل الثامن: عرض وتحليل معطيات الدراسة الميدانية

تمهيد

8-1- بناء وتحليل جداول الفرضية الأولى

8-2- بناء وتحليل جداول الفرضية الثانية

8-3- بناء وتحليل جداول الفرضية الثالثة

8-4- بناء وتحليل جداول الفرضية الرابعة

8-5- بناء وتحليل جداول الفرضية الخامسة

الفصل التاسع: النتائج العامة للدراسة

تمهيد

9-1- نتائج الفرضية الأولى

9-2- نتائج الفرضية الثانية

9-3- نتائج الفرضية الثالثة

9-4- نتائج الفرضية الرابعة

9-5- نتائج الفرضية الخامسة

تمهيد:

على اعتبار أنّ المواطنة تكمنُ في قلب الحياة الاجتماعية والتماسك الاجتماعي ولكي يتمكن الأفراد في المجتمع -وضمن حياتهم اليومية- من ممارسة السلوكيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بشكل ديمقراطي في مجتمعاتهم، فإنَّ عليهم بالأساس أن يكونوا على دراية ووعي كافيين بمعنى المواطنة وأبعادها ومرتكزاتها، ومن ثمَّ تكون لديهم القدرة على ممارسة مبادئ وقيم الديمقراطية في حياتهم اليومية بحيث تكون الديمقراطية جزء من الثقافة المجتمعية السائدة بين الحين والآخر¹.

هذا يُبرز أهمية دور التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها بعض مؤسسات المجتمع على اختلاف أنواعها الرسمية وغير الرسمية، لتعزيز المواطنة ومبدأ الديمقراطية وعزس مفاهيمها في نفوس المواطنين، فأساليب التنشئة في البيت والمدرسة والمجتمع بشتى وسائله تساعد على تنمية قيم ومبادئ المواطنة.

يُعتبر الدينُ أهمُّ ركائز التنشئة الاجتماعية. وخاصة في المجتمعات الإسلامية حيث تحضُر نصوص الكتاب والسنة بقوة في عمليات الترهيب والترغيب من الرقابة الإلهية. والحديث عن الدار الآخرة، والجنة والنار. ممَّا يجعلها تُشكّل عاملاً مهماً في تقويم سلوكيات ومواقف الأفراد في حياتهم اليومية.

¹ الشمري، عبدالرحمن سليم، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001،

المبحث الأول: التنشئة الاجتماعية للفتاة وقيم المواطنة.

1 - مفهوم التنشئة الاجتماعية:

كلمة -التنشئة- في اللغة راجعة إلى المصدر نشأ بمعنى ربا وشب¹. أما اصطلاحاً فقد اختلفت التعريفات فيها وذلك باختلاف العلوم التي تناولتها، فلا يوجد تعريف جامع مانع لمفهوم التنشئة الاجتماعية، إلا أن المهم في مجال الدراسة هو التركيز على كون التنشئة عملية تعليم وتربية على قيم المواطنة.

كذلك نجد التعريف نفسه في معاجم علم الاجتماع²، وهو ما ذهب إليه أحد الباحثين بقوله ب: " إن عملية التنشئة الاجتماعية يُمكنُ تسميتها (عملية التربية) حيث أن كل مجتمع يحرص على نقل عاداته وتقاليده الى الفرد وخاصة الأطفال ، لكي يقوم بالأدوار الاجتماعية التي سنوكلُ إليه فيما بعد"³.

كما تختلف التنشئة الاجتماعية من مجتمع لآخر، لأن لكل مجتمع عاداته وتقاليده الخاصة به وهو يعمل جاهداً على نقل هذا الموروث الحضاري لأفراده وأجياله⁴، علماً أن للوراثة والبيئة أثر كبير في شخصية الفرد وتنشئته⁵ وهناك من يمزج بين مفهومي التنشئة الاجتماعية، ومفهوم التنشئة الثقافية حيث ينشأ الفرد داخل إطار الثقافة ويغرس القيم الثقافية للمحيط الذي ينتمي إليه فتنتقل إليه الخبرات من جيل الآباء، إلى جيل الأبناء.⁶ وهناك من يرى بربط المصطلح ويترجمه إلى ما يسمى بالتطبيع الاجتماعي.⁷

(1) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، 1969، ج1، ص463.

(2) دينكن ميشيل: معجم علم الاجتماع، ترجمة احسان محمد الحسن، دار الرشيد، بغداد، 1980، ص3287.

(3) محي الدين مختار، التنشئة الاجتماعية (المفهوم والأهداف): مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، ع9، 1999، ص28.

(4) موفق الحمداني: الطفولة، بيت الحكمة، بغداد-1989، ص194.

(5) محمد تقي فلسفي: الطفل بين الوراثة والبيئة، ط2، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، دار التربية،

بغداد-1969، ج1، ص8.

⁶ يعقوب يوسف الكندري، الثقافة والصحة والمرض. الكويت: مجلس النشر العلمي- جامعة الكويت، 2003، ص. 30

⁷ سيد أحمد عثمان، علم النفس الاجتماعي التربوي . ج1، التطبيع الاجتماعي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1975

2- التنشئة الاجتماعية والثقافة الذكورية:

إنَّ علاقةَ الجنس -باعتبارها علاقةً بين الرجل والمرأة من خلال جسديهما فالجنس غريزةٌ دونيةٌ مُحترَرةٌ تَنَسَّبُ في الشَّرورِ والخطيئة، وهو أيضا العلاقة الحميمة الخاصة المقترنة بلذة عظيمة تكاد تُذهب نشوئها العقولَ، سواء في ممارستها أوفى طلبها. بين التقدير والافتتان بالجمال وبين الاحتقار والذونية تتلخص ازدواجية هذا التفكير في نظرنا للجنس ثم للجسد الأنثوي ثم للمرأة بشكل عام.

يرتبط ذلك الجسد أيضا بأفكار أخرى مثل الضعف الأخلاقي للمرأة ونقص عقلها وطغيان عاطفتها، مما يجعل المرأة أكثر انسياقا خلف متطلبات ذلك الجسد وهو دافع أو مبرر آخر للسيطرة والتَّمكُّ، وفرض الهيمنة الذكورية عبر مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

وفق هذه الثقافة التي تضمُّ دوافع التَّمكُّ والسيطرة التي يمارسها الذكر على المرأة سواء زوجته أو أخته أو ابنته، ويتم تجريم معظم العلاقات بين الذكور والإناث والفصل بينهما بصرامة. وفق مجموعة من الضوابط والموانع، الحُجُبُ بمفهومه العام واحدٌ منها. وتعمد كثير من المجتمعات على ضبط الغريزة الجنسية للفتاة بفرض احترام الضوابط الجنسية عن طريق تعميقٍ داخلي شديد للموانع الجنسية خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

ومفهومُ التنشئة مفهومٌ ديناميكيٌّ لما يتضمَّنُه من معنى لتشكيل الفرد اجتماعيا من خلال عمليات التفاعل الاجتماعي بين الفرد ومحيطيه. فهي تربيةٌ تقوم على التفاعل الاجتماعي ودفع الفرد إلى اكتساب سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتُكسبه الطابع الاجتماعي، وتُيسِّرُ له الاندماج في الحياة الاجتماعية بمعنى آخر عملية التشكيل الاجتماعي لخدمة الشخصية وهي عملية تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي " ¹

¹ سرحان منير، في اجتماعات التربية، بيروت، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 111.

كما يقوم القانون والعرف بضبط قواعد الجسد الذي لا يمكن أن يصبح شرعياً ومقبولاً إلا بعد خضوعه للقانون السائد، وتُمارَسُ الهيمنة الاجتماعية على الجسد من كل المؤسسات الاجتماعية من خلال مجموعةٍ من العلاقات الثقافية الأساسية. تُعزِّزُها منظومةُ العقائد القائمة على الممنوع والحرام، حيث تحريمُ الخُلوةِ والتعري والتواصل مع الآخر والمصافحة، جزء من العذرية العامة.¹

في هذا الفصل سنركِّز على التنشئة بطابعها الديني للفتاة وعلى وجه الخصوص المتعلقة بعملية الحجب وممارسة المواطنة. وفق الأساليب المختلفة للتنشئة، من أكثرها انفتاحاً وتحرراً إلى تلك المتشددة والتي تمارس دعوى مكثفة للنقاب وإلزام الفتاة بلبس الجلباب وعدم الخلوة مع الأجانب ولا تسافر إلا بمحرم (مرافق) وتمنعها من السياقة وتحرمها من العمل وأحياناً من التعليم كما نجد نَمَطَ التنشئة المتسلط القائم على النظام الأبوي الذي يمنع الفتاة نهائياً من الخروج إلى الفضاء العام.

3- التنشئة الاجتماعية ومنظومة قيم المواطنة:

القيمة هنا هي مجموعة من المعتقدات والمعاني التي يحملها الفرد وتُحدِّد وتوجِّه رغباته واتجاهاته، وهي في النهاية تُحدد ما هو مقبول، وما هو غير مقبول، فهي التي تحدد له السلوك القويم أو الصَّحيح أو السلوك الخاطئ. وللقيم من هذا المنطلق وظائف متعددة. فبالإضافة إلى أنها تُحدِّد المقبول وغير المقبول داخل المجتمع، كما يشير "حسين تكريتي"² على تماسك ووحدة المجتمع من خلال التشابه في المنظومة القيميَّة بين كافة أفرادهِ. فيشير إلى أنَّه كلما اتَّسع مدى التشابه بين هؤلاء الأفراد، كلما ازدادت وحدة المجتمع وتماسك أعضاؤه، والاختلاف القيمي هنا يؤدي إلى اختلاف بين الأفراد، ونشوء الصراع بين أفراد المجتمع، وهو الأمر الذي يؤدي إلى تفككه.

¹ عابدة الجوهرى : رمزية الحجاب مفاهيم ودلالات ، مرجع سابق ، ص18.

² - حسين تكريتي . دور التخطيط التربوي في تغير القيم الاجتماعية . دراسة مقدمة إلى مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير عمان : جامعة اليرموك ، 1999.

من المعروف، كما يشير كرونباخ⁽¹⁾ إلى أن أفراد المجتمع الواحد لا يتشابهون في إطارهم القيمي، فهم يختلفون فيما بينهم في منظومتهم القيمية. فهناك اختلاف على المستوى الفردي في القيم، وهناك أيضاً اختلاف على مستوى الجماعة التي ينتمي لها الفرد. ويتجلى مدى توافق المجتمع وتجانسه متى ما استطاع أن يُحقّق القيم المشتركة ويتشابه مع الآخرين بها. إن هذا المنظور لخصوصية القيم ينطلق من المنظور العام لمفهومٍ أوسع وأشمل وهو مفهوم الثقافة. فهناك العديد من الثقافات الفرعية داخل المجتمع الواحد. فهذه الثقافات الفرعية تتجانس فيما بينها، ولكنها تختلف عن الثقافات الأخرى، وهم جميعاً في إطار الكليّة والشمولية يتوافقون، ويتشابهون تحت ثقافة مجتمع واحدٍ. فمدى التشابه في طرق الحياة والعادات، والتقاليد والأساليب الحياتية، والقيم، والمعتقدات، هو الذي يخلق التجانس داخل المجتمع، والعكس صحيحٌ.

¹) Cronback . Educational psychology . New York : Har court , 1963

المبحث الثاني: مؤسسات التنشئة الاجتماعية

تتم عملية التحجب في المجتمعات الإسلامية عبر مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية المعروفة، إلا أن الوضع يختلف بالنسبة للأسرة المهاجرة (المغتربة)، حيث التنوع الثقافي واختلاف القيم، وهذا يُعقد العملية وخاصة مع الفتاة والتي تُعامل بأساليب معاملة والديّة خاصة وخطاب ديني مُميّز، وتتحرك في فضاءات خاصة من هذه المؤسسات ومن أبرز هذه المؤسسات:

1 - الأسرة المهاجرة ونظام الحرمة:

تُعتبر الأسرة بشكل عام في أدبيات علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي أحد الجماعات المهمة لكونها جماعة مرجعية وأولية. فهي النواة الأولى في المجتمع. وليكونها كذلك، حاملة للقيم وللمعايير الثقافية، ومصدراً أساسياً لبلورة التصورات الاجتماعية حول علاقة الفرد بالآخر ومن ذلك علاقة المرأة بالرجل.

كما تعمل الأسرة على ترسيخ القيم، والمعتقدات، والعمل على وضوح الرؤية أمام شخصيات الأبناء الذين سيتحملون مسئوليات وأمانة القيادة العائلية والمجتمعية في وقت لاحق. وبالأخص الوظائف التربوية خارج موطن التراب الأصلي، في وسط مجتمع يحمل تعديّة ثقافية واتجاهات عقائدية وطبقية مختلفة، مما يجعل المسئولية التربوية مضاعفة لأن الأسرة هي المحلّ الأول والأخير، الذي ينطوي على نقل التراث الثقافي للأجيال المقبلة، ووظيفة الأسرة التربوية لا تقتصر فقط على مرحلة الطفولة ولكن تمتد التنشئة الاجتماعية لتشمل شؤون المراهقين والبالغين، ولا تتركهم عرضة للتيارات الجارفة للانحراف.¹

التمييز في الأدوار والعلاقات بين الجنسين، هو أحد السمات المستمرة في الأسرة ويكتسب هذا الفعل صفة الاستمرارية لكون التمييز كفعل وكسلوك مجسّد يمر عبر عملية التنشئة

¹ محمد عباس ابراهيم، الثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2013، ص 61. بتصرف.

الاجتماعية. والمرأة المهاجرة والمغتربة لا توجد بمفردها عادة، إلاّ في النادر من الأحوال والظروف " فهي إما مهاجرةً مع زوجها، أو أبيها، أو أخيها، أو ابنها وهي تعيش نفسَ ظروف الاغتراب، وتتعرّض لنفس الضغوط التي يتعرض لها الرجل، بل وتزيد لأنها بالإضافة إلى ذلك تتحمل مسؤولية الأسرة كاملة¹ وخاصة ما يتعلق بالتربية، والحفاظ على الموروث الثقافي للموطن الأصلي، ونقله عبر الأجيال (قيم وعادات وتقاليد....) .

في الأسرة تتلقّى البناتُ الدروسَ الأولى حول الحياة الجنسية، حيث تكتسب الفتاة السلوكَ الدينيَّ المتعلق بحدود العورة مع المحارم (الأب، الأخ، العم، والخال و...) بوجود الستر مع المحرّمين، وتتباين التربية الجنسية بتباين الأسر، والمجتمعات، والأمكنة، والأزمنة. كما تلجأ الأسرة إلى تحفيز الاحتياطات الخارجية كقواعد السلوك القائمة على التفرقة بين الجنسين لتعميق الموانع الجنسية لدى أفرادها². " وذلك عن طريق عزل الفتاة ومرافقتها في كل تحركاتها أو اللجوء إلى كلّ الوسائل الخارجية، كوضعها للحجاب أو عزلها في الحريم أو فرض المراقبة الدائمة عليها"³.

كما يوضح " قاسم أمين " كأحد المناصرين لتحرير المرأة المنطقَ المتحكّم في عزل المرأة وفرض الحجاب عليها، كأساس للتفرقة بين الجنسين، وقد توصل إلى أنّ المرأة أقدر من الرجل على التّحكم في مُيولها الجنسية، وبالتالي فإنّ الفصل بين الجنسين وسيلة لحماية الرجل وليس المرأة"⁴. فالفصل بين الجنسين يُستعمل كأحد الميكانيزمات لترسيخ الهيمنة الذكورية. إذن الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى، التي تتعلم فيها الفتاة قيم الحياء والحشمة، وعدم مجالسة الذكور، ومواقيت الدخول والخروج، وضوابط اللباس، والتي يأتي على رأسها الخمار، الذي يُعتبر كعقْدٍ غير مُعلن بين الأسرة والفتاة لتخطّي المجال الخاص إلى المجال الاجتماعي العام، حيث الاختلاط بالرجال الأجانب (الغرباء).

¹ مجدي أحمد محمد عبدالله، الاغتراب والهجرة غير الشرعية، ط1، دار المعرفة الجامعية، 2013، ص

² - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، ط4، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005، ص15.

³ - فاطمة المرنيسي: نفس المرجع ، ص16.

⁴ - أمين قاسم ، تحرير المرأة ، دار المعارف المصرية، القاهرة، 1970 . ص87.

2- المدرسة آليّة لتكريس الأيدولوجية أم فضاء لتربية على المواطنة:

"أضحى في حكم المؤكد اليوم، أنّ المدرسة تُمثل الفضاءَ الأمثلَ لاكتساب التجارب الاجتماعية من حيث كونها تخضع لضوابطٍ شكلية وقانونية" وتقوم بإرساء برامج ومناهج تعليمية لتربية المواطنة، بل تتعدى القسم الدراسي إلى فضاء محيط الأنشطة الرياضية والساحة، والمطعم، وقاعات الأنشطة الثقافية. وهي قادرة على إغناء البُعد العلائقي للمتمدرسين لذلك فهي مدعوة إلى المساهمة في تكوين مواطنٍ يعي دوره في الحياة العامة ولن يتأتّى ذلك إلا بزرع القيم الديمقراطية في المتعلم، والكشف عن الوشائج القوية بين المواطنة المدرسية، وبعض الكفايات التعليمية المعرفية، والاجتماعية، والأخلاقية والسياسية داخل السياق المدرسي".¹

حتى تكون المواطنة مبنية على وعي، لا بد أن تتم بتربية مقصودة تُشرف عليها الدولة، يتم من خلالها تعريف الطالب المواطن بالعديد من مفاهيم المواطنة، وخصائصها مثل: مفهوم الوطن، والحكومة، والنظام السياسي، والمجتمع، والشورى، والمشاركة السياسية وأهميتها، والمسؤولية الاجتماعية وصورها، والقانون، والدستور، والحقوق والواجبات، وغيرها من مفاهيم المواطنة وأسسها.²

كما أن مسؤولية المدرسة كبيرة في تنمية المواطنة، وتشكيل شخصية المواطن والتزاماته. وفي تزويده بالمعرفة والمهارات اللازمة من أجل المواطنة الصالحة، وتُنجز المدارس تلك المسؤولية من خلال المناهج الدراسية التي تبدأ في مراحل العمر الصغرى، وتستمر حتى بقية المراحل العمرية³.

¹ François audigier، L'éducation à la citoyenneté، Institut national de recherche pédagogique 1999..p14-15

² المعمري، سيف بن ناصر (2002). تقويم مقررات التربية الوطنية بالمرحلة الإعدادية بسلطنة عمان في ضوء خصائص المواطنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس.

³ Center For Civic Education (1994). **National Standers for Civic and Government** , from the world wide web: <http://www.Civiced.org/stds-htm>.

"المدرسة مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لتشارك الأسرة مسؤوليتها في التنشئة الاجتماعية تبعاً لفلسفته ونظمه، وأهدافه متأثرة بكل ما يجري في مجتمعه، ومؤثرة فيه أيضاً. والمدرسة هي الأداة والوسيلة والمكان الذي بواسطته يتم نقل الفرد من التمركز حول الذات إلى التمركز حول الجماعة"¹

تستطيع المدرسة تطوير الكفايات التواصلية والعلائقية، كالتأدب في الحوار وتدبير المشاعر لحظة الخصومات، وحسن التفاوض حال وقوع الخلافات والنزاعات، وهذا الرهان الذي تعيشه المدرسة يستدعي " إقامة مشروع خاص بتربية المواطنة وذلك بإعداد أفراد يتشربون قيم المواطنة الديمقراطية، وأخلاق العقل المدنية، التي تركز على مبدأ التمرس بالمبادرة والمشاركة بالرأي، والفعل أثناء مواجهة الشؤون العامة والخاصة"²

والتربية على المواطنة لا تعتمد على طرق التلقين الكلاسيكية فإنه لا يمكن الرهان عليها في ترسيخ قيم المواطنة، وإنما يمكن الاعتماد على النظرية السوسيوبنائية، والتي يتضح أنها الأقرب في تحقيق أهداف التربية على القيم، "وتقوم على أبعاد متشابكة:

1- البعد البنائي: يعود إلى ذات المتعلم، والذي لم يعد مستقبلاً سلبياً للمعرفة وإنما يضطلع بدور محوري في بنائها.

2- البعد الاجتماعي: والذي يرتبط بمختلف الشركاء في العملية التربوية، حيث يهيئ فضاء الحوار والتعاون والتفاعل، باعتباره وسيلة أساسية في بناء المتعلم لمعارفه.

3- البعد التفاعلي: ويتحدد من خلال التفاعلات مع الوسط وافترض وضعيات إدماجية. وافتحال مواقف يُبحث لها عن حل تنتهي بتنظيم الآراء والمواقف المتعارضة.³

¹ ابراهيم ناصر ، علم الاجتماع التربوي ، دار الجيل ، بيروت ، 2000 ، ط1، ص 71.

² كمل عبداللطيف، المواطنة والتربية على قيمها، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012، ص29.

³ توبي لحسن، الحجاج والمواطنة، مرجع سابق، ص197.

تؤدي المدرسة ' دوراً حيوياً في تحقيق التجانس القومي، عن طريق التوحيد الثقافي والفكري بين مختلف الطبقات، وفي كل أنحاء الدولة مما يؤدي إلى التماسك القومي للمجتمع كما يقوم التعليم بدور بارز في تدعيم الإحساس الوطني والهوية الوطنية والقومية، وتدعيم الولاء والانتماء في نفوس الطلاب، كما يسهم بإيجابية في تشكيل أو إعادة بناء الشخصية الوطنية والقومية للأجيال الجديدة، وتوحيد التوجّهات القومية؛ مما يوحد الهوية القومية¹ وقد بُذلت جهودٌ كبيرة، فعُقدت العديد من المؤتمرات لتطوير التعليم، وأضيفت موضوعات جديدة للمقررات الدراسية في المراحل المختلفة للتعليم بهدف الإسهام في تشكيل الهوية الثقافية في مقررات التاريخ، واللغة العربية وفروعها المختلفة².

ليس بعيداً من هذا الموضوع، مسألة منع ارتداء الخمار في بعض مدارس الدول الأوربية بصفة قانونية رسمية مثل بلجيكا والدانمارك. وحتى في بعض الدول العربية كتونس مثلاً. وهذا لما يعكسه الخمار من هوية دينية تتناقض ومبادئ المدرسة العلمانية. فالمدرسة كواحدة من مؤسسات التنشئة الرسمية تعمل على تكريس المبادئ العامة لدين الدولة ودعم مذهبها أو كما يعبر عنها -بورديو- بأنها "آلة لتكريس أيديولوجية السلطة القائمة" من خلال مناهجها وبرامجها، والحدود التي ترسمها لتلاميذها وفق نظامها الداخلي المعمول به.

كما أنّ البيئة السياسية تطبع الأفراد بطابعها، فسلوك من شبّ على الديمقراطية واحترام الآخر، وحرية التعبير، والرأي والفكر والعدالة غير سلوك الذي يشبّ على الدكتاتورية التي تقوم على باراديغم الطاعة والقهر³ والسلطة كما هي عند -ميشال فوكو-. لا تنحصر في المجال السياسي فقط "ذلك أنها منتشرة وموجودة في كل المؤسسات والعلاقات الاجتماعية والمدرسة، والعائلة. والسلطة موجودة في أيديولوجية تبرر وجود تلك المؤسسات

¹ محسن خضر: استجابة التربية العربية لتحولات الهوية الثقافية تحت ضغوط العولمة، مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، ع 30، ج 1، 2006، ص 37

² محمود مدحت: الهوية الثقافية للطفل العربي - رؤية من الواقع المصري، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد 1، ع 3، المجلس العربي للطفولة والتنمية، 2001، ص 146

³ شروخ صلاح الدين، علم الاجتماع التربوي، ط 1، دار العلوم للنشر والتوزيع، عناية، 2001، ص 63.

إذ هي ارتباطاً بالمعرفة ويقول في هذا الصدد -ميشال فوكو: " نحن الآن على وشك التضحية بأنفسنا من أجل كذبتنا الكبرى، (الوهم) بأن المعرفة موجودة بمعزل عن السلطة فالنقاب في إيران، وأفغانستان وحتى السعودية يُفرضُ بقوة السُّلطة والخمار يُمنع في تونس وفي بعض البلاد الغربية بقوة القانون.

3- الفضاءات الدينية - الميديولوجيا-:

" تعتبر وسائل الإعلام والاتصال مؤسسات اجتماعية تقدم برامج ثقافية محلية، أو وافدة فهي الناقل الذي سيساهم في تأقلم الفرد، وإحداث الألفة مع المحيط. إذ كلُّ نوع من محتويات وسائل الاتصال يُحدث تنشئةً معينةً، فالأخبار السياسية تساهم في التنشئة السياسية والبرامج التعليمية تساهم في التنشئة التربوية والبرامج الدينية تساهم في التنشئة الدينية¹ كما تفتح نوافذها على الثقافات الأخرى. تختلف من حيث التأثير وقدرتها على الاتصال بال جماهير "ولكن الفضاءات أقوى تأثيراً في الناشئة وأوسعها اتصالاً بهم"².

مع الحداثة حدث تحولٌ في الفضاءات التي يشغلها الخطاب الديني من المؤسسات الكلاسيكية: المساجد والزوايا إلى الفضاءات الإعلامية، والانترنت فتحول بذلك نطاق الخطاب وشكله وهدفه. فهناك أكثر من عشرين قناةً فضائية دينية تُقدم ما يُعرف إعلامياً بالبرامج الهادفة إلا أنّ هذه الأخيرة تُعمدُ إلى تقديم مادة متضادة من الفتاوى تشكّل ضبابيةً وتشويشاً على المشاهد، والتي تعكس بدورها الخلفية الفكرية والمذهبية للقائمين على هذه القنوات، بما يخدم ايديولوجيا هذه الجماعات أكثر مما يخدم الدين ذاته.

وفي هذا الصدد يتنبّه مفكر من طراز الفرنسي - ريجيس دوبريه- إلى هذه المعضلة فيؤلف كتاباً بعنوان (الميديولوجيا) والتي يُقصد بها (العلم الذي يدرس الوسائط المادية التي يتجسد عبرها الخطاب) ويُطلق على المجتمع البشري "دائرة التواصل الإعلامي" ويرى في طوفان

¹ -عزي عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص3.

² صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2004، ص 90.

الصور الذي يحاصر الفرد المعاصر مُفارقة أنها بدلاً من أن تَشحَدَ الرؤيةَ فإنها تُسبب العمى.

باختصار إنَّ " صورةَ جسد المرأة كما تراه صاحبتة منافيةٌ للحقيقة لأنها صورةٌ اقتبستها من رأي الأخرى لها " ¹ ومن هذا المنطلق تقوم " السلطة بتوظيفٍ سياسي للجسد واستثمارٍ تكنولوجي له، من إرغامٍ وحرمانٍ وفرضٍ ومَنعٍ وتحريضٍ، كما أنَّ النظام الاجتماعي يُؤدِّد أجساداً خاضعةً ومُطبعةً. فما مِنْ سُلطةٍ إلا وتقوم على أساسٍ جسدي. " ²

وفي كتابه (ما بعد الكولونيالية) أكد - يانج - أنه " لا يُمكن قراءة الحجاب من فضاءٍ مُحايد بدون مصالح " ³ بمعنى أنه دائماً للسلطة أو للمعارضة ، للمُستعمر أو المُستعمر مصلحةٌ من وراء الحجاب سواء مؤيدةٌ له أو مُناهضة. " إن التكوين الإيديولوجي للإنسان، أو ما يُسمَّى بالتكوين الفكري لديه، يأتي من عمقٍ عقائدي وديني " ⁴ ومذهبي فتختلف تنشئة الفرد بحسب دينه ومذهبه الذي ينتمي إليه.

وإذا كانت بعض وسائل الإعلام الغربي، ساهمت في إبراز قضية الحجاب وجعلها في سلم الأولويات على حساب قضايا أخرى أكثر أهميةً للجاليات المسلمة ولمجتمعاتها الحاضرة، فإنَّ قِصرَ نظر بعض السياسيين الغربيين وسَعْيهم الدؤوب إلى كسب المزيد من أصوات اليمين المتطرف من خلال الرهان على موضوع الحجاب، وتصويره كخطر داهم يهدد مكتسبات الحضارة الغربية، دفع بدوره إلى تأجيج هذه القضية وإبرازها كتهمة جاهزة تدلُّ على رفض الأقليات المسلمة الاندماج في مجتمعاتها الجديدة. في حين أنَّ جميع الدراسات الأكاديمية الجادة تشير إلى محدودية انتشار الحجاب بين النساء المسلمات في الغرب. وتلقت إلى مشكلات أكثر إلحاحاً وأهميةً تقف عقبة أمام اندماج هذه الأقليات، مثل الفقر والبطالة والعنصرية والتمييز في الوظائف وعدم توفُّر المساكن اللائقة.

¹ اليريس حياة ، جسد المرأة ، ط 1 ، سينا للنشر ، القاهرة ، مصر ، 1995 ، ص 30.
² ميشيل فوكو ، تكنولوجيا الخطاب ، ، ترجمة محمد على كيبسي ، دار سيراس ، تونس ، 1993 ، ص 62.
³ يانج ، ما بعد الكولونيالية ، 2003 ، ص 80.
⁴ عرفات الشرايعية محمد، التنشئة الاجتماعية، ط 1 ، دار يافا العلمية ، الأردن ، 2006 ، ص 37 .

4 - مؤسسة المسجد والخطاب الديني:

المسجد هو دار العبادة عند المسلمين، والمؤسسة الرئيسية في عملية التنشئة الدينية. والمنبر فيه هو المصدر الأساسي في الخطاب الديني الذي يعمل على توجيه الفكر والسلوك ولصوت المنبر هالة من القداسة في نفوس المسلمين. وتتلخّص مهام المسجد في ترسيخ مبادئ العقيدة وتوضيح الأحكام الفقهية المتعلقة بالحلال والحرام.

وفيما يتعلّق بالمرأة فإن لها جناحا خاصا في المسجد تجلس فيه معزولة عن الرجال من وراء ستار تسمع ما يهّمها من أحكام وفتاوى ونصائح وإرشادات تعمل على توجيه سلوك الفتاة اجتماعيا، وهذه الفتاوى هي بدورها خاضعة لظروف المكان والزمان في بعض جوانبها تتغيّر بتغير الأحوال والظروف.

" إنَّ الخطابَ حول المرأة عموما وعملية سترها-حجابها خصوصا، من أهم انشغالات الخطاب الديني، وربما أهمها على الإطلاق، نظرا إلى أنّ الأديان والمذاهب تُؤسّس أحد أبعاد هويّتها وخصوصياتها على المرأة وجسدها، فضلا عن أنّ ظاهرة التشويه الجنسي للإنثى هي جزء من التدين الشعبي وظواهره وطقوسه التي ارتبطت بشيوع مفاهيم مغلوطة حول جسد الأنثى كمصدر للشروع والآثام والشهوات والرغبات العارمة التي تتطلب ضبطها والسيطرة الجسدية عليها عبر مجموعة من الميكانيزمات".¹

ومفهوم الحجاب المتعلق بموضوع بحثنا مفهوم فضفاض يُمكن التحكم في بعض جوانبه تماشيا مع متطلبات الحداثة. فالفتاوى المعاصرة قائمة على فقه المقاصد ورعاية مصالح الناس وفق مقتضيات الحداثة. فأمر الفتنة ومفهوم الستر يحكمه الواقع الاجتماعي الذي تفرضه التغيرات الحضارية والثقافية.

¹أيدة الجوهري، رمزية الحجاب مفاهيم ودلالات، مرجع سابق، ص275.

إلّا أنّ المؤسّفَ على مستوى المؤسسة الدينية الحدائثية أنّ الإمامَ فيها يُمارس كلّ الأدوار الاجتماعية فهو القاضي في أحكام الطلاق والزواج والمواريث وهو الطبيب المعالج للأمراض عن طريق الرّقية والعقد (العسل والحبة السوداء..)، وهو المصلح الاجتماعي والوسيط الذي يَفك النزاعات بين الأزواج والمتخاصمين، وهو العالم النفساني في حلّ العُقد والأزمات النفسية... الخ، يمتلك قداسة المنبر ويمارس من خلالها سلّطة فوق العادة تُخوّل له أن يفعل كلّ هذا. يحدث هذا دون أيّة رؤية علمية متخصصة، في مجتمعات القرن الواحد والعشرين، الشعوذة والدّجل هي الحَكَمُ في كل شؤون وقضايا الحياة.

المبحث الثالث: أساليب التنشئة الدينية للفتاة

1- أسلوب التسلُّط:

لقد تطرق لهذا الأسلوب أحد المختصين بالكلمات التالية: الأسلوب التربوي التسلطي هو دَفْعُ الطفل لمستويات أعلى من مستواه، وعدم ترك الحرية له في الحوار أو الاختيار أو حتى التعبير عن ذاته، أو التركيز على الجانب العقلي. من مؤشرات الأسلوب التسلطي هو "الشم والاستهزاء بشخصية الفرد ومقارنته مع الغير والإلاح على فشله مما يقتل فيه الطاقات ويدفعه إلى السلبية ولسوء تقييم ذاته."¹ كما ينتج عن هذا الأسلوب شعور الفرد بالنقص وعدم الثقة بالنفس وكره السلطة الوالدية ويمتد ليشمل معارضة سلطة المجتمع ككل. إضافةً إلى هذه الميزات والآثار التي تتسم بها شخصية الفرد الذي يتعرض للقسوة والشدة في تنشئته، فإنَّ هناك آثاراً سلبيةً أخرى ذكرها ابن خلدون حين قال: " وَمَنْ كَانَ مَرْبَاهُ بِالْعَسْفِ وَالْقَهْرِ سَطًا بِهِ الْقَهْرُ، وَضَيَّقَ عَنِ النَّفْسِ فِي انبِسَاطِهَا وَذَهَبَ بِنَشَاطِهَا وَدَعَاهُ إِلَى الْكَسْلِ وَحَمَلَهُ عَلَى الْكُذْبِ وَالْحُبْثِ وَهُوَ التَّظَاهِرُ بِغَيْرِ مَا فِي ضَمِيرِهِ خَوْفًا مِنْ انبِسَاطِ الْأَيْدِي بِالْقَهْرِ عَلَيْهِ وَتَعَلُّمِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَفَسَدَتْ لَهُ مَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ حَيْثُ الْاجْتِمَاعِ وَالتَّمَرُّنِ وَهِيَ الْحَمِيَّةُ وَالْمُدَافَعَةُ عَنِ نَفْسِهِ وَمَنْزَلِهِ، وَصَارَ عِيَالًا عَلَى غَيْرِهِ مَتَوَاكِلًا وَكَسَلَتْ نَفْسُهُ فَارْتَكَسَ وَعَادَ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ"² وفيما يخص الفتاة فإنَّه إذا لم تتحجب وفق ما تريده الأسرة فإنَّها ربما تُمنع من الخروج ومن الدراسة وقد يلجؤون معها إلى الضرب حتى ترضخ لمراذمهم.

¹ شرابي هشام ، النظام الأبوي و إشكالية تخلف المجتمع العربي ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 992 ، ص60 .

² ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة، ط5، دار القلم ، بيروت ، ص 540 .

2 - أسلوب الحوار والإقناع:

هو الأسلوب الذي يعتمد على التفهّم و الحوار والمناقشة الديمقراطية بقبول بعض الانتقادات المقدّمة بشكلٍ موضوع، فالأب في هذه الحالة لا يعتمد على الإلزام والقهر، بل على المحاورّة والاستماع إلى آراء أفراد العائلة، قصدَ الخروج بالرأي الصائب حول قضيةٍ ما، فهو بذلك يجعل أفراد أسرته من أبناءٍ وزوجةٍ أصدقاء له. وهذا الأسلوب هو أسلوبٌ مبنيٌّ على قاعدة الحوار والإقناع والمناقشة. أي على أساسٍ ديموقراطي، ونعني بالديمقراطية هنا منحُ مكانةٍ متساوية لجميع أفراد الأسرة من حيث الحرية والمساواة النسبية وحقّ إبداء الرأي والمناقشة الحرّة والمكانة المتساوية بين الأطفال دون تفرقة.¹ "

كما أنّ الأسلوبَ الحواريَّ تتميزُ به الأسرُ الحديثة نظراً لما أُتيح لها من إمكانيات لدى الأبوين المعاصرين للتثقيف وزيادة الوعي من خلال وسائل الإعلام وفتح مجالات التعليم ونشر بعض المؤلفات والمواضيع الخاصة بكيفية التعامل مع الأبناء ... إلخ

لهذا السبب فالأبوان المتفتان لهما فرصٌ أكثر من سابقيهما فيما يخصُ كيفية التعامل مع الأبناء في كلّ الأمور الأخرى المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية ولذلك يُدركون بأن الأسلوبَ الحواريّ هو الأنجعُ في تنشئة الأبناء .والأفراد الذين ينشؤون في جوّ كهذا هم أفرادٌ يتميزون بالتلقائية، نشطون غيرُ خوافين، فضوليون، قادرون على مواجهة الضغوط وتقبّل المعايير الاجتماعية² "

"إنّ أسلوبَ الحوار التربوي يساهم في تكوين شخصيةٍ مستقلّة، ومُتّزّنة انفعاليّاً، تعي المسؤولية التي تُلقَى على عاتقها، وتتقبّل نتائج العمل الإيجابية والسلبية. وعندما ينمو الفرد أو الطفل بصفة عادية ومُتّزّنة في جميع جوانبها، تُنفجرُ لديه القدرات الخاصة وتتطوّر مواهبه. ويصير الفردُ فعّالاً في المجتمع ومساهمًا في تغييره للإيجاب وذلك حسب الوظيفة

¹ خولي سناء ، الأسرة و الحياة العائلية، ط1، دار النهضة العربية ، بيروت، 1984 .ص249 .

² أسعد وصفة علي، الإرهاب التربوي ، مرجع سابق. ص83 ،

والدور الذي يحتله¹ "ونستنتج ممّا سبق أنّ الأسلوب التربوي الديمقراطي هو محور الدراسات العلمية الحديثة، والتي تنادي به في كل أرجاء العالم لينتهجه الآباء، حيث يتمّ تربية أبناء متوافقين نفسياً واجتماعياً. إلاّ أنّ تجسيده في الواقع يتطلب نوعاً من الفن والمهارة والصبر. واستعمال مثل هذا الأسلوب ما هو إلا دليل على الوعي والتحصّر، وهامش الحرية هنا هو الذي يجعل الفتاة ترتدي الحجاب عن قناعة كاملة ورضاً أو ترفضه وتلبس ما شاءت من أنواع الثياب الأخرى.

3 - أسلوب الإهمال واللامبالاة:

هو الأسلوب الذي تُمنح فيه الحرية المطلقة للفتاة من طرف الأسرة في ظل غياب الضبط الأسري: من حيث التهاون والتراخي في معاملة الطفل. ومن أهم النتائج التي تترتب عنه تكوين شخصية اتكالية لا تتحمل المسؤولية، ويصير فيها الطفل غير قادرٍ على تحمّل مواقف الفشل والإحباط، وتنمو لديه نزعاتٌ وملامحُ الأنانية، وحبُّ التملك بشدة.² ويُعدُّ إهمالُ الفتاة من قبل والديها ولامبالاتهم بها سبباً في فقدانها الإحساس بالأمن سواء المادي أو النفسي. وقد تتمرد الطفلة أو تتحرف نتيجة هذا الأسلوب، وبالتالي تكون عرضة للانحرافات ومنها مصادقة من هبّ ودبّ، ولبس ما شاءت من الثياب والخروج في أيّ وقت تحب دون قيد أو شرط. كما أنها تكون غير مُحصّنة بتوجيه الوالدين وقد صدّق مَنْ وصّف هذا الأسلوب حين قال: "إنّ تشنّة الأبناء يجب أن تكون مصبوغةً بصرامة معتدلة في غير عنف، و ليونةً مُعقلنةً يُغلّفها الرّفقُ في غير ضعف³ "

¹ عيسوي عبد الرحمن، مشكلات الطفولة و المراهقة ، دار العلوم العربية ، مصر ، 1994 ، ص40 .

² المهدي عباس ، الذات و التفوق ، دار المناهل، بيروت ، 1998 ، ص23 .

³ بختي العربي، التربية العائلية في الإسلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986 ، ص71 .

4 . الأسلوب التربوي المثالي:

يظهر التذبذب بين مختلف الأساليب التربوية نتيجة عدم التفاهم بين الأب والأم في اتباع طريقة محددة في التربية، أو عدم حَسْم المواقف بحكمة، فتارة يُعاقب الطفل وتارة أخرى يُثاب على نفس السلوك. أو أن تكون الأم متسامحةً كثيراً على أخطاء الطفل والأب صارم وشديد، يعاقب على أتفه الأسباب. وينجم عن هذا الأسلوب التربوي عدة أعراض مثل عدم قدرة الطفل على التمييز بين الخطأ والصواب، وينشأ عنه الخوف والتردد، فلا يستطيع الحَسْم في الأمور التي تواجهه، ولا يمكنه التعبير عن آرائه ومشاعره لتناقضها وعدم ثباتها والأسلوب الأمثل يكمن في التوسط بين الشدة واللين، وبين التدليل والقسوة. أي التزام الوسط فلا إفراط حتى يكون تدليلاً ولا تفريط حتى تكون لامبالاة.

فالأسلوب المثالي للتنشئة الاجتماعية هو الاعتدال في معاملة الطفل أي تقادي القسوة الزائدة التي تؤدي بالأبناء إلى الانغلاق على الذات وتقادي التدليل الزائد الذي يُضعف شخصيتهم، ويجعلهم غير قادرين على مواجهة الواقع بمفردهم. كما يؤدي التدليل الزائد إلى إصرار الطفل على تلبية مطالبه أينما وجد. وكيف ما شاء ومتى يشاء دون مراعاة الظروف الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بالعائلة. كما يتمثل هذا الأسلوب في التوسط في إشباع حاجات الطفل الحسية والمعنوية بحيث لا يعاني من الحرمان.

المبحث الرابع: خصائص التنشئة الاجتماعية

تحمل التنشئة الاجتماعية جملةً من الخصائص يُمكن تلخيصها فيما يلي:

1-التنشئة عمليةٌ تكيفٍ واندماج اجتماعي:

تتولى عملية التنشئة الاجتماعية مهمة تشكيل الفرد منذ ولادته، إذ إنّ الإنسان يولد كمخلوق يعتمد على غيره، غير مالك للقدرات التي تؤهله للتعامل مع غيره من بني جنسه. فعملية التنشئة تعمل على تحويل الإنسان من كائن بيولوجي حيواني إلى كائن إنساني يكتسب من خلالها " العادات والأفكار والاتجاهات المُتَّفَق عليها ثقافياً وهو يندمج في مجموعته الاجتماعية عندما يتعلم حقوقَ وواجبات مركزه"1 مما يجعله كائناً ناضجاً اجتماعياً.

مع حجاب الموضة تحاول الفتاة أن تتموضع في منطقةٍ وُسطى بين المحلي والعالمي وكأنما تريد بذلك أن تجد لنفسها مكاناً في السّياق العالمي الحداثي. لأن الحجاب التقليدي أو الجلباب " يحتل جزء كبيراً من الإطار الذي يُؤلِّدُ كافة المعاني السلبية: القمع الذكوري الكبت، العزلة، غياب الإرادة، التَّشْيِيرُ.... "2 من تلك الدلالات التي أصبحت مُرادفةً للهيمنة الذكورية إن صحَّ التعبير. وتكفيُ الفتاة اجتماعياً يعني فيما يعنيه مُواكبةً مثيلاتها في أصناف الملابس وأدوات الزينة المختلفة وإلا فإنها تتهم بالتخلف والرجعية.

2-التنشئة عملية ديناميكية مستمرة:

التنشئة الاجتماعية تَحْدُثُ في وسط اجتماعي ديناميكي، والتغير كما قيل هو الشيء الثابت في كلِّ ثابتٍ. وبفعل الاحتكاك الثقافي بين الشعوب تؤدي هذه العملية إلى تبادل النماذج السلوكية بين الأفراد وتعديلها وإثرائها وفقاً لما تدعو إليه حاجة المجتمع.

¹ سامية جابر محمد ، الثقافة و الشخصية ، دار النهضة ، بيروت ، 1983 ، ص225 .

² شيرين أبو النجا ، الحجاب بين المحلي والعالمي ، مرجع سابق ، ص90 .

كذلك تتغير أنماط التنشئة الاجتماعية بالتغيرات التي تَمَسُّ مختلف مؤسسات المجتمع، حتى الدينية منها، ويقع هذا بفعل المستجدات التي تطرأ على الواقع الاجتماعي والتي بدورها تفرض فتاوى فقهية تتماشى مع متطلبات الحداثة. فالفتاوى تعمل على توجيه السلوك وفقاً لما تُملِّيه حاجات الحياة المعاصرة. ومع كلِّ هذه التحولات والتغيرات الاجتماعية يبقى وضع الخمار على رأس الفتاة حافظاً للهوية الاجتماعية. والحرية في باقي لباس الجسد حاملةً للهوية الفردية.

3-التنشئة عملية تعليم وتعلم:

يَعتبر بعضُ الباحثين أنَّ التنشئة "عمليةٌ تعلم للأدوار و المهارات الاجتماعية التي تساعد الفردَ على التأقلم مع المحيط الاجتماعي و إشباع حاجاته الاجتماع.1" ومن أجل تحقيق هذه الغاية تستعمل أساليب الثواب والعقاب إذ كما يتعلم الفردُ الأشياءَ الحسنة فإنه يكتسب أيضاً سلوكيات سيئة من تواجهه بالمجتمع الخارجي.

فالحجاب هو مجموعة الدلالات حول حجب المرأة عن الأنظار، مشكلاً بشكل من مجموع تدابير الهندسة الجنسية المُحصَّنة بمنظومة أخلاقية اجتماعية، تجعل المرأة تُولد أئمةً وعليها أن تثبت يوماً براءتها والخمار هو علامة الإثم ودليلُ براءتها، لأنَّ الخمار يجب أن يجرَّ وراءه كوكبةٌ لا تنتهي من الأفعال والسلوكيات المتناقضة أحياناً مع الفعل والمشاركة: رفض الاختلاط، ورفض الخُلوة ورفض المصافحة واعتبار المرأة مواطنةً من نوع خاص.2" ومع ذلك فإنَّ ما تقدمه وسائل الإعلام هو نفسه منتج اجتماعي، ويبقى الجسد على حدِّ تعبير - ماري دوغلاس - تحت قبضة وإرادة المجتمع مهما حاول التنصل منه.

4-التنشئة عملية توريث للقيم الثقافية:

¹ مصباح عامر، التنشئة الاجتماعية السلوك الإنحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية. مرجع سابق. ص 41

² رجاء بن سلامة، النساء في الخطاب العربي المعاصرة، تجمع البحوثات اللبنانية، بيروت، 2004، ص 114.

هذه الخاصية تُركز على مضمون التنشئة الاجتماعية فهي في عمقها الاجتماعي تُقلِّد للقيم الحضارية-لمجتمع ما-للمحافظة عليها من الاندثار، أو للتغلب على قيم حضارية أخرى، وغزوها يظهر هذا المفهوم بشكل واضح فيما يُعرض في وسائل الإعلام، فوسائل الإعلام في عصرنا أصبحت وسيلةً فعّالة في التنشئة الاجتماعية. إذ يستطيع الفرد أن يتعلم الكثير من المفاهيم والأفكار بشكل سريع وفعالٍ أكثر في المراهقين خاصة.

فاليوم لم تُصبح الأسرة، ولا المدرسة فعّالة في شرح وتفسير القيم الحضارية للأجيال بقدر ما تفعل وسائل الإعلام، و لذا نرى هذا التأثير الذي عليه الشعوب العربية والإسلامية بالحضارة الغربية، "وجسدُ المرأة يخضع لسلطة مزدوجة فهو واقعٌ تحت سلطة العام المجسد بالنظام السياسي والأيدولوجي من جهة، وسلطة الخاص من جهة أخرى المتمثلة في تملك الرجل زوجاً كان، أو أباً، أو أخاً كتجسد لقيم الذكورة... كما يجب أن نلاحظ أن كل شيء ينطلق من أرضية أخلاقية، والجسد الأنثوي يُخفي الفتنة والفضيحة العار والذنب."¹ وفي النهاية فإنَّ " الجسد لا يوجد إلا وهو مبنيٌّ ثقافياً من قِبَل المجتمع."²

خلاصة الفصل:

تُعَدُّ التنشئة الدينية عمليةً قاعدية في حياة الفرد، حيث أنَّ المُحدِّدَ الرئيسي والأوَّل لسلوك الفرد هو الدين، كما أنه يُمثِّل العاملَ المحوري في بناء شخصيته داخل المجتمع.

¹ حياة الرايس ، جسد المرأة من سلطة الإنس الى سلطة الجن ، سينا للنشر ، تونس ، 1995 ، ص31 .

² دافيد لوبروتون ، في أصول تصور حديث للجسد ، تر : هشام الحاجي ، تونس ، دون سنة ، ص183.

ولهذا فالأسرة داخل المجتمع تسعى دائماً إلى توجيه الفرد توجيهاً سليماً بالرجوع إلى المعايير والقيم الدينية، وذلك ليكون مُتماشياً مع توجُّهات وثقافة المجتمع وتحاول الأسرة بالدرجة الأولى إلى تحقيق أرقى المُثُلِ وأسماها فيما يخصُّ تربية أبنائها.

كما أنّ هذه الأساليب تختلف من أسرة لأخرى حسب عوامل تتحكم فيها مُتغيّرات كثيرة كشخصية الآباء والمستوى الثقافي للأُم، وخبراتهم في الحياة. وظُروفُهما المادية ومُستواهما الثقافي، وحتى مركز الفتاة بين إخوتها، وعدد الأطفال داخل البيت.

وتُعتبر المواطنة مفهوماً عاماً وشاملاً، ينطوي على مجموعة من المفاهيم المتلازمة والمتسقة فيما بينها، لتوجّه سلوك الأفراد وتُحدّد تصرفاتهم في ميادين العمل الوطني، وتُشير المواطنة الصالحة إلى موقف الفرد من السلطة الممثلة بالدستور وما جاء فيه من حقوق وواجبات وما ينبثق عنه من أنظمة وتعليمات، كما تشير المواطنة الصالحة إلى ما يُبطنه الفرد من ولاء وانتماء واعتزاز بوطنه وشعبه ونظامه، وما يُترجمه من مشاركة عملية في كل ما يهدف إلى مصلحة الوطن.¹

¹ فرج، إلهام عبدالحميد (2001)، "برنامج تدريبي مقترح لتنمية السلوك الديمقراطي والتفاعل الاجتماعي للمعلم العربي"، أعمال المؤتمر العلمي الثالث لقسم أصول التربية: الديمقراطية والتربية في الوطن العربي، كلية التربية، جامعة الكويت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ص3.

الفصل السادس: مواطنة المحجّبة في ظلّ التنوع الثقافي وتحدّيات العولمة

تمهيد

المبحث الأول: الهوية الثقافية

1. مفهوم الهوية

2. الهوية الثقافية

3. مستويات الهوية الثقافية

المبحث الثاني: المواطنة وتحدي التنوع الثقافي والنسوية

1- مفهوم التنوع الثقافي

2. المواطنة وتحدي التنوع الثقافي

3. المواطنة وتحدي النسوية (الجندر)

المبحث الثالث: المواطنة العالمية أفاق إنسانية

1. المواطنة العالمية والعولمية

2. المواطنة بين العالمية والقطرية

3. محتوى برامج الإعداد للمواطنة العالمية في ظلّ العولمة

خلاصة الفصل

تمهيد:

يشكل التنوع الثقافي ذخرا ومكسبا لكل لإنسانية، وعلى هذا النحو ينبغي أن يفهم ولا ينبغي أن يوجد ترتيبا تفاضلي للقيم التي تنطوي عليها ثقافات العالم، حتى يسود الأمن والسلام، فجميع الثقافات متساوية على صعيد الكرامة والحقوق فعالمنا بالأساس قائم على توليفة من التعددية الثقافية تُشكّل بتعايشها باقة الموروث الانساني برُمته.

السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يُمكن إيجاد مفهوم متكامل للمواطنة بين الثقافات المتنوعة؟ ولعل ما يُثير هذا السؤال هو التمزق والتوتر الذي يعانيه الإنسان بين البحث عن جذوره ومرجعيات انتمائه وواقع المواطنة في مجتمع القرن الحادي والعشرين مما سبق يتضح الاختلاف بين مفهومي المواطنة والهوية، فالهوية حق يتعلق بذاتية الأفراد وجزء أصيل يدخل في تركيبه وكيئونه الفرد تُلزمه أينما كان، بينما المواطنة عقدُ شراكة بين الأفراد يتم السعي إليه، والحصول عليه حتى في دولٍ تختلف شعوبها في الهويات جملةً وتفصيلاً دون أن يعني ذلك إلغاء الهوية الذاتية للأفراد.

انطلاقاً من كون المواطنة انتماء للتراب وانتساب جغرافي أساسه عقد اجتماعي قانوني وسياسي، والهوية انتماء قائم على معتقدات وقيم وتقاليد وعادات أساسها روعي وثقافي. " والأصل أن القاسم المشترك بين كلّ الهويات هو هوية المواطنة والتي تضمن التعايش بين أفراد المجتمع".¹ لذلك جاء سؤالنا في هذا الفصل: حول طبيعة العلاقة بين المواطنة والتنوع الثقافي في ظلّ العولمة هل هي تكامل وانسجام أم تعارض وتضاد؟

¹ تقرير التنمية الإنسانية العربية، العام 2009، تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، ص56.

المبحث الأول: الهوية الثقافية

1- ماهية الهوية.

1-1 مفهوم الهوية:

1-1-1 من الناحية اللغوية:

بالنسبة لمفهوم " الهوية " في اللغة نجد أنّ المعجم الوسيط أشار إلى أنّ "الهوية في الفلسفة حقيقة الشيء أو الشخص التي تميّزه عن غيره، أو هي بطاقةٌ يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمى البطاقة الشخصية أيضاً"¹.

أما في اللغة الإنجليزية فتعني الهوية تماثلُ المَقومَات أو الصفات الأساسية في حالات مختلفة وظروف متباينة، وبذلك تشير إلى الشكّل التجميعي أو الكّل المُركّب لمجموعة من الصفات التي تكون الحقيقة الموضوعية لشيء ما، والتي بواسطتها يُمكن معرفة هذا الشيء وغيره على وجه التحديد"².

وبناءً على ذلك أُسْتُخِمْ اللفظُ لِيَدُل على الإحساس العميق والمتواصل للإنسان بنفسه وماضيه وحاضره ومستقبله والمُسْتَمَدّ من مشاعره ومُعتقَدَاتِهِ وأفكاره. وبهذا يصعب إيجاد تعريف مُحدّد لمفهوم الهوية، بسبب تعدّد المدارس الفكرية التي تناولت الموضوع، حيث تشارك في تكوينه متغيرات متعددة، وخاصة المتغيرات المجتمعية التي تطرأ وتؤثر في الفكر، فالهوية مفهومٌ له دلالاته اللغوية واستخداماته الفلسفية والاجتماعية والنفسية والثقافية.

¹ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المنوفية: مكتبة الصحوة، د.ت، ص1039.

² رشدي أحمد طعيمة : الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس ، القاهرة : دار الفكر العربي، ص 35.

من الناحية الاصطلاحية:

يصعب ضبط وتحديد مفهوم الهوية من الناحية الاصطلاحية، باعتباره " مفهوماً متحركاً وفي حالة بناءٍ دائمٍ من خلال الوضعيات التي يكون فيها الأفراد والجماعات ونوعية العلاقات الموجودة بينها وفي كل تلك الوضعيات وما يحدث داخلها من علاقات، إذ يقوم شعور الانتماء بوظيفةٍ هامة في تأكيد الهوية ورسم حدودها"¹.

ويُعدُّ مفهومُ الهوية من المفاهيم التي أخذت حيزاً كبيراً من تفكير الباحثين وقد زاد هذا الاهتمام في السنوات الأخيرة بظهور عصر الحداثة، حيث غَدَت الهوية مستهدفاً رئيسياً وهي التي يُنظرُ إليها كأداة يتمُّ التحصُّنُ بها في أوضاع التعليمات، وهنا قد تبرز الانتماءات القبلية والطائفية والدينية والقومية، وقد تقود إلى الانكفاء على الذات ورفض التعايش وعدم الإقرار بالاختلاف والتنوع ومن ثَمَّ تكون الفرصة لمواجهة الآخر والدخول في صراعات للحفاظ على الهوية"².

كما يشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء هو، أي من حيث تشخيصه وتحقيقه في ذاته وتمييزه عن غيره، فهو وعاء الضمير الجمعي لأيِّ تكلُّل بشري، ومحتوى لهذا الضمير في نفس الآن بما يشمله من قيم وعادات ومقومات تكيفٍ وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانه"³

فالهوية جسر يعبر من خلاله الفرد إلى بيئته الاجتماعية والثقافية، فهي إحساسٌ بالانتماء والتعلق بمجموعة، وعليه فالقدرة على إثبات الهوية مرتبطة بالوضعيات التي تحتلها الجماعة في المنظومة الاجتماعية ونسق العلاقات فيها"⁴.

¹ حكيمة بولعشب: تحديات الهوية-الثقافية-العربية في ظل العولمة، من موقع: <http://www.aranthropos.com>

² محمد حسن برعثي: الثقافة العربية والعولمة، دراسة سوسولوجية لآراء المثقفين العرب، بيروت، المؤسسة العربية للنشر، 2007، ص113

³ فريدريك معنوق: مرجع سبق ذكره، ص190.

⁴ محمد الحنفي: الهوية والعولمة، من موقع: <http://www.mokarabat.com/s797.htm>

3-1-1 آراء بعض المفكرين حول مفهوم الهوية:

أمّا عن آراء المفكرين حول مفهوم الهوية: فيلاحظ أنّ الأمر لا يختلف كثيراً، وإن كان يتّصف بأنّه أكثر تحديداً؛ لأنّه يرتبط بالبُعد الثقافي أو الاجتماعي للمصطلح فقد عرّف "سعيد إسماعيل علي" الهوية بأنها "جُملة المعالم المميزة للشيء التي تجعله هو بحيث لا تخطئ في تمييزه عن غيره من الأشياء، ولكلّ منا - كإنسان - شخصيته المميزة له، فله نسفه القيمي ومعتقداته وعاداته السلوكية و ميوله واتجاهاته وثقافته وهكذا الشأن بالنسبة للأمم والشعوب"¹

كما أشار "محمد عمارة" إلى "أنّ هوية الشيء ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغيّر وتتجلّى وتُفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلّى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس، إنّها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتبهاً لتلك الجماعة"² ويرى "محمود أمين العالم" أن "الهوية ليست أحادية البنية، أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان والأخلاق، أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها، وإنّما هي مُحصّلة تفاعل هذه العناصر كلّها."³

¹ - سعيد إسماعيل علي: التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين، المؤتمر التربوي الأول لكلية التربية والعلوم الإسلامية بجامعة السلطان قابوس بعنوان "اتجاهات التربية وتحديات المستقبل، في الفترة 7 - 10 ديسمبر 1997، ص 95

² محمد عمارة: مخاطر العولمة علي الهوية الثقافية، سلسلة "في التنوير الإسلامي" ع 32 ، القاهرة : دار نهضة مصر ، د. ت ، ص 6

³ محمود أمين العالم: الهوية مفهوم في طور التشكيل، مؤتمر "العولمة والهوية الثقافية"، في الفترة 12 - 16 إبريل 1998 سلسلة أبحاث المؤتمرات رقم 7، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ص 37

وأشار أحد الباحثين إلى أنّ الهوية " مفهومٌ اجتماعي نفسي يشير إلى كيفية إدراك شعبٍ ما لذاته، وكيفية تمايزه عن الآخرين، وهي تستند إلى مسلمات ثقافية عامة، مرتبطة تاريخياً بقيم اجتماعية وسياسية واقتصادية للمجتمع" ¹

كما أنّ الهوية ترتبط بالانتماء، فقد عرّفها البعض بأنّها " مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس في فترة زمنية معينة، والتي تُولّد الإحساس لدى الأفراد بالانتماء لشعبٍ معين، والارتباط بوطنٍ معين، والتعبير عن مشاعر الاعتزاز والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد" ²

2- مفهوم الهوية الثقافية.

تُعتبر الثقافة عند مالك بن نبي " نظرية في السلوك أكثر مما هي نظرية في المعرفة" وبهذا تكون الثقافة أعمّ من التعليم نفسه وأعمّ من المعرفة والأفكار وأوثق صلةً بالشخص. فهي عموماً "مجموع الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي وُلد فيه هي المحيط الذي يُشكّل فيه الفرد طباعه وشخصيته" ³.

عند محمد عابد الجابري الثقافة هي " ذلك المُركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها، بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء... إنّ الثقافة هي المُعبّر الأصيل عن الخصوصية

¹ محمد إبراهيم عيد: الهوية الثقافية العربية في عالم متغير، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد 1، ع 3، 2001، ص 110

² إسماعيل الفقي: إدراك طلاب الجامعة لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية والانتماء (دراسة امبريقية)، المؤتمر القومي السنوي الحدي والعشرون للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس لعولمة ومناهج التعليم " ديسمبر 1999، ص 205

³ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط4، 1986، ص73-74.

التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان، ومهامه وقدراته وحدوده وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يأمل.¹

وعند برهان غليون " لكل ثقافة روح خاصة كما لكل مؤسسة روحها؛ أي نظام عملها وردود أفعالها وتوجهاتها التي تُكوّن لديها ما يمكن أن نسميه المناعة الذاتية ضد كل نوع من أنواع التغيير الخطيرة التي تُهدد انسجامها الداخلي وقيامها بوظائفها.... والواقع أنّ الثقافة الحية لا تقبل بضم خبرات جديدة إلى مخزونها المعرفي أو الخيالي، إلا إذا لم تكن هذه الخبرات تتعارض مع خبرات سابقة وراسخة تضمن توازنها الكبرى"².

من المفاهيم التي قدمت للهوية الثقافية ما تبنته منظمة اليونسكو والذي ينص على أنّ الهوية الثقافية تعني أولاً وقبل كل شيء أنّنا أفراداً ننتمي إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية، بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميزها، ويتضمن ذلك أيضاً الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه، أو تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كلية، وتعد بالنسبة لكل فرد منا نوعاً من المعادلة الأساسية التي تقرر - بطريقة إيجابية أو سلبية- الطريقة التي ننسب بها إلى جماعتنا والعالم بصفة عامة³

كما عرفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أنّ الهوية الثقافية هي " النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية، والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال الأصلية للفرد والجماعة، والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع، مع الاحتفاظ

1 محمد عبد الجابري، العولمة والهوية الثقافية. عشر أطروحات، مجلة المستقبل العربي، ع: 228 - 1998/2، ص14.

² برهان غليون، اغتيال العقل، منحة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ط1987/2 دار التنوير للطباعة والنشر ص335

³ حمدي حسن المحروقي : مرجع سابق ، ص164

بمكوناتها الثقافية الخاصة وميزاتها الجماعية، التي تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة وطموح الغد¹ ويتقارب مفهوم الهوية في الغرب من مفهومها لدى العرب، فقد عرّفها بعض الغربيين بأنها " تُعبّر عن الشعور بمجموعة من السمات الثقافية للجماعة، والميل إلي ربط الشخص بالبيئة الاجتماعية التي ينتمي لها وبالتالي تميزه عن غيره من الجماعات والمجتمعات الأخرى".²

وهذا معناه أنّ كلّ ثقافة تتميز عن غيرها من الثقافات الأخرى من حيث طبيعة الشخصية وطريقة الفهم وأساليب الاتصال وخاصة اللغة، والأشكال المختلفة للسلوك وأساليب الحياة التي يُنتجونها، بالإضافة إلى المعايير والقيم والعلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفرادها³. " والهوية الثقافية كيان يتطور، وليس مُعطى جاهزاً ونهائياً. هي تصير وتتطور إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار، وهي تعني بتجارب أهلها ومعاناتهم. وأيضاً باحتكاكها سلباً وإيجاباً مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما".⁴

أما على المستوى الكوني فالـ"ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام، وإنما وُجِدَت وتُوجد وستوجد ثقافات متعددة متنوعة تعمل كلّ منها بصورة تلقائية أو بتدخل إرادي من أهلها على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة".⁵ وبقدر ما

¹ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : الخطة الشاملة للثقافة العربية ، ط 2 ، تونس : إدارة الثقافة ، د .ت ، ص21

² Bernardo M . Ferdman : Literacy and culture Identity, in : Masahiro Minami & Bruce P . Kennedy (Editors) "Language Issues in Literacy and Bilingual Multicultural Education , **Harvard Educational Review** , (U S A) , 1998 PP . 355 – 356

³ Stephan Dahl : Communications and Culture Transformation , available in : <http://www.Stephweb.com /capstone/1html>

⁴ الجابري، م، س، ص15. الجابري، م، س، ص14

⁵ محمد الكتاني، أي منظور لمستقبل الهوية في مواجهة تحديات العولمة، في: العولمة والهوية، سلسلة الدورات، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997، ص82.

تملك ثقافة ما قدرةً ذاتيةً على الانفتاح والحوار بقدر ما تساهم في عملية التناقص الإيجابي مع الثقافات الأخرى. بدون هوية اجتماعية وثقافية يغترب الأفراد عن بيئاتهم الاجتماعية والثقافية، بل وعن أنفسهم تمامًا، وبدون تحديد واضح للآخر لا يمكنهم تحديد هوياتهم الاجتماعية والثقافية، ويشير "برهان غليون" إلى أنه "لا تستطيع الجماعة أو الفرد إنجاز مشروع مهما كان نوعه أو حجمه، دون أن تعرف نفسها وتحدد مكانها ودورها وشرعية وجودها كجماعة متميزة، فقبل أن تنهض لابد لها أن تكون ذاتًا".¹

وتتحدد الهوية الثقافية في مجموعة من المقومات الأساسية المتجسدة في:

أ- اللغة الوطنية واللهجات المحلية المرتبطة بوجود شعب ما وتطوره ومصيره على أساس أن تكون اللغة الوطنية مُعتمَدةً في التدريس على جميع المستويات، وفي التسيير الإداري وفي القضاء، إضافة إلى التواصل بين شرائح المجتمع إلى جانب اللهجات المحلية.

ب- القيم الدينية والوطنية المتكونة عبر العصور والتي تُكسب الشعب حامل الهوية حصانةً تُحول دون دَوْبَانِهِ في شعوبٍ أخرى، وتؤهله لمقاومة كلِّ محاولات التذويب.

ج- العادات والتقاليد والأعراف النابعة من تلك القيم والحاملة لها والعاكسة لمستوى الشعب حامل الهوية الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي.

د- التاريخ النضالي الذي ينسجه ذلك الشعب حامل الهوية من أجل المحافظة على هويته أرضًا وقيما، وعادات وتقاليد وأعرافا.²

¹ برهان غليون : **اغتيال العقل** ، مرجع سابق، 1990، ص32.

² محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2003، ص92.

3- مستويات الهوية الثقافية:

هناك مستويات ثلاثة للهوية الثقافية هي: فردية، وجماعية، ووطنية قومية والعلاقة بين هذه المستويات الثلاثة تتحدد أساساً بنوع الآخر الذي تواجهه. ويضيف أنها تتحرك على ثلاثة دوائر متداخلة ذات مركز واحد كما يلي:

فالفرد داخل الجماعة الواحدة، قبيلةً كانت أو طائفةً أو جماعةً مدنية (حزباً أو نقابة الخ...). هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة، عبارة عن "أنا"، لها "آخر" داخل الجماعة نفسها: "أنا" تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من "الآخر". والجماعات داخل الأمة هي كالأفراد داخل الجماعة، لكلٍّ منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة ولكلٍّ منها "أنا" خاصة بها و"آخر" من خلاله وعبره تتعرّف على نفسها بوصفها ليست إيّاه.

والعلاقة بين هذه المستويات ليست قارة ولا ثابتة، بل هي في مدّ وجزرٍ دائمين، يتغير مدى كلٍّ منهما اتساعاً وضيقاً، حسب الظروف وأنواع الصراع واللاصراع، والتضامن واللاتضامن، التي تحركها المصالح الفردية والمصالح الجماعية والمصالح الوطنية والقومية. وبعبارة أخرى فالعلاقة بين هذه المستويات الثلاثة تتحدد أساساً بنوع "الآخر" بموقعه وطموحاته: فإن كان داخلياً، يقع في دائرة الجماعة، فالهوية الفردية هي التي تفرض نفسها كـ "أنا"، وإن كان يقع في دائرة الأمة فالهوية الجمعية (القبيلة، الطائفية الحزبية) هي التي تحلُّ محل "الأنا" الفردي. أما إن كان "الآخر" خارجياً، أي يقع خارج الأمة (والدولة والوطن) فإن الهوية الوطنية -أو القومية- هي التي تملأ مجال "الأنا"1.

لكن يبدو أنّ تغير الهويات ينبغي أن يخضع لقانون التوازن بين الثوابت المميزة للهوية والعناصر القابلة للتحوّل، وإلا كانت الهوية عرضة للخطر والتدمير، فالهوية تتضمن مكونات ثابتة وأخرى قابلة للتغيير. إذ يُعتبر الدين واللغة من الثوابت الراسخة، بينما تكون

¹ محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات، من موقع: <http://awraq.com.maktoobblog.com>، 15/04/2010، h2131.

المكونات الأخرى من عادات وقيم وطرق تفكير قابلة للتغيير في الشكل الإيجابي الذي تحدده حركية المجتمع وتفاعله بمحيطه الخارجي".¹ وتتمثل أهم وظائف الهوية الثقافية في المجتمعات في ضمان الاستمرارية التاريخية للأمة إذ لا يمكن التشكيك في انتماءاتها. وتحقيق درجة عالية من الانسجام بين السكان في مختلف جهات الوطن الواحد. إضافة الي تمثل الهوية الجنسية والشخصية الوطنية التي تحافظ على صورة الأمة أمام الأمم الأخرى وذلك من خلال الحفاظ على الكيان المميز لتلك الأمة"¹⁷.

غير أنه يوجد من ينتزع عن الهوية سمّتها الاجتماعية الثقافية، فيراها سياسية لها علاقة بالمواطنة، حيث الافتراض بأن الهوية تقوم على أساس ثقافي، بينما المواطنة تقوم على فكرة التجانس الاجتماعي، وهو افتراض غير مبرر، ورأي آخر يرى في الحداثة أنها مسؤولة عن الربط بين الهوية الثقافية والهوية السياسية، الأمر الذي أدى إلى صراعات اجتماعية في داخل مجتمعاتنا وهذا ربط لا يكون حقيقياً إلاّ عندما تُعبّر الهوية السياسية عن الهوية الثقافية التي يُنظر إليها على أنها فعلٌ مرتبط بالماضي والمستقبل، بينما الهوية السياسية فعلٌ يقوم في الغالب على مُعطيات الحاضر"² لا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها ولا تغدو هويةً ممثلةً قادرة على نُشْدان العالمية إلاّ إذا تجسدت مرجعيّتها في كيان تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن (الجغرافية والتاريخ)، الدولة (التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة) والأمة (النسب الروحي الذي تتسجه الثقافة المشتركة)".³ كما أشار " محمد عابد الجابري " في موضع آخر إلى أنّ " الهوية الثقافية هي حَجْرُ الزاوية في تكوين الأمم، لأنّها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار، حتى لو توفرت الإرادة السياسية".⁴

¹ إبراهيم القادري بوتشيش: حول مفهوم الهوية ومكوناتها الأساسية، من موقع <http://histoire.maktoobblog.com>

² المرجع السابق نفسه: ص 117.

³ محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، ع 228 / بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998، ص 14 - 22.

⁴ محمد عابد الجابري: مسألة الهوية - العروبة والإسلام والغرب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995، ص 12.

المبحث الثاني: المواطنة وتحدي التنوع الثقافي والنسوية:

1- مفهوم التنوع الثقافي:

التنوع الثقافي أو ما يُعبّر عنه بالتعددية الثقافية في بعض الأدبيات، مصطلح يرتكز معناه على وجوب الاعتراف بالثقافات والهويات الدينية والقومية المختلفة، والاحتراف بها بوصفها وسيلة ناجعة لتعزيز تماسك المجتمع. وهو مفهوم درج في الاستعمال حديثاً إذ برز في الستينات بأمريكا الشماليّة واعتمده كندا رسمياً منذ 1971م لمعالجة مطالب الأقلية الكيبكيّة، ومجموعات الأقلية الأخرى الأصيلة أو المنحدرة من حركة الهجرة، وحظي أواسط التسعينات باهتمام كبير في فرنسا.

قد تنوّعت تعريفاتها فهي تُستخدم في الأنثروبولوجيا للدلالة على جماعات تختلف أنماط الحياة لدى كلّ منها اختلافاً شاسعاً عن غيرها. أمّا في العلوم السياسية فتُستعمل للتعبير عن جماعات لها فوارق أو خصوصيات ملحوظة تعيش في مناطق جغرافية محددة وتشكل هذه الخصوصيات قاعدة لقوتها السياسية. وفي علم الاجتماع تتمثل التعددية الثقافية في رغبة بعض الجماعات في المحافظة على أوجه الشبه القائمة بين أفرادها لاعتقادهم أنّ الصفات والقيم والمعتقدات المشتركة تُشكل مصدر شعور الأفراد بالفخر والثقة بالنفس والصحة العقلية والتماسك.

" ويجب ألا نخلط بين التعددية الثقافية ومجرد الاعتراف بوجود مجتمع متعدّد الثقافات. لقد وُجِدَتْ دائماً مجتمعات متعدّدة الثقافات، وكلّ دول العالم سواء اعترفت بذلك أو لم تعترف، هي مجتمعات ذات تعدّد ثقافي، بفعل تنوّع المجموعات والسكان المكوّنين لها. إنّها مطالبة باعتراف سياسي رسمي بالتعدّد الثقافي وبمعاملة يومية عادلة لكلّ الجماعات الثقافية. "1

¹ كوش، د. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعيّة. تر: منير السعيداني، المنظمة العربيّة للترجمة، ط. 1. بيروت، 2007، ص 184-185.

2- المواطنة وتحدي التنوع الثقافي:

نتيجةً لظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية - لم يعد هناك مجتمعٌ أحاديُّ الثقافة بشكل كامل كما كان في الوضع سابقاً، وأصبحت معظم المجتمعات إن لم نقل كلها مجتمعاتٍ متعددة الثقافات بسبب تزايد معدلات الهجرة بين الدول، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية".¹ وهذا ما يستدعي اكتشاف أفضل السياسات لتعايش مختلف الثقافات مع بعضها بشكل عادل".² أي الاعتراف بها واعتبارها جزء من نسيج المجتمع والثقافة العامة للمجتمع ككل.

وتتجسد هذه الثقافات بوجود أقليات تطالب بحقوقها في تلك البلدان، وهو ما يطرح قضية تهديد الهوية بشكل حاد في الأوساط الإعلامية والسياسية لهذه الدول. وهو ما يستدعي إعادة النظر في المناهج التربوية وكل الساحات الأخرى كالصحة والتأمين والملكية والإعلام وغيرها.

يرى البعض أنّ قضية التعددية الثقافية وتداعياتها المصدر الأخطر على أمن وسلامة البناء الاجتماعي والسياسي للدولة في الحقبة المعاصرة، كعودة النزعة القومية وتسارع رقعة العنف والصراع العرقي، مما يشعر بالاضطهاد الثقافي والسياسي.

المواطنة لا تزال تُعاني من أشكال مفهوم المواطنة القائم على وحدة العرق والثقافة واللغة داخل جدران الدولة الواحدة. وهو ما جعل هذا المفهوم نفسه يعجز على حل كثير من المشاكل المتولدة عن التركيبة الثقافية والعرقية لشعوب معظم بلدان العالم اليوم، وما يترتب على هذا التنوع من ميل نحو انتساب للعرق أو اللغة أو الدين أكثر من الانتساب للوطن الذي تنتمي إليه العناصر المكوّنة للشعب الواحد.

¹ Marshall Gordan. Oxford dictionary. of Sociology. Art. Multicultural. Society. New York.1998.p 434.

² Routledge Ency. of philosophy. Art: Multiculturalisme. Vol 6. P.599.

3- المواطنة وتحدي النسوية (الجندر):

دائرة المعارف البريطانية تصف النسوية بأنها "الإيمان بالمساواة بين الجنسين في المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي"¹ وهي الفكرة نفسها التي أكدت عليها العديد من الموسوعات والمعاجم في وصف النسوية بأنها حركة اجتماعية"². ويمكن اعتبار النسوية عموماً بأنها أيديولوجيا تحرير المرأة بسبب ظلم جنسهن مقارنةً بجنس الرجال."³ إذن النسوية هي المطالبة بحقوق المرأة المسلوقة تاريخياً وتتادي بإعادة التوازن بين الرجال والنساء.

تعتقد النظرية النسوية أنّ النساء لا يرزّن مُستَبَعَدات من المواطنة الكاملة في الأيديولوجية الليبرالية، كما ترسم بعض الكتابات الراديكالية صورة المواطنة بوصفها أداة استبعاد ولعلّ الفئة الأكبر التي يتم استبعادها من المواطنة هي فئة النساء فالنساء لم يُعترف بهنّ لا في الماضي، ولا في الحاضر كأعضاء كاملتي العضوية أو كمواطنين متساويين في أيّ بلد يُعرف بأنّه ديمقراطي.

والوسيلة الأهم التي يستخدمها الرجل لإقصاء النساء عن مظلة المواطنة هي مفهوم المواطنة ذاته الذي ظل بشكل تاريخي يستبعد ما هو أنثوي عن معتزك الحياة خارج البيت، جاعلاً من الفضاءات ما هو خاصاً بالنساء وآخر للرجال.... حيث لا تزال المجتمعات حتى الغربية منها فضلاً عن العربية (السلطة الذكورية عند بيار بورديو) وإن سمح لها أحياناً بالمشاركة في الحياة السياسية أو غيرها إلاّ أنّه ينظر لها على أنها مواطنة من الدرجة الثانية وأنها لن ترتقي أبداً الى مستوى الرجل ولا تزال وراء الرجل.⁴

¹ The New Ency. Britannica. art. feminisim. vol 19. P.160.

² أحمدة زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص158.

³ إبراهيم مدكور وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 598.

⁴ سوزان مولر أوكين، النساء في الفكر السياسي الغربي، تر: إمام عبدالفتاح إمام، مكتبة الأسرة، القاهرة، (د.ن). ص 14. بتصرف

وتعتبر النساء في حالة - اللامساواة - بين كلا الجنسين؟ إنما ترجع الى مفهوم المواطنة نفسه مهما تنوعت صُورُهُ لا يزال يتخذ المواطن الرجل كنموذج له".¹ وأن هذا المفهوم لا يحقق لهن المكانة نفسها التي يحققها للرجل، ذلك أنّ الحِياد الظاهر تُجاه النوع الموجود في مصطلح المواطنة إنما يستر وراءه عملية تفرقة نوعية تتم باسمه وذلك قديماً وحتى اليوم"²، وعليه تطالب بعض الحركات النسوية في العالم بإعادة بناء مفهوم المواطنة كحلٍّ لأزمة - اللامسؤولية- بحيث تكون الاختلافات الجنسية غير ذات صلةٍ بهذا المفهوم الجديد. "لأن مراعاة الاختلافات الطبيعية بين الجنسين يُؤدّ حالةً من التعارض والتناقض. بينما في الحقيقة تُعدُّ العلاقة بين المساواة والاختلافات تكاملية. بمنحها حقوقاً تساوي حقوقَ الرجل مع مراعاة طبيعتها ومَلَكَاتِهَا".³

" إلاّ أنّه إذا أراد مُنظِّرو المواطنة لنظرياتهم أن تكونَ متصلةً حقاً بالمواطنين، عليهم أن يأخذوا في اعتبارهم حاجات نصف هؤلاء المواطنين، وأعني به النساء"⁴ ولا يتحقق ذلك الا بسنّ حقوق قانونية، وتشريعات سواء على المستوى الدولي أو الإقليمي تكفل للمرأة وضعية ومكانة وترفض كلّ صُور التمييز ضد المرأة، وهو ما يحقق لها المشاركة في الحياة العامة.

¹ ريان فوت، النسوية والمواطنة، تر: أيمن بكر وسمر الشيشكلي، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2005، ص 226 بتصرف

² Lister Ruth. Citizenship: Féminist. Perspectives. Macmillan. London. 1997. P 66.

³ Ibid.p.97.

⁴ ريان فوت، النسوية والمواطنة، مرجع سابق، ص 18.

المبحث الثالث: المواطنة العالمية آفاق إنسانية

1- المواطنة بين العالمية والعولمية:

بقي لنا في نهاية هذا الفصل المرحلة الأخيرة من مراحل تطور مفهوم المواطنة وهي مرحلة المواطنة العالمية. والتي لا تزال في حيز البلورة والتجريب، بداية من النصف الثاني من القرن العشرين، لأنَّ المفهوم مُلتصقٌ متشبثٌ بمفهوم الدولة القُطرية، تلك الدولة القومية التي تتألف من شعب ينتمي ثقافة واحدة ويتكلمون لغة واحدة ويدينون بعقيدة واحدة ويمتلكون تاريخاً مشتركاً، مما يجعل المواطنة خاصة يحملها من يسكنون الحدودَ الجغرافية لتلك الدولة.

إلا أنَّ صورةَ المواطنة بدأت تتغير مع ظهور ملامح عالمية كحقوق الإنسان وانتشار تكنولوجيا المعلوماتية...¹ حيث " أصبحت الدولة العصرية عاجزةً وحدها عن السيطرة على ظواهر جديدة من قبيل الشركات العالمية، ومشكلات البيئة، والإرهاب والجرائم العابرة للحدود، والتجارة العالمية في الأسهم والسندات."²

كما باتت الدولة في ظلَّ العولمة تخضع تحت حشدٍ هائل من القوانين والاتفاقات الدولية والتي تسيطر عليها منظمات وهيئات دولية تقرّر للدول وشعوبها ما ترى سواء بإرادتها أو عن طريق القوة والإجبار، لذلك يمكننا القول إنَّ المواطنة المتخطية للدولة أصبحت حقيقةً واقعيةً برغم مقاومة الدولة القومية لها، كما تزايدت في السنوات الأخير التكتلات الدولية الإقليمية ويُعتبر أكثرها تطوراً الاتحاد الأوروبي وهذا ما جعل مفهوم المواطنة يمتدُّ أو يتجاوز الدولة القُطرية، وبهذا دخلت "المواطنة السياق السياسي العالمي. بعد أن كانت شأنًا خاصًا من شؤون الدولة القومية."³

¹ قايد دباب، المواطنة والعولمة تساؤلات الزمن الصعب، مركز القاهرة لدراسة حقوق الإنسان، القاهرة، 2007، ص 278.

² جون بيليس، عولمة السياسة العالمية، تر: مجموعة من الباحثين، مركز الخليج للأبحاث، دبي، 2004، ص 44.

³ قايد دباب، المواطنة والعولمة تساؤلات الزمن الصعب، مرجع سابق، ص 285.

فكرة المواطنة العالمية عبّر عنها الفيلسوف - توماس بين-بقوله : " إنَّ وطني هو العالم وديني هو الخير"¹ حيث يؤمن الإنسان العالمي أنَّ الانسانية هي الميزة المشتركة والتي تتخطى حواجز السياسة والعرق والأثنية والمذهب التي تحول دون تأخيهم وتعاونهم"².

والحقيقة أنَّ اختيار حقوق الإنسان تحديداً كبديلٍ لحقوق المواطنة إنّما يرجع بالأساس إلى أنَّ العالم لا يزال ينظر إلى حقوق الإنسان هي الأخرى نظرةً شبه مثالية، لأنَّ الدول الديمقراطية تتعامل مع حقوق المواطنة بصرامة شديدة، بينما تتعامل الهيئات بشكلٍ وُدّي مع من يتجاوز حقوق الانسان. لأنّه يشير الى الفعل الأخلاقي وليس الى الفعل السياسي.

2- المواطنة بين العالمية والفُطرية:

إذا ما أردنا دراسة العلاقة بين العولمة والمواطنة وَجَدْنَا أنَّ المواطنة سابقة لها في المكان والزمان، وسابقة لها كمجال فكرٍ وتفكيرٍ وسابقة لها في التفاعل في الاقتصاد والسياسة والمجتمع .فالمواطنة هي أحد روافد أيِّ نظام قائم بل ونتيجته. ولئن كانت المواطنة صيغت في البدء داخل الفضاءات الوطنية، كتعبير عن ضرورة ضمان حقوق الأفراد والجماعات وتأكيد واجباتهم، فإنّه سرعان ما أصبح لمبادئها امتداداً عالمياً³.

إن مبادئ المواطنة العالمية هي امتدادٌ للمواطنة المحلية أو الوطنية ويمكن أيضاً القولُ إنَّ العولمي زاد من توسيع دائرة المواطنة المحلية، ودليل ذلك كلُّ الثورات العربية التي أرادت الارتقاء بحقوق الإنسان وترسيخ مواظنته لكونها تدفع بالمزيد من الحرية والانفتاح والديمقراطية. ولو أنَّ النُخب في هذه الدول لم تنضج سياسياً بالقدر الكافي، ونخصُّ بالذكر هنا التيارات الإسلامية التي تريد فرض النموذج الأصولي للدولة الدينية. والتي تفرض على المرأة قيوداً في الحركة والتنقل وعراقيل في الدراسة والعمل وتحرُّمها من تقلد الكثير من المناصب الحكومية والقضائية. على عكس رؤية بعض الفلاسفة والمفكرين. حيث يري جون

¹ Paine Thomas .Rights of Man. dover thrift. New York. 1999. P160.

² فضيل أبو النصر، الإنسان العالمي، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 20، ص 130.

³ أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، مرجع سابق، ص 121.

جاك روسو " أن المرأة إذا سمحت ظروفها سوف تُبدي نماذجَ عاليةً من عظمة الروح وحبّ الفضيلة .. أكثر مما فعل الرجال"¹

وقد أشار ابن رشد في كتابه (الضروري من السياسة) الى ذات الفكرة، حيث رأى ما جُبلت عليه النساء من الذكاء والاستعداد والحكمة يسمح لها بأن تكون صاحبة رئاسة وأنه لا يصلح ذلك إلا إذا أُطلق جناحاً المرأة وفُكَّت القيود التي تضغط حريتها وتحدُّ من قدرتها العقلية، نحن بحاجة لمجتمع فيه فكر جماعي لا أحادي يحكمه الرجل فالتاريخ دائماً يميل إلى الشكل الرجولي، من هذا كان لابد أن تُعطى المرأة فُرصاً لتصل فالمرأة دائماً تميل لحب البناء لا للقتال مثل الرجل".²

ويُميز المواطنة العولمية والعالمية عن المواطنة القومية ما يلي:

- أن الأساس الأول هو التاريخ الطويل للبشر ككلّ والتاريخ الانساني المشترك باعتبار أن لهم مصالح مشتركة وأخطار تهددهم جميعاً، مقدر بذلك المواطن العولمي أثر سلوكه على العالم ككل.
- إنّ هذا المواطن عابراً للقوميات بمعنى أن يرتبط سلوكه ونشاطه اليومي خارج النطاق التقليدي لوطنه متجاوز الحدود الجغرافية، يحمل اهتماماً عالمياً كالاهتمام بالبيئة.
- التواصل والانتماء لحركات اجتماعية انسانية عابراً للحدود.
- توسع نطاق المطالبة بالحقوق على مستوى دولي خارج إطار الدولة القومية".³

ومستقبل المواطنة العولمية تتطلب تشريعات دولية، بفرض تراجع السيادة المطلقة للدولة القومية على مواطنيها، وسياسيا تصبح العولمة بمثابة النظام الاداري الجديد للعلاقات بين

¹ أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص 208.

² أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، مرجع سابق، ص 209.

³ حمدي مهران، المواطنة والمواطن في الفكر السياسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2012، ط1، ص 468. بنصرف.

الدول. وبذلك تتعدّد مستويات المواطنة الوطنية والإقليمية والعالمية، وتتكامل فيما بينها لتُشكل لنا خصائص وصفات المواطن العولمي، الذي يؤدّي واجباته ويتمتع بحقوقه كاملة.

إلا أنّ الحقيقة التي تُهدّد مفهوم المواطنة العولمية هي حالة الشك والريبة التي تعيشها دول العالم تُجاه بعضها بعض ممّا يجعلها أمرًا بعيد المنال بل وانقسام الدولة القومية الواحدة إلى طوائف وعصبيات عرقية تتقاتل فيما بينها، وهو ما أخذ هذه الدول نحو الصّراع الداخلي المسلح، الناتج عن ضعف السياسات الداخلية، وممارسة الديمقراطية في مناخ سياسي غير صحيّ، بل مُشوّه في كثير من الأحيان.

3- محتوى برامج الإعداد للمواطنة العالمية في ظلّ العولمة:

يرى "جيبسون وآخرون"¹ (Gibson et al., 2008: 17-18)، أنّ هناك حاجة إلى التأكيد على أهمية التعلم العولمي وإبراز أهمية تضمين التعليم العولمي في كافة المواد الدراسية المختلفة. والتعامل مع أيّ إنسان على أنّه صاحب حقّ في الحياة الآمنة الكريمة بغضّ النظر عن دينه ومعتقداته وعرقه وأصله وفصله، ما دام أنّه يلتزم بواجباته الوطنية ويبادل المجتمع شعور الإخاء.

ويبرز الباحث أيضا أنّ الأدبيات البحثية السابقة في هذا المجال تُعرّف مفهوم "المواطنة العالمية/ الكونية" على أنها مجموعة من العناصر الرئيسية المترابطة فيما بينها والتي تتضمن كافة جوانب: المعرفة والمهارات والاتجاهات التي تُمكن الفرد من القيام بدوره كمواطن في عالم مُتَعَوِّلٍ، وتُبرز تلك العناصر على نحوٍ واضحٍ للغاية إذا ما تمتع المتعلم بالخبرات اللازمة للتفاعل مع الأفراد الآخرين الذين ينتمون إلى عدة ثقافات مختلفة ويتبنون قيمًا ومعتقداتٍ ورؤى متنوعةً، ويتكوّن كلُّ عنصرٍ على حدةٍ من تلك العناصر الثلاث من

¹- Gibson, K. Rimmington, G. & Brown, M.(2008), Developing Global Awareness and Responsible World Citizenship With Global Learning Roeper Review. Bloomfield Hills: Jan-Mar. Vol. 30, Iss. 1.p17-18.

عدد من المكونات الفرعية اللازم توافرها معاً، على نحو ما هو موضح في الجدول التالي الذي يشير إلى المعرفة والمهارات والاتجاهات اللازمة لتكوين المواطن (العالمي/الكوني):

جدول (3) يبين المعارف والمهارات والاتجاهات اللازمة لتكوين المواطن الكوني

عنصر المواطنة	مكوناته الفرعية
المعرفة	فهم طبيعة الثقافة، والتنوع، والعولمة، والاعتماد المتبادل، والتباين على المستوى الدولي، والسلام والصراع، والطبيعة والبيئة، والتنمية المستدامة، السيناريوهات المستقبلية المحتملة، والعدالة الاجتماعية.
المهارات	التأكيد على أهمية مهارات البحث والاستقصاء، واختبار صحة النظريات العلمية، والتفكير الناقد، ومهارات الاتصال، والمهارات السياسية اللازمة للمشاركة المدنية في مجتمع العولمة، والتمتع بالقدرة على مواجهة حالات الظلم وعدم المساواة، والتعاون مع الآخرين، وحل الصراعات المختلفة.
الاتجاهات والقيم	تقدير قيمة الكرامة الإنسانية، واحترام الأفراد والأشياء، والإيمان بقدرة الإنسان على التطور، والتعاطف مع الثقافات والآراء الأخرى، واحترام التنوع، وتقدير قيمة مبادئ العدالة والمساواة، والالتزام بتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة، والشعور بالفضول وحب الاستطلاع تجاه القضايا والأوضاع الدولية التي تشكل معالم حياة الفرد، والاهتمام بالحفاظ على البيئة، والالتزام بتحقيق التنمية المستدامة.

خلاصة الفصل:

يرى الفيلسوف الكندي "تشارلز تايلور" أن الليبرالية لا يمكن أن تظل محايدة تماماً للثقافة، فالليبرالية نفسها تتضمن بعض القيم التي تتعارض مع قيم الثقافات الأخرى. والفيلسوف الكندي "كيمليكا" يتفق مع "تايلور" ويرى أن بعض القرارات من أي حكومة لا بد أن تتضمن بالضرورة اتخاذ خيار لصالح ثقافة معينة، ومن أمثلة ذلك أيام العطلة الرسمية واللغة الرسمية. إلخ ، فإنها تتحاز مع ثقافة معينة. لذا فالدولة الليبرالية لا يمكن أن تكون محايدة ثقافياً. وإذا لم تكن الدولة الليبرالية محايدة تجاه الثقافة فكيف تضمن الدولة معاملة المواطنين معاملة عادلة دون تحيز أو تمييز أو تهميش لبعض الأقليات؟

والأصل أنه لا يلزم لقيام المواطنة التجانس أو التطابق بين مكونات المجتمع وإنما التداخل والتلاحم بين المصالح مع الإجماع على دستور ضابط وضامن لكافة حقوق مكونات المجتمع، والنظر للتنوع الثقافي كمكسب وحق يجب حفظه لكل طرف. تحت مظلة الشراكة والمواطنة والتعاون يتم التفاعل الإيجابي بين تلك الخصوصيات لتتولد ثقافة التعايش السلمي وتختفي ثقافة الإقصاء والتهميش والتأكيد على المواطنة الفاعلة كسبيل لحفظ الهوية الذاتية.

الباب الثاني
الجانب الإجرائي
والميداني للدراسة

الفصل السابع: الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

تمهيد

1-7 منهج الدراسة

2-7 التقنيات المستعملة

3-7 مجالات وحدود الدراسة

4-7 العينة وطريقة اختيارها

5-7 خصائص العينة

خلاصة الفصل

تمهيد:

إن تحديد الإجراءات المنهجية للدراسة السوسولوجية يأتي لربط بين مختلف أجزاء الدراسة النظرية والميدانية من أجل الوصول إلى نتائج للإجابة عن أسئلة الإشكالية والتحقق من صدق فروضها، لأن منهجية البحث وظيفتها جمع المعلومات ثم العمل على تصنيفها وترتيبها وقياسها وتحليلها من أجل استخلاص نتائجها والوقوف على جوانب الظاهرة الاجتماعية.¹

أما فيما يخص دراستنا هذه فقد أعتدنا على المنهج الوصفي التحليلي، آخذين بذلك كل الأدوات المنهجية التي تساعدنا في الوصف والتحليل وإثراء الدراسة. بداية باختيار منهج الدراسة وأدوات جمع البيانات، فتحدد مجالات الدراسة (الزماني، المكاني، البشري)، إلى تحديد مجتمع البحث وكيفية اختيار العينة، وأخيرا تحديد خصائص العينة.

¹ رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 119.

7-1 منهج الدراسة:

"يقصد بالمنهج تلك الطرق والأساليب التي تستعين بها فروع العلم المختلفة في عملية جمع البيانات واكتساب المعرفة"¹، من الميدان ولكل ظاهرة أو مشكلة بعض الخصائص التي تفرض على الباحث منهجاً معيناً لدراساتها، "ويمكن للباحث أن يستخدم عدة مناهج وطرق متكاملة تعينه في تحقيق هدفه العلمي."²

وأما في هذه الدراسة فقد أعتدنا حسبما تمليه طبيعة الموضوع منهجين:

أ- المنهج الوصفي التحليلي:

يهتم المنهج الوصفي بتصوير الوضع الراهن وتحديد العلاقات التي توجد بين الظواهر والاتجاهات التي تسير في طريق النمو والتطور والتغيير كما يتضمن الكثير من معرفة الأسباب والمسببات. ويعيد طريقة التحليل والتفسير بشكل علمي منظم "³ والمنهج الوصفي في مرحلة نشأته كان طريقة يعتمد عليها الباحث في الحصول على معلومات دقيقة تصور الواقع الاجتماعي، كما تسهم في تحليل ظواهر شتى، ويستهدف الوصف في هذه المرحلة تحقيق عدد من الأهداف هي :

- جمع المعلومات الدقيقة عن جماعة أو مجتمع أو ظاهرة من الظواهر.
- صياغة عدد من التعميمات أو النتائج التي يمكن أن تكون أساساً يقوم عليه تصور نظري محدد للإصلاح الاجتماعي.
- وضع مجموعة من التوصيات أو القضايا العملية التي يمكن أن ترشد السياسة الاجتماعية في هذا المجال "⁴.

¹ عبد الهادي الجوهري، معجم علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة تحفة الشرق، 1982، ص182 .

² عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط 1، القاهرة، مكتبة وهبة، 1979، ص255.

³ - محمد حسن إحسان ، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون سنة ، ص 65 .

⁴ - أبو طاحون عدلي علي، مناهج وإجراءات البحث الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1988 ، ص ص 19-20

اعتمدنا المنهج الوصفي كمظلة واسعة ومرنة خطوة خطوة بداية شعورتنا بمشكلة مواطنة المحجبات وجمع البيانات والمعلومات التي ساعدتنا على تحديدها. وصياغتها بشكل سؤال محدد حول انعكاسات الدلالات الرمزية للحجاب على واقع المواطنة في فرنسا. وكان اختيار المنهج الوصفي لدراسة ظاهرة الحجاب ورصدها كما توجد في الواقع الفرنسي الراهن أي كما توجد في أرض الواقع، لاسيما من خلال استخدام الكشف عن آراء فئة المحجبات ومعتقداتهم واتجاهاتهم إزاء واقع المواطنة، محاولين بذلك وصف ظاهرة الحجاب والمواطنة وصفا دقيقا كفيما وكميا، كفيما بوصف وتوضيح خصائص الحجاب وأنماطه وذكر دلالاته الرمزية المختلفة، وبتحليل مفهوم المواطنة من مختلف جوانبه النظرية والواقعية.

أما التعبير الكمي فكان من خلال جمع المعلومات المتعلقة بمتغيرات الفرضيات الخمس للدراسة إحصائيا ورقميا حتى نوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى. كما اعتمدنا في تحليلنا في الإطار النظري والميداني على المقاربة الجسدية في علم الاجتماع التي تتمثل أساسا في التحليل الرمزي عند كل من - بورديو - وجوفمان - واستعنا بهذا المنهج في وصف الدلالات الرمزية لمختلف أنماط الحجاب وتنشئة المحجبات في الأسر المهاجرة في فرنسا، كما استقدنا منه في فهم وتحليل المعاني المختلفة للمواطنة. وكان هدفنا من استعمال هذا المنهج هو الاقتراب أكثر من الموضوعية الممزوجة بالطابع التحليلي الرمزي الذي يتناسب تماما مع عملية الوصف والتحليل.

إضافة إلى وضعنا خمس فرضيات كحلول ميدانية لمشكلة البحث، وذلك بوضع الافتراضات أو المسلمات التي سوف نبني عليها دراستنا، كاختيار العينة التي ستجرى عليها الدراسة ممثلة للمحجبات في فرنسا (سواء مهاجرات مغتربات، أو حتى مسلمات من أصول فرنسية) مع توضيح حجم هذه العينة وأسلوب اختيارها ذلك توفيراً للجهد والوقت ولغيرها من تكاليف البحث وبناء على أسس البحوث الوصفية استخدمنا مختلف الأدوات والأساليب الفرعية

المساعدة التي يتضمنها المنهج الوصفي للحصول على البيانات بشكل دقيق وواضح كاستخدام الملاحظة والمقابلة والاستبيان للوصول إلى النتائج والقيام تحليلها وتفسيرها، ثم استخلاص التعميمات والاستنتاجات انتهاءً إلى صياغة توصيات البحث.¹

لم نقف عند مجرد جمع بيانات وصفية حول الظاهرة وإنما حاولنا تشخيص الأسباب المؤدية لمناهضة الحجاب في الشارع الفرنسي، وتحليل وربط وتفسير هذه البيانات وتصنيفها وقياسها وبيان نوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها واستخلاص النتائج منها وما إلى ذلك من جوانب تدور حول سبر أغوار مشكلة الحجاب في فرنسا بغية الوصول إلى تعميمات بشأن الظاهرة موضوع الدراسة، كما حاولنا كما هو شأن خصائص المنهج الوصفي التنبؤ بمستقبل المحجبات في ظل تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب والتي تهدد واقع مواطنة الجالية الإسلامية بشكل مباشر.

ب- المنهج التاريخي:

تمت الاستعانة به كمنهج مكمل للحصول على أنواع من المعارف تتعلق بالتطوير التاريخي للحجاب في مختلف الديانات والشرائع السابقة للإسلام، وبالرجوع إلى التطور التكنولوجي لظاهرة التحجب في مختلف الثقافات، والتوظيف الثقافي والسياسي للحجاب في القديم والحديث، " فكثيراً ما يصعب علينا فهم حاضر الشيء دون الرجوع إلى الماضي فالحياة المعاصرة قائمة على الحياة السابقة وهي امتداد لها"². وباستخدامنا هذا المنهج في الدراسة حاولنا إدراك التأثيرات السوسوثقافية على حركية الحجاب في الشرق والغرب وانعكاساتها على تصورات المحجبات واتجاهاتهم وتفاعلاتهم في الحياة اليومية المعاصرة.

¹ سامي محمد ملحم: مرجع سابق ، ص 355

² محمد شفيق، البحث العلمي مع تطبيقات في الدراسات الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، د ط، 2005، ص94.

2-7 التقنيات المستعملة:

1-2-7 الدراسة الاستطلاعية (الاستكشافية) "Pré - enquête" :

الدراسة الاستطلاعية تنقسم إلى قسمين يمكن الإشارة إليهما كما يلي:

1. **القراءات الاستطلاعية:** كان من الضروري أن نقوم باستطلاع المؤلفات والمراجع العلمية والمواقع الالكترونية التي تعالج وتناقش ظاهرة الحجاب، واستمررنا في القراءة الاستطلاعية هذه حتى نهاية الدراسة، وذلك حتى نطلع على مختلف المستجدات بدءاً بمرحلة القراءة الأولية السابقة لبلورة موضوع البحث وتحديده. وفي هذا الإطار كان لنا تواصل دائم مع زملاء وزميلات مهتمين بشأن الحجاب عبر شبكات التواصل الاجتماعي. ثم تأتي مرحلة القراءة الخاصة بتحديد إطار البحث، ثم القراءات المستمرة في موضوع الدراسة لبلورة الأفكار وتحليلها ومراجعتها في كل مراحل البحث.

2. **الاستمارة الاستطلاعية:**

بالنسبة للاستمارة الاستكشافية لدى "روجيه ميتشيلي - Roger Muccilli" توضح لنا المعالم الأولى لصياغة الفرضيات كما تسمح لنا - الاستمارة الاستطلاعية - بتحديد ماهية الأسئلة الملزمة المتولدة عن الفرضيات؟ إننا نستطيع إنجاز استمارة انطلاقاً من وجهة النظر هذه، وأن نضع في الحسبان المفاهيم بدقة، حتى لا تتحرف عن المعنى قبل تحرير أسئلة الاستمارة " وقد قمنا بدراسة استطلاعية تتعلق بموضوع البحث الذي نحن بصدد إجرائه وذلك بهدف:

- تعميق المعرفة بالموضوع ظاهرة الحجاب سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية.
- جمعنا ملاحظات ومشاهدات تخص موضوع الحجاب.
- اطلعنا على مجموعة من الدراسات السابقة للحجاب.
- ولقد استعملنا استمارة استطلاعية بسبعة أسئلة مفتوحة حاولنا من خلالها الكشف عن واقع مواطنة المحجبات في فرنسا تم توزيعها على حوالي 20 طالبة وموظفة ساعدتنا هذه الأخيرة في ضبط الفرضيات وصياغة أسئلة الاستبيان النهائي.

2-2-7 الملاحظة "l'observation":

استعملنا الملاحظة البسيطة دون مشاركة من خلال ملاحظة سلوكيات وتصرفات المحجبات، وجمع وتحليل الحقائق والمعلومات التي تخص ظاهرة الحجاب في مختلف الثقافات والحضارات. كما كنا نشاهد كل الحصص المتلفزة عبر الفضائيات التي نتحدث عن الظاهرة، وكذا المقالات التي تكتب في الجرائد، والمشاركة في المنتديات التي نتحدث عن قضايا المواطنة وحقوق الإنسان.

ويطلق اسم الملاحظة العلمية على كل ملاحظة منهجية يقوم بها الباحث بصبر وأناة للكشف عن تفاصيل الظواهر وعن الصلات الحقيقية التي توجد بين عناصرها، وهي تتميز عن الملاحظة الفجة بدقة ووضوح الهدف الذي نريد تحقيقه ¹.

وقد استعنا في بحثنا هذا على الملاحظة، إذ قمنا بالملاحظة دون مشاركة نشاط تقوم به المحجبات، وتمكنا بذلك من فرصة ملاحظة السلوك الفعلي للمحجبة في صورته الطبيعية في التصرفات مع الآخرين ومعاملاتها، كمسألة المصافحة والجلوس مع الزملاء وطريقة الكلام، وعادة ما تستخدم الملاحظة كوسيلة استطلاعية لجمع البيانات الأولية عن ظاهرة معينة ².

3-2-7 المقابلة:

تعرف المقابلة " بأنها تقنية غير مباشرة تستعمل من أجل مساءلة الأفراد والجماعات بطريقة نصف موجهة تسمح بأخذ معلومات كيفية تهدف إلى التعرف العميق على الظواهر فهي الأفضل من التقنيات لكل من يريد استكشاف الحوافز العميقة للأفراد واكتشاف الأسباب المشتركة لسلوكهم من خلال خصوصية كل حالة ³

لقد أجرينا مقابلات شبه مفتوحة (نصف موجهة) في ساحات المساجد وفي مراكز بعض الجمعيات النسوية، ونقاشات أخرى في المنتديات عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي

¹ - غريب سيد أحمد، البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1998، ص 269.

² - أبو طاحون عدلي علي، مرجع السابق، ص 230.

³ موريس انجرس، منهجية البحث العمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وأخرون، دار القصبية للنشر، الجزائر، ط2، 2006، ص197.

وكانت المقابلات جماعية وفردية، مدتها في الغالب طويلة بمعدل حوالي ساعة ونصف حيث كان الحديث حول المحاور العامة لمشكلة الدراسة مع المحجبات وبعض النشاطات في الجمعيات النسوية وكانت حوالي 24 مقابلة مع فتيات ونساء ممن أعطونا بعض الوقت للنقاش حول موضوع التحجب في المجتمع الفرنسي، وكان النقاش يشبه ما يكون بالحديث عن مواضيع (الطابوهات Taboo) خاصة أن هناك رقابة أمنية على المحجبات خوفا من أتهمهن بالانتماء للجماعات المتشددة أو الشك بضلوعهن في أعمال إرهابية. فكانت المقابلات الشخصية تتميز بشيء من التحفظ والاحتراز والخوف من المتابعات الأمنية. وكثيرات هن اللواتي أمتعن بالكلية عن مناقشة الموضوع، ولولا توسط بعض المعارف من المحجبات لإجراء المقابلات لما تمكنا من إجراء هذه الدراسة. وقد أستقدنا من هذه المقابلات بشكل جيد في تحليل معطيات فرضيات الدراسة وفي مناقشة مختلف أبعاد الحجاب السياسية والثقافية، وكنا نسجل المعلومات في - أجندة- مباشرة بعد إجراء المقابلات حتى لا تضيع منا الأفكار. وأما الكلام الوارد في تحليل المعطيات المنقول عن المقابلات ففيه شيء من التصرف اللغوي لصياغته بشكل جيد، وكانت هذه المقابلات وفق دليل المقابلة (انظر الملحق رقم 03).

4-2-7 الاستبيان:

الاستبيان مجموعة من الأسئلة تطرح على المبحوثين أو الإجابة عليها تشكل المعطيات، وهي في ضوء طبيعة الدراسة وخصائص عينة البحث من ناحية وفرضيات الدراسة والتصور النظري، وأهداف الدراسة من ناحية أخرى.¹ كان محتوى الاستبيان الاستكشافي أسئلة في غالبيتها مفتوحة، تمثلت أساسا في بعض من المفاهيم تعد مفاصل نظرية في بحثنا، استخلصناها طبعا من المفاهيم المتداولة لدى الفتيات المبحوثات، ومطابقتها بالمعنى العلمي الدقيق لها في بطون الكتب العلمية التي

¹ - الجولاني فادية عمر ، تصميم البحوث الاجتماعية وتنفيذها ، المكتبة المصرية ، الإسكندرية ، مصر ، 2006 ، ص 188 .

عنت بتلك المفاهيم، ونعني بها بالأساس: (سوسيولوجيا الجسد والحجاب المواطنة الإقصاء والتهميش الاجتماعي، الإسلاموفيبيا، التنوع الثقافي... إلخ) أما بالنسبة الاستبيان النهائي، فبعد القراءات والمطالعات، ركزنا على الجامعات والثانويات كحقل معرفي، وكشبكة ملاحظة لموضوع بحثنا. وكانت لغة الاستبيان علمية وعميقة لأننا لاحظنا مستوى وعي كبير ونضج سياسي وديني عند المحجبات، ويعتبر ذلك شيء طبيعي لأن العينة من الصفوة والنخبة المثقفة وليست من عامة النساء المحجبات، لذلك كانت أسئلة الاستبيان قليلة وأغلبها مفتوحة عميقة ومركزة يسهل استثمارها في التحليل ومناقشة الموضوع. أما عن محتوى الاستبيان فكان تبويبه على هذا النحو:

- 1) بيانات شخصية خاصة بالمبحوثات.
 - 2) بيانات خاصة بالفرضية الأولى (من السؤال 01 إلى السؤال 07).
 - 3) بيانات خاصة بالفرضية الثانية (من السؤال 08 إلى السؤال 13).
 - 4) بيانات خاصة بالفرضية الثالثة (من السؤال 14 إلى السؤال 19).
 - 5) بيانات خاصة بالفرضية الرابعة (من السؤال 20 إلى السؤال 25).
 - 6) بيانات خاصة بالفرضية الخامسة (من السؤال 26 إلى السؤال 30).
- وزعنا ما يقارب 300 استمارة، واسترجعنا 210 استمارة بعضها ناقصة الإجابة واعتمدنا منها 180 كعينة نهائية لدراستنا، تشتمل كل استمارة على:
- **البيانات العامة:** شملت متغير السن، البلد الأصلي، امتلاك الجنسية، المستوى الدراسي الوضع المهني، الحالة الاجتماعية.
 - **بيانات خاصة بالفرضية الأولى:** ضمت أسئلة متولدة عن بعض المفاهيم التي وظفت في الفرضية، كمفهوم الحرية الشخصية، حرية الاختيار. احترام القناعات، استخرجنا منها أسئلة متولدة عنها.
 - **بيانات خاصة بالفرضية الثانية:** ضمت أسئلة متولدة عن بعض المفاهيم التي وظفت في الفرضية، كمفهوم القبول الاجتماعي، المعاكسات، التحرش الجنسي.

- بيانات خاصة بالفرضية الثالثة: تضمنت أسئلة مفتوحة ومغلقة حسبما يقتضي متغير الإقصاء والتهميش المؤسساتي والقانوني للمحجبات وفق مؤشرات العمل والكراهية.

- بيانات خاصة بالفرضية الرابعة: تضمنت أسئلة مفتوحة ومغلقة حسبما يقتضي متغير المساهمة والمشاركة في الحريات المدنية ووفق مؤشرات الانتخاب والنشاط الجمعي وحرية التعبير.

- بيانات خاصة بالفرضية الخامسة: كل أسئلتها مفتوحة ذات إجابات متعددة خصوصا أنها تعنى بمسألة الاسلاموفيبيا وانتشار الرهاب الإسلامي، حاولنا قياسها وفق مؤشرات الكراهية والتشويه الإعلامي، والصورة المشوهة التي يعكسها المهاجرون عن الإسلام.

5-2-7 الاستبيان الإلكتروني (Questionnaire Online): وهي إحدى الطرق التي استعنا بها لتوزيع الاستبيانات واسترجاعها، وذلك نظرا لتخرج بعض المحجبات وخوفا من المتابعات الأمنية، لأن المحجبة تساوي (إرهابية) خاصة في أيام التفجيرات أو العمليات الإرهابية التي مست فرنسا في السنوات الأخيرة، لذلك طلبنا منا التواصل عن طريق الويب (شبكات التواصل الاجتماعي). فوضعنا الاستبيان في الموقع الخاص بنا. وكتبنا على الصفحة الأولى من الاستبيان موقع البريد الإلكتروني الخاص بنا، كما هو موضح في الاستمارة (انظر الملحق رقم 01).

تتميز الاستبيانات الإلكترونية التي تكون غالبا منشورة على موقع ما بأنها طريقة سريعة جدا لعرض المعلومات للزائر أو المستهدف من الاستبيان والحصول على إجابات منه في مدة قصيرة، ذلك لأن الطرق التقليدية غالبا ما تتطلب أن يقوم المشارك في الاستبيان ببذل بعض الجهد لإرجاع الاستبيان إلى صاحبه بعد الانتهاء منه، سواء عن طريق إرساله بالفاكس أو البريد، وهناك عدد من الفوائد لاستخدام طريقة الاستبيانات الإلكترونية Online Questionnaire نذكر منها:

- سهولة و سرعة في تعبئة الاستبيان.
- سهولة و سرعة في الحصول على النتيجة.
- تكلفة أقل من الطريقة التقليدية الورقية.
- سهولة نشر الاستبيان حيث أنه عبارة عن رابط يمكن نشره بكل سهولة.
- إمكانية تحليلية أكبر.
- رسوم توضيحية وجداول للتحليل بالنسبة لتصدير بتنسيق مع برنامج (spss).
- بالإضافة إلى الفوائد المذكورة، توجد بعض المواقع المتخصصة في إنشاء ونشر الاستبيانات قد تكون مجانية أو بأسعار معقولة توفر المزيد الوقت والمال. وقد استعملنا في هذه الدراسة موقع **google drive** وهي إحدى خدمات محرك البحث غوغل المعروف والمشهور في عالم الإنترنت، وهو موقع مجاني لإنشاء الاستبيانات وتوزيعها وإعادة استرجاعها. واستفدنا منه في استرجاع مجموعة من الاستبيانات.

3-7 مجالات وحدود الدراسة :

3-7-1 المجال البشري :

تتكون العينة من جنس الإناث من مختلف الأعمار، تم اختيارهن من بين تلميذات التعليم ثانويات وطالبات في الجامعات وموظفات، تراوحت أعمارهن ما بين 15 و36 سنة من اللواتي يرتدين الحجاب كما تم إجراء أكثر من عشرين مقابلة فردية وجماعية مع متحجبات موظفات وناشطات في المجال الجمعي وفق دليل المقابلة، (انظر الملحق 03). وتمت الاستعانة والاستفادة بما ورد في هذه المقابلات في تحليل بيانات ومعطيات الجانب الميداني.

3-7-2 المجال الجغرافي " المكاني " :

وقع الاختيار على فرنسا كونها بلد الحريات والديمقراطية وحقوق الانسان. كما أنه يتواجد بها أكبر جالية عربية مسلمة في العالم وبالأخص المغاربية. كما أننا اخترناها لسبب ذاتي يتمثل في وجود كثير من أسر الأقارب من أفراد العائلة هناك (أعمام، أخوال، وأبناء عمومة....)، من بينهم فتيات محجبات ساعدنا على إعداد هذه الدراسة في مختلف جوانبها النظرية والميدانية. وبالأخص في توزيع الاستبيانات وإجراء المقابلات وترجمة الكثير من المعارف النظرية والحوارات واللقاءات الميدانية. وتم بالضبط اختيار الأماكن التالية كمجال لدراسة:

- مسجد باريس الكبير (انظر الملحق رقم 07)
 - مسجد ايفري كوركورون (انظر الملحق رقم 08)
 - اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا' (انظر الملحق رقم 09)
- وقع اختيار هذه الأماكن الثلاث كونها مكانا للقاء كثير من المحجبات إضافة الى زيارة بعض الثانويات والمعاهد الجامعية الموجودة في ضواحي العاصمة باريس.

7-3-3 المجال الزمني :

- بعد موافقة الأستاذ المشرف بصفة نهائية على عنوان الدراسة في صياغته اللفظية والكتابية النهائية وبعد تأكيد الموافقة على ذات الموضوع " الحجاب بين الدلالات الرمزية وتأكيد المواطنة" من قبل المركز الوطني للبحث والإعلام "CERIST"
- ❖ انطلقت الدراسة في شهر أفريل 2011 بمرحلة الاطلاع على التراث النظري وجمع المعطيات، وقد واجهتنا صعوبات في الحصول على الدراسات الأجنبية وترجمتها.
- ❖ مرحلة الدراسة الاستطلاعية بدأت في جانفي 2013 عن طريق الاتصال مع الأقارب وبعض الزملاء عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي (الفاسبوك، البريد الالكتروني) تم من خلالها نقاش وكان موضوعه دائما حول مشاكل الهجرة والإقامة وقضايا الحجاب، حيث تبلورت رؤية نظرية وميدانية تم فيها توزيع استمارة استكشافية (الالكترونية عن طريق الانترنت) بمجموعة من الأسئلة المفتوحة، وذلك حتى يتسنى لنا بلورة أفكار جديدة حول ذات البحث.
- ❖ مرحلة الدراسة الميدانية الفعلية وزعت فيها الاستمارة النهائية وكانت ابتداء من نهاية شهر مارس 2014 ليتم استرجاعها بداية شهر أفريل من السنة ذاتها.
- ❖ نشير فقط إلى أن المراحل كانت في الغالب متداخلة مع بعضها البعض تتراوح بين الرجوع إلى الجانب النظري للإضافة والتصحيح والتعديل، والعودة أحيانا أخرى للجانب الميداني للتدقيق والضبط.

7-4 العينة وطريقة اختيارها :

طريقة اختيار العينة من أصعب المهام التي تعترض الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية تحديداً، لأن مفهوم التجربة لا يكون بالمعنى المخبري للكلمة إنما يكون مفهومها - التجربة ملاحظة - والعينة هي جزء من مجتمع البحث المدروس، يختارها الباحث بأساليب مختلفة، وتضم عدداً من أفراد المجتمع الأصلي،¹ وهي مرحلة انتقاء عناصر مجتمع البحث بدقة فهي بمثابة الإطار المرجعي للباحث، بواسطتها يطلع على تفاصيل المشكلة ومن خلالها يصل في النهاية الى نتائج الدراسة.

اعتمدنا في دراستنا العينة القصدية، "والعينات المقصودة هي العينات التي يتم انتقاء أفرادها بشكل مقصود من قبل الباحث نظراً لتوافر بعض الخصائص في أولئك الافراد دون غيرهم من الفئات"²، حيث تم توزيع الاستمارات على المحجبات اللواتي يلبسن الخمار كغطاء لرأس ويرتدين لباساً ساتراً، ولم نوزعها على المنقبات اللاتي يرتدين الجلباب، لأن تواجدهن في الفضاء العام يكاد يكون منعدماً (الأماكن العمومية في فرنسا، لأنه ممنوع قانوناً). واخترنا المحجبات من مختلف الأعمار حتى نستطيع قياس وعي وقناعات مختلف الفئات العمرية، كما تجنبنا طرح الأسئلة التي تعكس الانتماءات المذهبية والمرجعيات الدينية حتى لا نخرج عن الإطار المحدد للدراسة، كما أن أسئلة الخصوصيات الدينية والمذهبية تمنعها قوانين الجمهورية الفرنسية حتى في التعداد الرسمي للسكان. كما واجهنا عدة معوقات وصعوبات كانت مرات برفض النقاش في الموضوع تماماً، وأحياناً أخرى بعدم القدرة على استرجاع الاستبيان.

¹ - Albert Brimo , les méthodes des sciences sociales , édition Montchrestien , paris , 1972 , p (180) .

² محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، دار وائل للنشر، عمان، ط2، 1999، ص96.

5-7 خصائص العينة:

الجدول رقم 01: يمثل أفراد عينة الدراسة حسب الفئات العمرية

النسبة %	التكرار	الفئات
19.44	35	[22-16]
67.77	122	[29-23]
12.77	23	[36-30]
100	180	المجموع

يبين لنا هذا الجدول أن الاتجاه العام تمثله الفتيات المبحوثات للفئة العمرية ما بين [29-23] بنسبة تقدر بـ 67.77% تليها الفئة العمرية التي تتراوح أعمارها ما بين [22-16] بنسبة 19.44%، أما الفئة المتبقية والتي تتراوح أعمارهن ما بين [36-30] فتمثلها نسبة 12.77%.

ففي سن ما بعد العشرين تكون الفتاة راشدة وفي سن التمييز من الناحية العقلية، فهي تعيش مرحلة الرشد. أما من الناحية الجسدية فتكون أنوثتها قد اكتملت واستقلت بشخصيتها الذاتية حيث تحاول من خلال تنشئتها الذاتية أي تنشئته نفسها بنفسها بتعديل وتغيير بعض القيم والأفكار والتصورات المكتسبة من التنشئة الاجتماعية وفق ما يتناسب مع مستواها التعليمي وظروف حياتها بحكم الاحتكاك بزميلات وزملاء من أنماط تنشئة مختلفة، وبيئات ثقافية متنوعة، وهنا تحاول القيام بعملية تطعيم للقيم التي تلقته في مؤسسة التنشئة الأولى المتمثلة في الأسرة.

الجدول رقم 02: يمثل أفراد العينة حسب البلد الأصلي

النسبة %	التكرار	البلد الأصلي
39,4	71	الجزائر
24,4	44	المغرب
13,9	25	فرنسا
12,2	14	تركيا
10,0	18	تونس
100	180	المجموع

بخصوص توزيع أفراد العينة حسب البلد الأصلي فإن أعلى نسبة من المبحوثات من أصول جزائرية تقدر بنسبة 39.4% تليها المغربيات بنسبة 24.4%، ثم المسلمات المحجبات من أصول فرنسية بنسبة 13.9%. أما النسب الأقل فهي من أصول تونسية قدرت بـ 10.0%.

ما يمكن قوله من خلال هذه الاحصائيات هو أن النسبة الأعلى لعينة الدراسة كانت من الجزائريات ويعود ذلك إلى أن علاقات التواصل معهن كانت من خلال عائلات بعض أقاربنا المقيمين في العاصمة باريس. كما نشير إلى أن الجالية الجزائرية في فرنسا تشكل أكبر نسبة من المهاجرين المغاربة والعرب.

يعتبر المتحدرون من أصول عربية ومهاجرون في فرنسا بأنهم عرب فرنسيين، لكنهم ليسوا مثل العرب الذين ولدوا في الوطن العربي، وليسوا مثل الأوروبيين الذين توارثوا الأصل والثقافة الأوروبية أباً عن جد. إن الاختلاف عن هؤلاء وأولئك يجعلهم يعيشون في كثير من الأحيان حالة اجتناث ثقافي وأزمة في التربية والهوية والمواطنة. عاش جيل المهاجرين الأوائل على هامش مجتمعات بلدان الاستقبال، ولم يكن هناك سعي من قبلهم للاندماج الاجتماعي، كما لم تكن قضية المواطنة الأوروبية تشغلهم، بل كان كل ما يشغلهم هو

تحسين وضعيتهم وشعارهم في ذلك البيت الذي لا تشيّد في بلدك ليس لك ولا لأولادك وإنما كان المطلوب هو جمع المال وإقامة مشاريع في الوطن الأصلي.

كما أن الهجرة إلى فرنسا كانت في البداية تهم الذكور على الخصوص وتعتبر بمثابة ظاهرة مؤقتة، تحولت منذ عقد السبعينات من القرن العشرين إلى هجرة دائمة وعائلية الأمر الذي أدى إلى إعطاء وجه جديد لظاهرة الهجرة كما طرح عدة إشكالات أخرى. ومع قرار الحد من الهجرة إلى أوروبا انطلقت سياسة التجمع العائلي وقد نتج عن ذلك ارتفاع عدد النساء المهاجرات وكذا عدد الأطفال والشباب المهاجرين.

غير أن الواقع يكون عادة مختلفاً عما هو موجود في القوانين، فالمواطنة تتحقق على الورق لكن لا تتحقق على أرض الواقع إلا بشكل محدود. ففي فرنسا 97% من المتحدرين من أصول أجنبية يحملون الجنسية الفرنسية، و 90% منهم يحسّون أنهم فرنسيون لكن 17% فقط يحسّون أن الآخرين ينظرون إليهم كفرنسيين، و 14% يحسّون أنهم بسبب أصلهم يعاملون داخل المدرسة بطريقة أسوأ من غيرهم. ويعتبر 61% من العرب أنفسهم أنهم ينتمون إلى أقلية من أصول مهاجرة ويقول 69% منهم إنه توجد في فرنسا عنصرية، كما يصرح 43% أنهم كانوا عرضة لتصرف عنصري على الأقل مرة واحدة في حياتهم.¹

¹ d'immigrés en France,» Institut National de la statistique et des etudes economique (INSEE) (2012), <http://www.insee.fr/fr/ffc/docs_ffc/ref/IMMFRA12_a_Sommaire.pdf>

: «Immigrés et descendants» طبعة ٢٠١٢. (لمزيد من المعلومات، انظر (INSEE) (الدراسات الاقتصادية

d'immigrés en France,» Institut National de la statistique et des etudes economique (INSEE) (2012), <http://www.insee.fr/fr/ffc/docs_ffc/ref/IMMFRA12_a_Sommaire.pdf>.

الجدول رقم 03: يمثل أفراد العينة حسب امتلاك الجنسية الفرنسية

النسبة %	التكرار	امتلاك الجنسية
68.33	123	جنسية فرنسية
23.88	43	مزدوج الجنسية
18.9	14	لا يملكون الجنسية
100	180	المجموع

من الجدول نلاحظ أن أغلبية المبحوثات يمتلكن الجنسية الفرنسية بنسبة تقدر بـ 68.33% وتليها نسبة مزدوجات الجنسية بالنسبة 23.88% بينما لا تتجاوز نسبة المقيّمات بدون جنسية 18.9%.

تعمل جل بلدان الاتحاد الأوروبي حيث توجد جاليات أجنبية، بما يسمى قانون الأرض والذي يجسد روح أوروبا التي تعتبر قارة المؤسسات بامتياز؛ فلا معنى أن يُحرم شخص وُلد في بلد أو يعيش به بشكل دائم، من حقوق المواطنة الثقافية والاجتماعية والدينية. لذا فإن قانون الأرض يمنح جنسية البلد لكل من وُلد على أرضه وهو لا يعترف بشيء اسمه متحدر من أصل أجنبي أو منتم إلى الجيل الثاني، وإنما هناك فقط مواطنون ينتمون إلى البلد نفسه رغم أنهم مختلفون ثقافياً وعرقياً ودينياً.

التشريعات تمنع مؤسسات الإحصاء وغيرها من طرح أسئلة عن ديانة من تقوم بإحصائهم أو أصلهم أو عرقهم. وتعتبر فرنسا من أقدم البلدان التي طبقت قانون الأرض حيث يعود ذلك إلى سنة 1933 وهو يرتكز على مبادئ الجمهورية التي هي أساس المواطنة، وحسب الفصل الأول من الدستور الفرنسي، تضمن الجمهورية " المساواة بين جميع المواطنين دون تمييز بينهم بسبب الأصل أو العرق أو الديانة".

رغم اتفاقها مع عديد جوانب المفهوم العام للمواطنة، إلا أن للمقاربة الفرنسية بعض الخصوصيات المتمثلة في: الترابط بين الجنسية والمواطنة،¹ والتركيز على الواجبات (المواطنة الفعالة) مع إعطاء أهمية قصوى للحقوق الاجتماعية في المقابل، الفردانية تعدد بالمواطن الفرد ولا تعدد بالجماعات العرقية والإثنية

قد استطاع نموذج المواطنة الفرنسي القائم على المقاربة العلمانية أن يكتسب سمعة طيبة على المستويين المحلي والدولي لفترة زمنية طويلة، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل أبرزها: العلمانية الفرنسية المميزة والتي يطلق عليها: "العلمانية الدستورية"¹، الاتجاه الفردي الذي جنبها الاستقطاب المجتمعي والانقسام، الحرص على الاندماج الاجتماعي، التوافق بين العلمانية الفرنسية والديمقراطية، استقلالية الحياة الديمقراطية عن المال السياسي²، تأصل ثقافة احترام القانون، فعالية ونزاهة الأجهزة الإدارية،³ استقلالية القضاء وعدالته، خصائص الشعب الفرنسي المتمثلة في الحيوية والتنوع والفردية...⁴

ومن بين الأطر الدستورية والقانونية للمواطنة الفرنسية جاء القانون رقم 672-2011 المتعلق "بالهجرة والاندماج والجنسية" ليعدل القوانين السابقة له، ويسجل العودة إلى المقاربة الانتقائية والطوعية لقانون الجنسية، وهذا بفرض مجموعة من الشروط على المترشحين للحصول على الجنسية الفرنسية والمتمثلة في: معرفة التاريخ والثقافة والمجتمع الفرنسي وكذا الإمضاء على عقد الحقوق والواجبات.⁵

¹ أنظر تفاصيل خصوصية العلمانية الفرنسية في: صلاح علي نيوف، مقدمة في العلمانية: مع قراءة في النموذج الفرنسي، (الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك، ب ت).

² حسام شاكر، مسلمو أوروبا والمشاركة السياسية: ملامح الواقع وخيارات التطوير، (دبلن: المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، 2007)، ص 47.

³ جاك شيراك، فرنسا جديدة... فرنسا للجميع، ترجمة: أنطوان إ. الهاشم وأحمد عويدات، (بيروت: منشورات عويدات، 1995)، ص 114.

⁴ جهاد سلوم، "صورة العربي في فرنسا: الجذور والممارسة"، الفكر السياسي، (اتحاد الكتاب العرب، سوريا)، السنة 12، العدد 39، خريف 2010، ص 196.

⁵ République Française, Assemblée Nationale. la Commission Des Lois Constitutionnelles, De La Législation Et De L'administration Générale De La République, Op. Cit, p 75

وهذه التطورات التي تضمنت تشديدا لإجراءات تسوية المواطنة، تُخفي وراءها صراعا بين القيم المؤسسة للمواطنة الفرنسية من جهة، والرغبة في إضفاء البعد الإثني والعرقى على المجتمع الفرنسي من جهة ثانية.¹

هناك طرق للحصول على الجنسية الفرنسية: الميلاد في الإقليم الوطني، الميلاد والسكن بفرنسا، الزواج، التجنس، الجنسية بالولادة فيمكنك أن تكون فرنسيا بصفة نهائية إذا كان أحد والديك فرنسيا. سواء كنت في فرنسا أو في الخارج ابنا شرعيا (بمعنى لوالدين متزوجين) أو طبيعيا (من والدين غير متزوجين). أما جنسية الوالدين جنسية أمك أو أبك هي تلك التي كانا يتمتعان بها يوم ميلادك.

في العقود الأخيرة، أدخلت عدة تعديلات على قانون الجنسية الفرنسي ليصبح (في نظر الساسة الفرنسيين) أكثر تكريسا لقيم المواطنة وأكثر انسجاما ومقتضياتها، ولذلك «يعتز الفرنسيون بأن قانون الجنسية الفرنسي يُعتبر الأكثر انفتاحا بين القوانين المماثلة في أوروبا والعالم».² وتتمثل أهم تلك التعديلات في:

ضمّ هذا القانون إجراءات وشروط الجنسية إلى القانون المدني الفرنسي، وهو ما أُعتبر مكسبا في نظر البعض لأنه سيجعل الجنسية حقا للمواطن يمكنه المطالبة به.³

ويؤخذ على "قانون الجنسية" الفرنسي الحالي مجموعة من المآخذ والتحفظات أهمها: إعطاؤه للحكومة الفرنسية حق الاعتراض على اكتساب الجنسية عن طريق الزواج أو القرار الإداري، بحجج: عدم الأهلية أو عدم تطابق الإجراءات أو لأسباب لغوية،⁴ أو حالات التزوير،¹ وهو ما من شأنه أن يصادر الحق في الجنسية أحيانا ويجعله محل تسييس.

¹ Christophe Bertossi, **Country Report: France**, EUDO Citizenship Observatory, robert schuman centre for advanced studies, January 2010, p 20

² Christian BRUSCHI, «La citoyenneté et la nationalité dans l'histoire», **Ecarts d'identité**, N°75, p 08.

³ République Française, Assemblée Nationale. la Commission Des Lois Constitutionnelles, De La Législation Et De L'administration Générale De La République, **Rapport D'information N° 3605.sur le droit de la nationalité en France**, 29 juin 2011, p 78.

⁴ المادة 21 الفقرة 04.

على صعيد التجنيس وتسوية الوضعية، التمييز في هذا المجال ممارسة فرنسية تاريخية،² واليوم توجد عقبات كثيرة وتشديد في الإجراءات، حيث أن 05% فقط من الأجانب في فرنسا تمت تسوية وضعيتهم بمنحهم الجنسية الفرنسية،³ كما يشتكي عديد المهاجرين من دول بعينها، - المقيمين في فرنسا-، من استهدافهم بشكل شخصي لدواعي الأصل والعرق واللون والجنس والدين أثناء مباشرتهم إجراءات الحصول على الجنسية الفرنسية، وزاد هذا التمييز الذي يأتي على شكل تعقيدات بيروقراطية، وتحقيقات أمنية واستخباراتية، ورفض بعض الطلبات... خاصة مع بروز الحرب العالمية على الإرهاب وانتشار الهجمات الإرهابية في فرنسا وأوروبا.

الجدول رقم 04: يمثل أفراد العينة حسب المستوى الدراسي

النسبة %	التكرار	المستوى الدراسي
----------	---------	-----------------

¹ المادة 27 الفقرة 02.

² في الجزائر التي كانت خاضعة للاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشر، كان المسيحي واليهودي يستطيعان الحصول على الجنسية الفرنسية "أوتوماتيكيا"، وما كان المسلم يستطيع ذلك. أنظر: ستيفاني غيري، مرجع سابق، ص 363.

³ Christophe Bertossi, Op. Cit, p 01.

75.55	136	جامعي
15.55	28	ثانوي
8.88	16	متوسط
100	180	المجموع

من خلال الجدول أعلاه يتبين أن أغلبية المبحوثات والمقدرة نسبتهم بـ 75.6% ذات مستوى جامعي، تليها ذات مستوى التعليم الثانوي بنسبة 15.6% وفي الأخير نسبة من مستوى التعليم المتوسط 8.9%.

يعرف في المجتمع الفرنسي تطور كبير في ميدان التربية والتعليم. ينعكس ذلك في مؤشرات كثيرة، ومن بين هذه المؤشرات مؤشر الوصول إلى المقاعد البيداغوجية في الجامعات والمعاهد، وليست المهاجرات بمعزل عن هذا النجاح فالمعاهد الحكومية العامة والخاصة منتشرة في كل مكان في أن أنحاء فرنسا، والحقيقة أن القانون لا يمنع دخول المحجبات إلى الجامعات والمؤسسات الخاصة والحرّة وإنما في المؤسسات العامة الحكومية. تكمل أغلب البنات المغتربات دراستهن العليا حتى تساهم في حراك الأسرة وتغيير ظروف معيشتها إلى الأحسن، حتى تنال بذلك مناصب نوعية وعالية ومهن محترمة تليق بوضعها كالمراة.

وللاشارة يمكن اعتبار عينة الدراسة من فئة النخبة المثقفة وليست من عامة المحجبات لأن أغلبتهن من مستويات تعليمية مرتفعة، يمكن لها أن تعكس لنا قناعات مختلف الفئات الأخرى.

الجدول رقم 05: يمثل أفراد العينة حسب الوضعية المهنية

النسبة %	التكرار	الوضعية المهنية
----------	---------	-----------------

54.44	98	طالبة جامعية
36.66	66	موظفة
8.88	16	تلميذة في الثانوية
100	180	المجموع

يوضح الجدول أن أعلى نسبة من المبحوثات وتقدر بـ 54.44%، وضعيتهن المهنية طالبات في الجامعة، تليها في المرتبة الثانية نسبة 36.66% موظفات، وفي الرتبة الثالثة بنسبة 8.88% تلميذات في المرحلة الثانوية.

الحجاب يميز كل الفتيات في مختلف الوضعيات سواء الدراسية أو غيرها، فتلبسه الطالبات في الثانويات والجامعات وأيضا العاملات في مختلف المهن والأعمال سواء كانت وظائف أو أعمال حرة. وهو يعبر عن التزام وقناعة تجاه معتقد تتمسك به يمثل أصالتها وكيونتها. إذ هو اتجاه شرعي تجد فيه الفتاة هويتها وروحانيتها وفق معتقداتها، كما تؤكد **قوانين العمل الفرنسية** على حقوق وواجبات العمال ومساواتهم في الأجور وعلى المساواة بين العاملين والعاملات في مختلف المجالات المتعلقة بالعمل: الأجور، الترقية، الوصول إلى المناصب السامية.

الجدول رقم 06: يمثل أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية

النسبة %	التكرار	الحالة الاجتماعية
65	99	عازية
30	72	متزوجة
5	9	مطلقة
100	180	المجموع

يوضح الجدول أعلاه أن أعلى نسبة من المبحوثات هن عازيات بنسبة تقدر بـ 55% تليها في المرتبة الثانية فئة المتزوجات بنسبة 40% وفي الدرجة الأخيرة المطلقات بنسبة 5%.

ما يمكن استنتاجه من الجدول أن ظاهرة فعل التحجب في المجتمعات الغربية وبالخصوص في فرنسا تخرق كل الفئات العمرية وكل الوضعيات الاجتماعية العازية والمتزوجة وفي كل الأعمار. فهو ليس حكرا على فئة دون أخرى مثلها مثل المجتمعات العربية، من الطفلة إلى العجوز المسنة.

خلاصة الفصل:

بعد تحديد الإجراءات المنهجية الميدانية وبعتماد المنهج الوصفي التحليلي، واستعمال تقنيات البحث، وتحديد مجالات الدراسة (الزماني، المكاني، البشري)، إلى تحديد مجتمع البحث وكيفية اختيار العينة، وأخيرا تحديد خصائص العينة نحاول في الفصل الموالي مناقشة وتحليل مختلف النتائج المتحصل عليها من الدراسة الميدانية.

الفصل الثامن: عرض وتحليل معطيات الدراسة الميدانية

تمهيد

8-1- بناء وتحليل جداول الفرضية الأولى

8-2- بناء وتحليل جداول الفرضية الثانية

8-3- بناء وتحليل جداول الفرضية الثالثة

8-4- بناء وتحليل جداول الفرضية الرابعة

8-5- بناء وتحليل جداول الفرضية الخامسة

تمهيد:

سنتناول في هذا الفصل عرض المعطيات التي تم التوصل إليها عن الفرضيات مع تحليلها من الناحية الكمية والكيفية، قصد الخروج بالنتائج الجزئية والعمامة لدراسة.

8-1- بناء وتحليل جداول الفرضية الأولى:

احترام الحرية الشخصية للمحجبة في الأسرة عامل أساسي لتنمية روح المواطنة

الجدول رقم 07: يمثل القرار الأول لفكرة ارتداء الحجاب

النسبة %	التكرار	قرار ارتداء الحجاب
72.22	130	اختيار شخصي
12.22	22	بفرض من العائلة
10.5	19	بطلب من العائلة
5	9	باقتراح من شخص آخر
100	180	المجموع

من خلال الجدول أعلاه نستدل أن الاتجاه العام لعينة البحث وبنسبة 72.22% يصرح بأن قرار ارتداء الحجاب لأول مرة كان باختيار شخصي تليها نسبة 12.2% من اللواتي صرحن بأنه كان بفرض من العائلة، تليها نسبة 10.5% من اللواتي صرحن بأنه بطلب من العائلة أما الفئة الأخيرة فكان ارتداء الحجاب باقتراح من شخص آخر بنسبة تقدر بـ 5%.

تؤكد أغلبية العينة على أن اختيارهن للحجاب كان شخصيا دون إكراه اجتماعي لا كما تصوره وسائل الإعلام في الغرب على أنه إجبار وإلزام من الأب أو الزوج ونوعا من الاضطهاد والقهر الممارس ضد النساء المسلمات. فمسألة التحجب من عدمه هو قرارها

الشخصي النابع من حريتها وغير مفروض عليها بالقوة والإكراه العائلي أو بسلطة الأمر الواقع الاجتماعي أو بحكم القوانين الوضعية.

وهذا ما تؤكدته كريمة 25 سنة موظفة من أصول جزائرية بقولها: قرار الارتداء نابع من داخلي ولم يجبرني أحد عليه، وهو طاعة لله وأنا ارتداء ما اشاء من الملابس ولا يجبرني أي شخص على أزياء معينة فجسدي ملكي وقد تحررت من نظرات الناس وأنا لست للاستعمال العام، فأنا ألبس لنفسي ولا ألبس من أجل أحد. تأسيساً على هذه القاعدة المرتبطة بمعنى حرية المرأة الفردية وقرارها الشخصي في نزع الحجاب من عدمه يصبح إجبار المرأة على نزع الحجاب بقوة قوانين الدولة كما هو حال تركيا وتونس وفرنسا أو إجبارها على ارتدائه كما الحال في إيران والسعودية والسودان وجهين لعملة واحدة تنتهك من خلاله حقوق المرأة وفي مقدمتها حقها في اختيار شكل الملابس التي تتوافق مع إيمانها الديني وثقافتها ومكانتها في الحياة العامة.

كما تثير هذه القضية مسألة الحرية الشخصية، في ظل النظام الليبرالي الفرنسي الذي يعلي من قيمة الحرية الفردية، حيث أرست الثورة الفرنسية منظومة قيم ليبرالية منذ إعلان حقوق الإنسان والمواطن في عام 1789، وتأكيدده لقيم الحرية والإخاء والمساواة. وتقول في هذا الصدد وفاء وسارة* " طالبات من الجامعة "جسدي وحجابي شأن الخاص ولا يمكن لأحد أن يملئ علي كيف ينبغي أن أبدو، أو يقرر ما إذا كنت جميلة أو لا، فأنا فهناك أشياء أهم من ذلك بكثير بالنسبة لي. كما أن المسألة في نهاية الأمر تتعلق بالحرية الشخصية التي تعد القيمة الأعلى في الفكر الليبرالي، كما تعد أساس النظم السياسية الديمقراطية التي تقدر الفرد كإنسان وكمواطن، بعيداً عن استغلال قضايا الأقليات العربية والمسلمة أو الأجانب بشكل عام لتنفيذ المواطنين الفرنسيين الأصليين من كل ما هو أجنبي. إن مؤشر اختيار الحجاب كحرية شخصية للفتاة يستدعي احتراماً من كل الأطراف بداية من الأسرة إلى الفضاء العام من أجل سيادة مبدأ التعايش تحت سقف مفهوم المواطنة.

* مقلبة شخصية.

الجدول رقم 08: يمثل سن ارتداء الحجاب لأول مرة

النسبة %	التكرار	سن ارتداء الحجاب
19.44	35	[22-16]
67.77	122	[29-23]
12.77	23	[36-30]
100	180	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول المبين اعلاه، أن أفراد العينة يمثل بأعلى نسبة قدرت بـ 67.77% لبسن الخمار ما بين سن [29-23]، تليها نسبة 19.44% لبسنه ما بين سن [22-16] ، تليها نسبة 12.77% ممن لبسنه في سن ما بين [36-30]. أغلبية العينة كان سن ارتدائها للحجاب ما بين [29-23]، وهذا السن هوسن التمييز والنضج العقلي ويتزامن مع والتكليف الشرعي بإحكام الفقه الإسلامي وهو ايضا سن المسؤولية الكاملة من وجهة نظر القانون المدني، وايضا اختيار شخصي يتوافق مع مبدأ العلمانية ومكسب ايجابي لكل الفرنسيين. إلا أن بعض رجالات السياسة والإعلام يفهمونها بأفق ضيق. ففي الوقت الذي يحاولون فيه حماية الحريات نجدهم يقيدونها. كما أن النواب الذين تبنوا قانون منع الحجاب يعتقدون أن البنات اللواتي يرتدينه مجبرات، سواء عن طريق عائلاتهم أو عن طريق جماعات أصولية. إلا أن هذا يتنافى مع نتائج الدراسة التي تؤكد أن اختيار الحجاب لم يقع في سن الطفولة وعدم التمييز، وإنما في عمر الشباب وهو اختيار حر يتطلب الاحترام وخاصة في المجتمع الفرنسي حيث الحريات المطلقة في كل الاتجاهات، حيث تؤكد كل من فضيلة 26 سنة وسارة 24 سنة من أصول جزائرية أن الأولياء هم من يرفض الحجاب على عكس إرادتهن في التحجب. أما عن فرض لبس الحجاب بالقوة والإكراه أظن أنه ليس موجود حتى في المجتمعات الشرقية العربية، ربما إلا في بعض الضواحي والأرياف.

الجدول رقم 09: يمثل علاقة قرار الارتداء بالسن ارتداء الحجاب

المجموع		سن ارتداء الحجاب						قرار ارتداء الحجاب
		[36-30]		[29-23]		[22-16]		
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
72.22	130	100	23	72.13	88	36	19	اختيار شخصي
12.22	22	0	0	8.19	10	34.28	12	بفرض من العائلة
10.5	19	0	0	12.29	15	11.42	4	بطلب من العائلة
5	9	0	0	7.37	9	0	0	اقتراح شخص آخر
100%	180	12.77	23	67.77	122	19.44	35	المجموع

يصرح أغلب أفراد العينة المبحوثة الممثلة بـ 67.77% بأن أول مرة لبسن فيها الحجاب كان في سن ما بين [29-23] ، تدعمها نسبة 72.13% لبسنه باختيار شخصي. كما نجد نسبة 19.44% صرحن بأنهن لبسنه ما بين سن [22-16]، تدعمها من لبسنه بفرض من العائلة بنسبة تقدر بـ 34.28% و 36% لبسنه باختيار شخصي في هذا السن الأخير وبالمقابل نجد أن نسبة 12.77% من اللواتي لبسنه ما بين سن [36-30]. تدعمها في ذلك نسبة 100% لبسنه باختيار شخصي.

يتمركز سن ارتداء الحجاب في الفئة العمرية [21-26] باختيار شخصي وحرية تامة وهذا أمر طبيعي، فهذا موجود حتى في البيئة الثقافية العربية المعاصرة، حيث يتأخر لبس الحجاب إلى المرحلة الجامعية وخاصة في المدن الكبرى، حيث تراجع نمط الضبط الاجتماعي المتشدد في ملابس الخروج إلى الفضاء العام، وذلك نتيجة التغيير الحاصل في هذه المجتمعات فضلا عن الغرب أين نجد الحريات الكاملة والمطلقة وحقوق الأبناء حتى أمام القضاء في محاكمة أوليائهم.

كما نستنتج أن فرض الأولياء لمسألة الحجاب ان وجد فإنه يكون في سن مبكرة ما بين سن [16-22] كما يوضحها الجدول وكلما ارتفع معدل العمر كانت الاستقلالية والتحرر في الاختيار. واختيار الحجاب في سن ما بين [23-29] يدل على الوعي والادراك التام بفعل التحجب وأنه لا يقع بفعل إكراه وضغط الأسرة. وهو مؤشر يدعم احترام الحريات الشخصية حتى داخل الأسرة.

الأمر الذي أهلهن لاتخاذ قرار ارتداء الحجاب بإرادتهن، دليل على أنهن ناضجات ومستقلات بالرأي وقويات الشخصية لأن الأمر يتعلق بالحرية الشخصية واختيار طريقة العيش في الحياة. فأغلب أفراد العينة اخترن الحجاب عن اقتناع وكان ذلك جزء من بحثهن عن هويتهم، تقول بعض النشاطات المحجبات في الجمعيات الإسلامية أن الحجاب رمز التحرر وأنا نتقاطع مع حركات النضال النسوي بشكل في نقطة أساسية هي الحرية الشخصية، فلا يمكن أن يقال لك كيف تتحرر فالتحرر ينبثق من داخل قناعات الشخص فالنضال التحرري يمس كل من ترغب في ارتداء الحجاب ومن لا ترغب في ذلك، فالحرية في عدم ارتداء الحجاب تفترض الحرية في ارتداءه. فالإكراه مرفوض في الاتجاهين معا.

الجدول رقم 10: يمثل علاقة سن المحجبة بتدخل الأهل في اختيار ملابس الخروج

المجموع		تدخل الأهل في اختيار ملابس الخروج						السن
		دائماً		أحياناً		أبداً		
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
19.4	35	100	19	0	0	12.5	16	[22-16]
67.7	122	0	0	90.9	30	71.8	92	[29-23]
12.7	23	0	0	8.7	3	91	20	[36-30]
100	180	10.5	19	18.3	33	71.1	128	المجموع

يتضح من الجدول أعلاه أن نسبة الممثلة بـ 71.11% يؤكد عدم تدخل الأهل في اختيار ملابس الخروج الى الفضاء العام أبداً تدعمها في ذلك الفئة العمرية في سن ما بين [36-30] نسبة 91%. كما تدعمها في ذلك نسبة 71.8% من الفئة العمرية ما بين سن [29-23]، وبالمقابل نجد أن نسبة 18.3% من اللواتي يؤكد عدم تدخل الأهل في اختيار ملابس الخروج الى الفضاء العام أحياناً تدعمها في ذلك الفئة العمرية ما بين سن [29-23]، بنسبة 8.7%. وفي الأخير هناك نسبة 10.5% يؤكد تدخل الأهل في اختيار ملابس الخروج الى الفضاء العام دائماً تدعمها في ذلك الفئة العمرية ما بين سن [22-16] بنسبة 100% .

يتراجع تدخل الأهل في ملابس الخروج إلي الفضاء العام كلما كبر سن الفتاة، حيث تصبح تتمتع بنوع من الاستقلالية الشخصية، مع أن البعض من علماء الدين والدعاة يعتبرون أن حجاب المرأة هو أمر شرعي تعبدي صريح وفرض ديني ملزم لجميع النساء المسلمات في كل زمان ومكان ولا يتردد في فرضه على النساء كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لكن على البعض أن يتذكر ما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى في آية الكرسي من سورة

البقرة: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي". فمن الأجدى أن نترك للنساء المسلمات حرية القرار في شؤون تفاصيل لباسهن، غير المنصوص عليها صراحة في القرآن والمختلف عليها اجتهاداً بين الفقهاء.

وهذا ما تؤكد به بعض الفتيات حيث تقول فائزة 28 سنة صحفية " فمن شأنت فلتتجنب إذا كانت تعتقد أن هذا يزيدنا قرباً من الله، ومن شأنت فلتنزع الحجاب المهم أن التعري الفاضح تنكره حتى المجتمعات الغربية، فلا تراه إلا في الملاهي الليلية أو على شواطئ البحر.

على الرغم من الأصول الثقافية لأسرة الفتاة تحدد موقف الأهل من الحجاب إلي حد بعيد إلا أن شخصية المحجبة تتراوح بين الفتيات المتمسكات بشدة واللواتي لا يفكرن بتاتا ونهايا بخلع الحجاب مهما كانت الظروف والتحديات التي تواجهن من أجل ذلك، وبين موقف الأولياء الرافض للحجاب، هذا أمر ليس موجودا فقط عند الفتيات من أصول فرنسية مسلمات بل المفارقة حينما يتجاوزهن إلى أولياء فتيات من أصول مغربية ويكون هذا عادة بدواعي الخوف من المتابعات الأمنية، وأحيانا نتيجة التأثر والذوبان في الثقافة الغربية¹ وفي كل الأحوال فالفتيات متمسكات باختيارهن وعلى كل الأطراف احترام الحريات الشخصية والحياة الخاصة للمحجبات. " إذن عدم تدخل الأسرة في ملابس الخروج إلى الفضاء العام مؤشر يدل على احترام الحرية الشخصية.

¹ من خلال مقابلات مع مجموعة فتيات مغربيات محجبات.

الجدول رقم 11: يمثل الشعور الشخصي حال الخروج دون حجاب

النسبة %	التكرار	الشعور
40,6	73	أشعر بالتناقض مع معتقداتي الدينية
39,4	71	اشعر أنني شبه عارية
20,0	36	الشعور بالخجل والحياء
100	180	المجموع

تصرح أغلب أفراد العينة من المبحوثات وبأعلى نسبة قدرت بـ 40.6 % شعوره حال خروجها دون حجاب هو التناقض بين معتقداتها الدينية وسلوكها، تليها نسبة 39.4% يشعرون بأنهن شبه عاريات، تليها نسبة أخيرة 20% يشعرون بالخجل والحياء.

ما يمكن استخلاصه من هذا الجدول أن الإحساس والشعور بالذنب ينتج من خلال التنشئة الدينية للفتاة وتنمية الوازع الديني في نفسها عن طريق المواعظ والإرشادات الدينية التي تتلقاها منذ طفولتها المبكرة في مختلف المناسبات، ومن مختلف أفراد الأسرة وبكل أساليب الترغيب والترهيب المتعلقة بوجوب الستر وعدم كشف الجسد للأجانب في الفضاء العام أين يتواجد الرجال الغرباء من غير المحارم¹. (المحارم : هم الجد، الأب، الأخ، العم والخال ممن يحرم الزواج منه)

تقول سهام 29 سنة موظفة* " أنا أنثى مقهورة في كل مكان وزمان، لأن من تؤمن أن جسدها شأنها الخاص وتريد السيطرة عليه تتهم بأنها معقدة ومتسلط عليها بل وحتى أحيانا تتعت بالإرهابية، لمجرد أنها ترفض التعري بداعي الحياء والحشمة، وتقول فتاة أخرى في هذا الصدد يمنحني حجابي تحررا من الاهتمام المستمر بذاتي الجسدية لأن مظهري لم

¹ نتائج المقابلات الشخصية.
* مقابلة فردية مع موظفة محجبة

يعد صورة يتفحصها العام من الناس، وأنا أخجل من التعري بحكم تربيتي الدينية، ويستحيل أن أفكر ولو لحظة في الخروج دون حجاب يسترني".

ويتدخل في تنشئة الفتاة على الحجاب مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى كالدعاة في الفضائيات الدينية وأئمة المساجد من خلال الدروس والخطب المنبرية بإنزال الحجاب منزلة الفرض من الواجبات الشرعية على المرأة، وأن العري معصية ومخالفة تعاقب عليها يوم القيامة. وبهذا ينمو الشعور بالذنب عند الفتاة اتجاه الله سبحانه وتعالى. وهذا ما يعكس تأثير مؤشر الفتاوى الدينية المتعلقة بموضوع وجوب ستر الفتاة لجسدها.

وحتى نضفي طابعا تحليليا سوسولوجيا نبين من خلاله أن تدين الجسد هو من بين المعتقدات الثقافية التي يشكل احترامها أساسا لبناء وتكريس المواطنة في واقع الحياة اليومية يمكن اعتبار الحجاب وسيلة للبقاء في إطار هوية شخصية وانتماء وطني غير واضح المعالم والإ كيف نفسر فكرة ارتداء الحجاب عند المولودات في فرنسا واللائي لا يملكن في غالب الأحيان إلا القليل من ثقافة أسرهن، والتفسير الأقرب لهذا السؤال هو أن ما يفعله المحجبات يعتبر وسيلة لإثبات انتمائهن إلى ثقافتهن المنبوذة أي أشبه ما تكن بعملية رد فعل على هذا المجتمع الراض للمهاجرين بالجملة وليس فقط المحجبات. فهو شكل من التضامن مع أسرهن وآبائهن وأخوتهن الذين كانوا دوما ضحايا التمييز العنصري بالتهميش والإقصاء الاجتماعي.

الجدول رقم 12: يمثل إمكانية مواكبة موضة الملابس

النسبة %	التكرار	الشعور
42.22	76	جسدي شأني الخاص لا تمسه الموضة
33.33	60	الحجاب أداة تحرر من سوق الاستهلاك
24.44	44	لا تهمنى المظاهر الخارجية
100	180	المجموع

يتضح من الجدول أعلاه أن نسبة 42.22 % من اللواتي يؤكدن أن أجسادهن شأن خاص لا تمسه الموضة تليها نسبة 33.33% يرين أن الحجاب أداة تحرر من سوق الاستهلاك ثم نسبة 24.44% لا تهمن المظاهر الخارجية.

تبين من الاقتباسات في حديثنا مع سميرة وإيمان طالبتين في الجامعة* وهما مقتنعتان بأن التزام الحجاب معناه السعي للهروب من لعبة الجمال وبذلك فإنهن تعتنقان رمزاً من تراثهما الإسلامي تعدانه أداة تحرر، وقد يراه غيرهما في سياقات أخرى أداة قهر. فالحجاب عند هاتين المرأتين ومن على شاكلتهما من المسلمات إجراء مضاد أو عبارة عن ردة فعل ضد التعري في الغرب، فإذا نظرنا للحجاب من هذه الزاوية نراه يقول: "عاملني كإنسان وليس كائناً جسداً إروتيكياً (شهواني) أنا بشر ولست شيء للاستعمال والاستهلاك الجنسي".

كما سبق وأن أشارت الباحثة المغربية فاطمة المرنيسي، في دراساتها إلى أن الفارق الجسدي بين المرأة والرجل هو أمر مكتسب فلا تولد المرأة أضعف من الرجل ولا العكس، بل تكتسب هذه الصفة بفعل الدلالات والرموز الاجتماعية، وهو ما تؤكدته المفكرة الفرنسية "سيمون دي بوفوار" التي تقول: "لا نولد نساء، بل نصبح كذلك"، والشيء نفسه بالنسبة إلى الرجل. وهو ما يعكس السيرورة التاريخية السوسوثقافية التي تضع الجسد تحت قبضة مختلف المؤسسات

* مقابلات مع محجبات في جامعة ليل.

الاجتماعية، ووفق هذه السيرورة يعتقد « ميشال فوكو » أن الجسد ليس مجرد كيان طبيعي وإنما هو كيان ينتج اجتماعاً Socially produced من خلال نظم المعرفة والسلطة بحيث يصبح جسداً ليناً طبيعياً.¹

تصف مريم 27 سنة موظفة* أنه يمكن اعتبار الحجاب في الغرب أداة تحرر من تحويل الرأسالية الجسد إلى سلعة يتاجر بها. ولا تترك المرأة كائناً جنسياً وإنما عليها أن تهرب إلى الحجاب كونه إرثاً إيمانياً يبعث على تقوية الجانب الروحي في الإنسان على حساب النزعة المادية المتوحشة، ومعنى أن ننزع الحجاب ونعرض أجسادنا أننا نحول أنفسنا إلى أشياء وليست المساواة كمواطنين أمام القانون مشروطة بالتعري واللهث وراء الموضة.

تضيف سهام 29 سنة موظفة: تحررت من ضغوطات أني رشيقة لا أعجب الرجال ومن أن أمشى على كعبيين عاليين وأشتري ملابس فاخرة وثمانية من بيوت أزياء مشهورة، وأنا الآن استطيع التركيز على نفسي لا على ما يظنه الآخرون، فقيمة المرأة حينما تتحرر من كونها جسد فقط. فالإعلانات والإشهارات تختزل المرأة في جسدها في المحتوى الجنسي الإباحي. وتواصل كلامها: الحجاب جزء من رحلتي الروحانية الدينية نحو الله، قبل الحجاب كنت أشعر أن أعين الرجال تأكل جسدي وأشعر مع ذلك بالخجل، لا أريد أن يكون جسدي متعة لكل ناظر فأنا بحاجة إلى نيل احترام الرجال وليس تشهيبهم في كوجبة غداء.

تقول كاثرين بولوك في مقدمة الطبعة الثانية من كتابها (نظرة الغرب إلى الحجاب) أن اللغز الذي يحتاج إلى تفسير من وجهة نظر النساء المسلمات، ليس لماذا اخترن الحجاب، بل لماذا لا تفعل الأخريات ذلك، فعندما تقوم النساء في الغرب بتعرية أجسادهن وعندما تواصل الثقافة الرأسالية استغلال الشكل الأنثوي في الإعلانات عن السلع الاستهلاكية، وعندما تزدهر جراحة التجميل، يصبح السؤال التالي ملحا وضرورياً: لماذا تقبل النساء الغربيات هذا الاستغلال لشكلهن الأنثوي ولأجسادهن؟، ولماذا هذه الحاجة إلى «تعرية

¹ Marks ,J.(2000) Foucault ,Franks , Gauls : the 1979 lectures at.p96

* مقابلة فردية.

كل شيء وعرضه على الآخرين؟ إذن حرية الجسد في النهاية شأن خاص يصب في الحريات الفردية، ومن قيم المواطنة احترام الهوية الذاتية للفرد، وينبغي تقديس حرمة الجسد ويبقى هذا الاحترام مؤشرا ايجابيا يعكس إنسانية الإنسان ومدنيته وتحضره.

8- 2 بناء وتحليل جداول الفرضية الثانية:

• احترام الهوية الثقافية للمحجبة في الفضاء العام (على المستوى الفردي) عامل إيجابي لتأكيد المواطنة

الجدول رقم 13: يمثل علاقة الاعتقاد بوجوب الحجاب مع الشعور اثناء الخروج بدونه

المجموع		الاعتقاد بوجوب الحجاب				الشعور اثناء الخروج بدون خمار
		سنة ومستحب		فرض		
%	ك	%	ك	%	ك	
40.55	73	37.03	10	41.17	63	التناقض مع معتقداتي
39.44	71	33.33	9	40.52	62	اشعر أني شبه عارية
20	36	29.62	8	18.30	28	شعور بالخجل والحياء
100	180	15	27	85	153	المجموع

بقراءتنا الإحصائية لهذا الجدول نلاحظ أن أكبر نسبة من العينة المبحوثة والمقدرة بـ 85% يعتقدن بأن الحجاب فرض، تدعمها نسبة 41.17% يشعرن اثناء الخروج بدون خمار بالتناقض مع معتقداتهن، كما تدعمها نسبة 40.52% يشعر بأنهن شبه عاريات وبالمقابل نجد أن نسبة 15% يعتقدن أن الحجاب سنة ومستحب. تدعمها نسبة 37.03% يشعرن اثناء الخروج بدون خمار بالتناقض مع معتقداتهن، كما تدعمها نسبة 33.33% يشعر بأنهن شبه عاريات.

عينة المحجبات التي اعتمدها في الدراسة كلها كاشفة للوجه تساير فتاوى التيسير ورفع الحرج لما تقتضيه مصالح الناس وحاجاتهم المعاصرة، لأن الوجه يعكس بالنسبة إليهن هوية

المرأة الشخصية، وهذا الصنف من المحجبات يعتقد بأن الحجاب يقع في منزلة الفرض من الواجبات الدينية على المرأة المسلمة، على عكس اللواتي يرتدين الجلباب يمثلن الاتجاه السلفي المعروف بالتشدد في مسألة ستر المرأة والداعي إلى الجلباب، وحتى إلى وجوب ستر الوجه بالنقاب واليدين بالقفاز.

تؤكد أغلب اللواتي أجرينا معهن المقابلات أن ارتداء الحجاب أمر تعبدي، وواجب شرعي وليس مجرد رمز ديني أو سياسي، وهو أمر تعتبره المرأة المسلمة جزءاً مهماً من ممارستها المشروعة لتعاليم دينها، وأن هذا الالتزام أمر غير مرهون بأي مكان عام، سواء أكان من أماكن العبادة أم كان من المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية، "فتعاليم الإسلام بطبيعتها لا تعرف التناقض والتجزؤ في حياة المسلم الملتزم بدينه، وهو أمر أجمعت عليه كل المذاهب".¹

إن النساء المسلمات في الغرب اللواتي اخترن ارتداء ما يؤمنّ بأنه اللباس المفروض دينياً أصبح حجابهن أبرز الرموز الإسلامية الظاهرة في الشارع الغربي، ومن ثم أصبح هدفاً رئيسياً للمشاعر السلبية المعادية للإسلام. وقد تغلغل الخطاب السلبي عن النساء المحجبات في مصادر الثقافة الغربية الرئيسية إلى حد اعتبار مقولة «الحجاب يقهر النساء المسلمات» وتقول ماريا 23 سنة موظفة في هذا الصدد "إن لم يكن الحجاب فرضاً دينياً ومجرد مظهر ثقافي فهو أمر يتعلق بمسألة ستر جسد المرأة عن إثارة الفتنة ويعكس عفة المرأة".

ما يمكن استخلاصه من الجدول ومن كلام المقابلات هو أن عينة المحجبات يعتقدنا بأن الحجاب فرض تعبدي، وأنه يستجيب لمقتضيات ومتطلبات العصر وهذا يصب في مؤشر تدين الفتاة والذي يمثل بقاء بعض الأسر المهاجرة في فرنسا محافظة على التنشئة الدينية والذي نعتبره متغيراً رئيسياً ساهم في انتشار الحجاب في الغرب.

¹ مصدره المقابلات الشخصية.

الجدول رقم 14: يمثل سن المحجبة وعلاقته بما يمثلته الخمار للمحجبة

المجموع	ما يمثلته الخمار للمحجبة							السن
	عادات وتقاليد عربية		عبادة طاعة لله		الهوية الثقافية والدينية			
	%	ك	%	ك	%	ك		
19.4	35	75	15	23.63	13	6.66	7	[22-16]
67.7	122	25	5	54.54	30	63.80	67	[29-23]
12.7	23	0	0	5.4	3	19.04	20	[36-30]
100	180	11.11	20	30.55	55	58.33	105	المجموع

يبين الجدول أن أغلبية المبحوثات وبنسبة 58.33% يعتبرن الخمار (غطاء الرأس) يعكس الهوية الثقافية والدينية تدعمها نسبة 63.80% من الفئة العمرية [29-23]، كما تدعمها نسبة 19.04% من الفئة العمرية [36-30] وبالمقابل نجد أن نسبة 30.55% يعتبرن أن الحجاب عبادة وطاعة لله. تدعمها نسبة 54.54% من الفئة العمرية [29-23]، كما تدعمها نسبة 23.63% [22-16].

الخمار الذي تضعه المسلمة على شعرها (كغطاء للشعر) يعكس هوية المحجبة بشكل عام لكنه يتعاضد التمسك به كلما طال زمن ارتدائه، وخاصة لدى أفراد الأقليات بصفة عامة لأنهم يجدون أنفسهم غرباء في مجتمع الأكثرية الذي غالبا يتعارض مع قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم وقوانينه. والأقلية المسلمة في الغرب - بحكم انتماءها لدين وثقافة مغايرة تمامًا

للواقع والثقافة السائدة في الغرب - يتعاضم عندهم في كثير من الأحيان (سؤال الهوية) والذي تحول من سؤال الهوية إلى (صراع للحفاظ عليها).

كما ترى بعض الفتيات من خلال المقابلات الشخصية " أن قانون حظر ارتداء الحجاب يعد تعارضاً مع مبادئ الثورة الفرنسية وانتهاكاً للحقوق والحريات الأساسية للإنسان وأن ذلك يتعارض مع قيم المواطنة التي تقتضي المساواة بين المواطنين على المستويين القانوني والواقعي، ولا يكون ذلك إلا بالإدارة الحكيمة الراشدة للتنوع الثقافي واحترام الخصوصيات الثقافية.

إن وجود الجالية المسلمة في الغرب "قد فرض عليها وعلى المجتمعات الغربية حالة من الأخذ والرد، وهو ما نعبر عنه بـ (صراع الهوية)"¹، فالأقليات المسلمة تواجه محاولات .سواء بشكل مقصود أو عفوي لمحو هويتها أو ما يسميها البعض باغتيال الهوية، وتشمل هذه المحاولات جميع المستويات الثقافية والاجتماعية والإعلامية والتربوية والتعليمية، ويكون الاغتيال الاجتماعي مثلاً عن طريق بث العادات والتقاليد الغربية التي تتسم بقدر كبير من الحرية والاباحية الجنسية، والذي يتنافى مع الدين الإسلامي ويتنافى مع واقع الأسرة المسلمة وعلاقات أبنائها مع بعضهم البعض في المهجر.

إلا أن العلمانية من الناحية النظرية القانونية تحترم حرية التدين وتؤمن بأنه يجب أن تكون السلطة السياسية بعيدة بنفس المسافة من كل الأديان والمذاهب التعبدية وتلتزم الحياد. وهذا المبدأ العلماني يرسخ ويؤكد فكرة المواطنة للجميع على أساس التنوع الثقافي، وليس على أساس عرقي أو عسبي، وهو ما يعكس واقع المواطنة في بعض الأحيان وليس دائماً.

¹ متولي موسى، مقال بعنوان: "الهوية الإسلامية في الغرب المشكلة والحل"، مجلة الراصد

العدد: 201، ربيع الثاني 1419 هـ الموافق أغسطس-1998م

الجدول رقم 15: يمثل علاقة تدخل الأهل في ملابس الخروج وتحقيق القبول الاجتماعي

المجموع		تدخل الأهل في اختيار ملابس الخروج				تحقيق القبول الاجتماعي
		أحيانا		أبدا		
%	ك	%	ك	%	ك	
71.11	128	40	26	88.96	102	دائما
18.33	33	30.76	20	11.30	13	أحيانا
10.15	19	29.23	19	0	0	أبدا
100	180	36.11	65	63.88	115	المجموع

تؤكد المبحوثات وبالنسبة كبيرة تقدر بـ 63.88% لا يتدخل الأهل في ملابس خرجهن. تدعمها نسبة 88.96% يحقق لهن القبول الاجتماعي دائما، كما تدعمها نسبة 11.30% يحقق لهن القبول الاجتماعي أحيانا، وبالمقابل نجد أن نسبة 36.11% يتدخل الأهل في ملابس خرجهن أحيانا، تدعمها نسبة 40% يحقق لهن القبول الاجتماعي دائما، كما تدعمها نسبة 30.76% يحقق لهن القبول الاجتماعي أحيانا ونسبة 29.23% لا يحقق لهن القبول الاجتماعي أبدا.

عموما هناك قبول للمحجبات في الفضاء العام، كما أن أغلب الأولياء لا يتدخلون في ملابس خرجهن إلى الفضاء العام، إلا أن الحركات المناهضة والرافضة للحجاب تفرض أحيانا على المنحدرات من أصل عربي خاصة في مرحلة المراهقة، اختيار أحد النموذجين على حساب النموذج الآخر. فإما أن تميل الكفة إلى قيم المجتمع المضيف فتحاول الانسلاخ عن الهوية المفروضة في البيت، ويبرز ذلك في مظهرها مثل اللباس وتفكيرها وفي تغيير اسمها أو تحريفه، وفي عدم إبداء أي اهتمام بتعلم اللغة العربية وفي الابتعاد عن الجالية العربية بل وعن العائلة بحيث تغادر البيت وتتوقف عن زيارة البلد الأصلي وتكون أغلب

صداقاتها مع غير المنحدرين من أصول عربية. ويعتبر 14% من المنحدرات من أصول عربية في فرنسا أنهم أقرب إلى نمط العيش والثقافة الفرنسية من ثقافة الآباء، ويُعرّف 6% منهم أنفسهم بأنهم فرنسيون دون أي إشارة إلى الأصل¹. وعلى العكس من ذلك هناك فتيات محجبات يشعرن بالقبول الاجتماعي وأنهن مسلمات فرنسيات دينهن الاسلام ووطنهن فرنسا.

هناك بعض الأطراف الأكاديمية ترفض منطلق المواطنة وتثير سؤال الهوية حيث يرى فوكوياما أن "سؤال الهوية لا يُطرح في المجتمعات الإسلامية التقليدية فقط بل يطرح كذلك في المجتمعات المسيحية التقليدية، حيث أن هذه الهوية في المجتمعات الإسلامية معطى اجتماعي عن طريق الوالدين والبيئة الاجتماعية...، وهي ليست مسألة اختيار شخصي ولكن وعلى وجه التحديد تصبح الهوية إشكالية عندما يغادر المسلم مجتمعه الأصلي إلى بلدان أوروبية، عندها يجد المسلم أن هويته أصبحت غير مؤيدة من الخارج، ولكنه يجد نفسه معرضاً لضغوط قوية لجعله متفقاً مع الأنماط الثقافية السائدة في المجتمعات الغربية.

كما يتحول الإسلام الراديكالي إلى شكل من أشكال التعبير عن الهوية" وهذا يفسر "تحول الجيل الثاني والثالث من مسلمي أوروبا إلى هذا النوع من التوجه، ويحاول فوكوياما أن يضم الموقف قائلاً " إن فشل أوروبا في دمج مسلميها بصورة أفضل هو قنبلة زمنية موقوتة أنتجت الإرهاب والعنف، والتي لا بد أن تثير ردات فعل عنيفة من الجماهير الشعبية، وربما في وقت ما قد تؤدي إلى تهديد الديمقراطية الأوروبية ذاتها." 2

(انظر الفرنسية، أوبسرفاتور نوفيل لو صحيفة الدراسة بإنجاز قامت (Valérie Trierweiler: «Je ne : ٥) veux pas vivre les heures qui vont arriver», Le Nouvel Observateur, 1/11/2001, <<http://www.nouvelobs.com/dossiers/p1930/a5747.html>>.

² Fukuyama, Francis , *Identity, Immigration, and Liberal Democracy* , Op.Cit , P10.11.15

الجدول رقم 16: يمثل تعرض المحجبات للمعاكسات في الشارع

المعاكسات	التكرار	النسبة %
أبدا	132	73.33
أحيانا	48	26.66
المجموع	180	100

نلاحظ من خلال الجدول المبين أعلاه، أن أفراد عينة المحجبات على الاستبيان يمثل بأعلى نسبة قدرت بـ 73.33% لا يتعرضن للمعاكسات أبدا تليها نسبة 26.66% يتعرضن للمعاكسات أحيانا.

المعاكسات ظاهرة منتشرة في أوساط الشباب، تتعرض لها الفتاة من حين إلى آخر وخاصة إذا كانت جميلة أو لباسها فاضح، إلا أن هذه المعاكسات تختلف من معاكسات استفزازية وأخرى تحمل معها نوعا من المجاملات والمغازلات. أما ردة فعل الفتيات حسب أقوال بعض المحجبات فإنها تتنوع بين لزوم الصمت إلى الابتسامة العريضة، أو الرد أحيانا بما يليق من الكلام. ومنهن من تتابع طريقها غير مكترثة لما سمعته من كلام، في وقت تختار فيه أخريات جرأة الرد بكلام تحاولن أن تثبتن من خلاله أن كل واحدة حرة في طريقة لباسها وأن ما تقوم به يبقى اختيارا شخصيا لا دخل لأحد فيه.

العديد ممن تحجبن في العشرينيات من العمر يقلن: إنهن شعرن باحترام أكبر في تعامل الرجال معهن بعد الحجاب، ووفر عليهن ذلك التثنت الذي تسببه ضرورة مواجهة معاكسات الرجال. تقول بعض المحجبات أثناء المقابلات الشخصية بأن الحجاب شكل من أشكال الحماية للمجتمع، رجالاً ونساءً، حيث تؤكد مريم 30 سنة ناشطة نسوية " فكرة الحماية في فهمها للحجاب: "ملبسي لا يكتمل دون غطاء رأسي، أي حجابي"، وهكذا لم تعد تعاني من أصوات الصفير وكلام المعاكسات في الشارع وتُعد إيلين الحجاب نعمة، وهي تشعر

براحة حقيقية عند ارتدائه. إذن يبقى تقدير ذات الفتاة واحترامها مطلباً مشروعاً ومؤشراً يدعم ويعضد متغير تأكيد احترام الهوية الثقافية للفتاة فيحقق لها الحماية والأمان.

الجدول رقم 17 : يمثل تعرض المحجبات لتحرش الجنسي

النسبة %	التكرار	المجموع
80	144	أبداً
20	36	أحياناً
100	180	المجموع

تؤكد المبحوثات وبأعلى نسبة تقدر بـ 80% بأنهن مع لبس الحجاب لم تتعرضن أبداً لتحرش الجنسي. تليها نسبة 20% منهن تعرضن لتحرش جنسي أحياناً.

يتمثل التحرش الجنسي في الكلمات غير المرحب بها أو الأفعال ذات الطابع الجنسي والتي تنتهك جسد ومشاعر شخص ما وتجعله يشعر بعدم الارتياح أو التهديد وعدم الاحترام أو الترويع أو الإهانة أو الإساءة أو الترهيب أو انتهاك حرمة الجسد.

الاتجاه العام لعينة الدراسة يؤكد عدم تعرضهن لتحرش جنسي أبداً. إذ تقدر نسبتهن بـ 80% وبالتالي فمسألة التحرش بالفتاة تبدو نادرة مع الحجاب لأن صاحبتة تعلن من خلاله عفتها فعندما ترتدي النساء الحجاب ينلن الاحترام والحرية، وبهذا المعنى فإن الحجاب الذي يراه الغربيون أداة تسلط ذكورية، قد يتحول إلى قوة تحريرية لبعض النساء الغربيات¹ وتؤكد نيكي كيدي "أن المعاملة الكريمة والاحترام الذي تتلقاه المسلمات بسبب الحجاب لا ينفى أن هذا الحجاب جزء من منظومة يتسيدها الذكور والإناث فيها هن الطرف المحكوم."²

¹ Hassini. Wearing the hijab. In contemporary. Morocco. P53.

² Kadide. introduction

مسألة التحرش تخضع لاعتبارات أخرى كشخصية الفتاة والظروف الأسرية التي تعيشها والبيئة الاجتماعية والثقافية. ومع ذلك يعتبر عدم التعدي على المحببة مؤشرا يؤكد تقدير ذات وحرمة جسد الفتاة واحترامها وعدم المساس بكرامتها. وهو ما يدعم متغير احترام الخصوصيات الثقافية في الفضاء العام، كما تبنت فرنسا في السنوات الأخيرة عدة قوانين تمكن للمرأة، وتحميها وتستكمل مواطنتها، وهو تعبير على الوعي بمواطنة المرأة الفرنسية وقد تبني البرلمان الفرنسي قانون "مكافحة العنف ضد النساء"، وهو من القوانين الرائدة في هذا المجال حيث يمنح حماية واسعة للمرأة الفرنسية، وحتى للنساء الرعايا الأجنبيات في فرنسا.

الجدول رقم 18: يمثل المهن التي لا تتناسب مع المحببات

النسبة %	التكرار	المهن المرفوضة
50,6	91	الاختلاط بالرجال
23,3	42	الاعمال الليلية
16,1	29	المؤسسات الربوية
10	18	لا شيء يذكر
100	180	المجموع

يوضح الجدول المبين أعلاه، أن أفراد العينة وبتمثيل بأعلى نسبة قدرت بـ 50.6% تقول بانهن يرفضن العمل حيث الاختلاط بالرجال، تليها نسبة 23.3% تقول برفض أعمال المناوبة الليلية، تليها نسبة 16.1% ترفض العمل في المؤسسات الربوية، تليها 10% بدون إجابة تذكر.

ترفض كثير من المحببات الاعمال المختلطة مع الرجال أو ما يعرف بمفهوم الخلوة عملا بالحديث النبوي القائل (ما خلا رجل بمرأة إلا كان الشيطان ثالثهم)، ولأن الاختلاط في الخلوة بالرجال يسبب التحرش و الوقوع في الفتنة.

كما يرفض أعمال المناوية الليلية لأنها تكن أثناء خروجها ليلاً عرضة للاعتداءات من طرف عصابات المافيا المناهضة والمعادية للمهاجرين وقلة رجال الأمن ليلاً، والبعض يرفضه لأنه لا يتناسب مع طبيعة أنوثة المرأة ولا يتلاءم مع متطلبات البيت والأولاد. وترى المحجبات أن العمل في البنوك والمؤسسات التي تتعامل بالربا محرم شرعاً ولا يجوز التعامل معها والعمل فيها. ويتأكد احترام المحجبة في اختيار المهن التي تتناسب وخصوصياتها الثقافية واتجاهها في التدين وفق ثنائية (الحلال و الحرام). بعيداً عن كل طرق استغلال الجسد في صورته المادية.

يقول « فوكو » في كتاب "المراقبة والعقاب" Punish & Discipline الذي صدر في عام 1975: في مسألة استغلال الأجساد « إن الجسد غارق مباشرة في الميدان السياسي فعلاقات السلطة تمارس تأثيراً مباشراً عليه، إنها تستثمره، تروضه، تعذبه، تفرض عليه أعمالاً، تلزمه باستعراضات، تطلب منه إشارات... الخ وكل ذلك مرتبط مباشرة بالنظام الاقتصادي، لأن الجسد مفيد ومنتج في ذات الآن، إنما لا يمكن تشغيل الناس بصورة فعالة ومريحة، إلا عندما يكونون قد «أسروا» في نظام إخضاع، حيث الحاجة هي أيضاً أداة سياسية معدة ومدروسة ومستخدمة بعناية، لا يصبح الجسد قوة مفيدة إلا إذا كان الجسد منتجاً خاضعاً في ذات الوقت»¹.

¹ أوبيير دريفوس ويول رابينوف (د.ت) ميشيل فوكو: مسيرة فلسفية، تر: جورج أبي صالح، مركز الإنماء العربي، بيروت، ص 104.

الجدول رقم 19: يمثل أفراد العينة حسب رمزية الحجاب

النسبة	التكرار	الجواب
36,1	65	جزء من شخصيتي وهويتي
34,4	62	ارضاء الله والتزام بالدين
29,4	53	حياء وعفة وحشمة
100	180	المجموع

تصرح أغلب أفراد العينة من المبحوثات وبأعلى نسبة قدرت بـ 36.1 % بأن رمزية الحجاب تكمن في إرضاء الله والتزام بتعاليم الدين، تليها نسبة 34.4 % يمثل لهن جزء من الشخصية والهوية. تليها نسبة 29.4 % يعتبر بالنسبة اليهن حياء وعفة وحشمة.

تقاربات نسب الإجابات وتقارب معناها المعنى الذي يجمع على أن الحجاب أمر تعبدية يعكس عفة الفتاة وهويتها الدينية. الحجاب يحدد وفق أيقونة من التصرفات والسلوكيات شخصية وهوية المرأة ومع طول زمن التمسك به يصبح يشكل جزء كبير من هوية المرأة كما يعكس انتسابها الثقافي والحضاري الذي تمتد جذوره إلى مختلف المظاهر والطقوس والشعائر الإسلامية الأخرى.

كما يرتبط الحجاب بثنائية مفهومي (الستر والعورة) في أدبيات الفقه الإسلامي والتي تترسخ قيمها منذ بداية التنشئة الأولى في الطفولة حيث الحشمة والفصل في المضاجع (الفراش) بين الإناث والذكور، وعدم إظهار مفاتن الأنوثة حتى في داخل البيت مع المحارم حيث لا يجوز كشف ما فوق الركبة، حتى للأخ والأب والعم والخال، إلا رؤية الرقبة والشعر والإذراعين والساقين وباقي الجسد يدخل في دائرة العورة الواجب سترها حتى في البيت. وهذا النوع من التربية ينمي حس الحياء والحشمة عند الفتاة. ويصبح للجسد قداسة وحرمة بالنسبة للفتاة.

هذا يعني أنه في وقت الأزمات الاجتماعية، حين تتعرض حدود وهوية المجتمع للخطر من المُرجَّح أن يكون هناك انشغال بالحفاظ على الحدود الجسدية القائمة على طهرانية الجسد.¹ وهذا ما ينطبق على معركة الحجاب سواء هنا في فرنسا، حيث أن الخمار (غطاء الرأس) أصلٌ عملية التمثل الاجتماعي ونواته المركزية التي تعطي المعنى الثقافي والقيمة لباقي عناصر الحجاب لذلك مُنع الخمار في أماكن الدراسة والعمل لأنه يمثل نواة دلالات الحجاب.

أو عندنا في الشرق العربي حيث تحافظ الفتاة مع حجاب الموضة فقط على الخمار كغطاء لرأس تاركة لباقي الجسد حرية اللباس، كما يعبر على ذلك المخيال الشعبي الجزائري (من فوق عمر خالد* ومن تحت الشاب خالد*) أو (من فوق إقرأ* ومن تحت روتانا*) أو (من فوق أفغاني ومن تحت أمريكياني)

¹ Douglas. m. **Natural Symbols..** P.72.

* داعية المراهقين المصري عمر خالد
* مغنى الرأي الجزائري المعروف عالميا الشاب خالد
* قناة إقرأ الدينية ذات الاتجاه الإخواني
* الفضائية المعروفة بإغناي الفيديو كليب المفضوحة

8- 3 بناء وتحليل جداول الفرضية الثالثة:

● إقصاء وتهميش المحجبات قانونيا (التمييز المؤسسي) عامل يهدد قيم المواطنة

الجدول رقم 20: يمثل وجهة النظر حول قانون منع الحجاب في المدارس

النسبة %	التكرار	الجواب
65	117	يتضاد مع مبادئ العلمانية و الحريات الشخصية
22,2	40	تعارض وقانون الجمهورية الفرنسية
12,8	23	يتعارض مع الديمقراطية وحقوق الإنسان
100	180	المجموع

يتضح من خلال الجدول أعلاه، أن أعلى نسبة وقدرت بـ 65%، يؤكدن على أنه قانون يتضاد مع مبادئ العلمانية والحريات الشخصية تليها نسبة 22,2% يقلن بأنه يتناقض مع قانون الجمهورية الفرنسية، ثم نسبة 12.8% يصفنه بأنه قانون يتعارض مع الديمقراطية وحقوق الإنسان.

هناك مفارقة موجودة بين التشريعات والواقع المعيش فحرية المعتقد مكفولة قانوناً وأمام الملاء في فرنسا، لكن لا يجب إشهارها في المؤسسات الرسمية من خلال الحجاب. إن كل هذا يؤكد أن بعض البلدان لم تستطع أن تتخلص من المفاهيم التقليدية للمواطنة مثل الهوية الوطنية والثقافة الأصلية التي لا تستطيع أن تقبل بالحجاب وغيره من المظاهر الثقافية التي حملها الوافدون الجدد إلى المجتمعات الأوروبية، ليس فقط لأنها رموز دينية وإنما لأنها تمثل ثقافة عاشت في حالة صدام تاريخي مع الثقافة الغربية.

إن الكيفية التي تمت بها معالجة قضية الحجاب في فرنسا ساهمت في تكريس ثقافة الاختلاف في المواطنة فالحجاب هو في حالة مواجهة مع العلمانية، حتى وإن كانت اللواتي

يرتدينه مقتنعات بقيم العلمانية، والحجاب هو رمز للهجرة حتى وإن كانت اللواتي يرتدينه لسن بمهاجرات، وإنما مواطنات فرنسيات الأصل.

في هذا الصدد يقول المفكر البحريني¹. محمد جابر الأنصاري في مقال بعنوان: (لا الحجاب ولا السفور من صميم نهضة الأمة) : مما لا شك فيه أن منع المرأة المسلمة من وضع الحجاب في دولة ديمقراطية ليبرالية يمثل بصفة مجردة ومطلقة. مخالفة لمبدأ حرية الضمير للكائن الإنساني، وذلك ما ينبغي أن يترك لقناعاته الضميرية)، ثم يضيف " وإذا كانت الحرية من مبادئها، فإن مبدأ السيادة الوطنية لا يقل أهمية لديها، وذلك ما نتمسك به نحن أيضاً، فلماذا نكره عليها؟، فهذه النظم على ليبراليتها وتسامحها النسبي لا يمكن أن تتسامح إلا مع من يقبل قواعد اللعبة في النظام الديمقراطي العلماني ويسلم بأصولها)، إن إعادة النظر في قضية الحجاب صارت ضرورية، مراجعة ينبغي أن تتناول مسألة الإكراه في الارتداء أو في المنع، إنه لا فرق بين ارتداء الحجاب بالإكراه وإكراه المحجبات على نزعها باسم القانون، وإن المعركة في كلتا الحالتين واحدة، معركة حرية الاختيار.

وقد عاد من جديد الجدل إلى الساحة الفرنسية حول منع ارتداء الحجاب في الجامعات، من خلال طرح نائب حزب اليمين الفرنسي المعارض، إريك سيوتي مشروعاً للنقاش الذي يتضمن تطبيق القانون عبر مختلف أرجاء الجمهورية بما فيها هيئات التعليم العالي وهي المسألة التي يزيكها رئيس الحزب نيكولا ساركوزي. وقد تضاربت ردود الفعل بين مؤيد ومعارض للمشروع بداية بوزيرة حقوق المرأة، باسكال برتوان، التي أيدت اقتراح مشروع حزب اليمين وقابلها الرفض القاطع من رؤساء وعمداء الجامعات، حيث اعتبروا أن الحرم الجامعي هو مكان لالتقاء واختلاط ثقافات أشخاص راشدين وأحرار في ممارسة عقائدهم من دون عنف أو إكراه، وفق ما تلميه قوانين الجمهورية الفرنسية.

¹ محمد جابر الأنصاري، لا الحجاب ولا السفور من صميم نهضة الأمة، صحيفة الحياة بتاريخ 7 كانون الثاني/يناير 2004

وفي هذا الصدد يوضح «فوكو» أن ممارسة السياسة الحيوية لا تزال مستمرة في المجتمعات المعاصرة، فالدولة الحديثة تهتم بصورة متزايدة بتنظيم الأجساد الإنسانية من خلال التشريعات المتعلقة بحقوق المواطنة فيما يخص التغيرات النوعية وغيرها. إن عملية «تسييس» Politicization الجسد تعيد التأكيد على العلاقة المعقدة بين المواطنة والجسد والنوع Gender، وقد كانت هذه التغيرات الهائلة في سياسات الجنس إحدى العمليات الهامة التي أسهمت في الظهور المعاصر للجسد في النظرية الاجتماعية.¹

وما يمكن ان نخلص إليه لأن أزمة الحجاب التي تعرفها فرنسا ليست مشكلة بين العلمانية والإسلام بقدر ما تعكس تصور المجتمع الفرنسي لهويته والاحساس بخطر تهديدها من قبل رموز دينية مرتبطة بأناس لا يزالون يعتبرون غرباء وكأنه وافدين من كواكب آخر ويتعامل معهم المجتمع كأنهم ليسوا مواطنين فرنسيين. كما لا يفسر النقاش الحاد حول الحجاب إلا بالخوف من مهجري الأمس الذين أصبحوا مواطنين اليوم، وأحداث 11 سبتمبر 2011 في الولايات المتحدة الأمريكية مهدت لنزاعات الطائفية في فرنسا وفي كل مكان من العالم وجعلت الإسلام العدو الأول لكل الحضارات ومن نتائجها وأفرارها قانون منع الحجاب في فرنسا 2004.

¹ Turner, B.(1992) Regulating bodies :Essays in medical sociology.p46.

الجدول رقم 21: يمثل علاقة فرص الحصول على العمل والوضعي المهني

المجموع		الوضع المهني						فرص الحصول على العمل
		تلميذة في الثانوية		موظفة		طالبة جامعية		
ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	
74.44	134	100	16	100	66	53.06	52	صعوبة توظيف المحجبات في القطاع العام
16.66	30	0	0	0	0	30.61	30	حظوظ العمل متساوية مع غير المحجبات من المهاجرات
8.88	16	0	0	0	0	16.32	16	نحن ربات بيوت لا نحتاج الى العمل
100	180	8.88	16	36	66	54.44	98	المجموع

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن أغلبية العينة وبنسبة 54.44% طالبات جامعية تدعمها صعوبة توظيف المحجبات في القطاع العام بنسبة 74.44%، تدعمها نسبة 30.61% من الطالبات يرون بأن حظوظ العمل متساوية مع غير المحجبات من المهاجرات، كما تدعمها نسبة 16.32% نحن ربات بيوت لا نحتاج الى العمل وبالمقابل نجد أن نسبة 36% من الموظفات، تدعمها نسبة 100% صعوبة توظيف المحجبات في القطاع العام، في حين نسبة 8.88% صعوبة توظيف المحجبات في القطاع العام.

إن الفشل في الحصول على عمل حقيقة تعيشها كثير من المحجبات. وبما أن المنحدرين

من أصول عربية وُلدوا في البلد الذي يحملون جنسيته، ويعتبرون أنفسهم أبناء ذلك البلد فهم يرفضون أن يقارنوا بالمهاجرين، وبالتالي يرفضون مزاوله المهن التي كان يزاولها الآباء، رغم أن تكوينهم الدراسي والمهني محدود¹، حيث تصل نسبة المهاجرين الجزائريين الذين حلوا بفرنسا قبل 1975 م، والذين اشتغلوا كعمال غير مؤهلين إلى 83%، ونسبة المغاربة إلى 75%، بينما لم تتجاوز نسبة المتحدرين من أصول جزائرية والذين يشتغلون في مهن لا تتطلب أي تأهيل 56%، ونسبة المغاربة 39%¹. يجد المتحدرون من أصول عربية بشكل عام صعوبة أكبر من غيرهم في الحصول على عمل، كما بيّنت دراسة ميدانية أنجزها مرصد الميز العنصري الفرنسي حول انتقاء المرشحين للعمل من خلال سيرهم العلمية التي تكشف هويتهم حيث أن فرصهم في فرنسا أقل خمس مرات من فرص الفرنسيين.² كما أن هناك فئة قليلة في دراستنا هذه من المحجبات الرافضات من الناحية الشرعية لمبدأ العامل، لا تمثل الاتجاه العام ترى بوجود مكوث المرأة في البيت.

إن الحرمان من فرص العمل للمحجبات وغير المحجبات من المهاجرات يعد شكل من الاقصاء والتهميش الذي يهدد أوضاع وحقوق المواطنة. وفي مقابل الملاحظات الإيجابية السابقة عرفت الأطر القانونية للمواطنة الفرنسية انتكاسة شديدة في السنوات الأخيرة نتيجة اعتماد مجموعة من القوانين التي أُعتبرت "قوانين ضد المواطنة في دولة المواطنة"، أبرزها: قانون منع الرموز الدينية في المدارس العامة في فرنسا الصادر بتاريخ 04 مارس 2004 الذي يحظر ارتداء الحجاب في المدارس، وكذا قانون منع ارتداء النقاب في الأماكن العامة، وأماكن العمل ومكاتب البريد والجامعات والمستشفيات والمباني المملوكة للدولة

¹ Michel Tribalat, *Faire France: Une grande enquête sur les immigrés et leur enfants* (Paris: La Découverte, 1995), p. 160

² En (Observatoire de la discrimination France, la discrimination se fait surtout sur le CV,» *Alternatives Internationales*, no. 30 (mars 2006), <http://www.alternatives-internationales.fr/en-france--la-discrimination-se-fait-surtout-sur-le-cv_fr_art_289_28498.html>.

بالإضافة لوسائل النقل العامة.1

الجدول رقم 22: يمثل اشكال العنصرية والتمييز

النسبة %	التكرار	اشكال التمييز
55	100	تسمع كلمات التمييز والعنصرية
25	45	لا شيء يذكر
19.44	35	الوصف بالرجعية والتخلف
100	180	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول المبين أعلاه أن أفراد عينة المجيبات يمثل بأعلى نسبة قدرت بـ 55% يسمعون كلمات التمييز والعنصرية تليها نسبة 25% لا شيء يذكر ثم تليها نسبة 25% يتهمن بالرجعية والتخلف.

يختلف تعامل البلدان الأوروبية المستقبلية للمهاجرين بشكل واضح مع الثقافة الأصلية للمتحدثين من أصول عربية. ويخضع ذلك قبل أي شيء لنموذج الاندماج المعمول به في كل بلد. فرنسا تعتمد ما يسمى بسياسة الانصهار والتي ترمي إلى تدوير ثقافة المتحدثين من أصول أجنبية في الثقافة الفرنسية من هذا المنطلق يرفض النموذج الفرنسي تعدد الثقافات في المجتمع، ويعتبرها خطراً على فرنسا وهويتها. وهو يركز على الوحدة السياسية والترايبية والثقافية لا على الوحدة الدينية أو العرقية. لذا فهو لا يقبل ما يسمى بالأقليات، لأنها بحسبه تعرقل المواطنة التي تعتبر الغاية الأساسية لتحقيق التلاحم الاجتماعي؛ بمعنى أن المجتمع الفرنسي مكون من مواطنين وليس من أقليات أو من جاليات عرقية أو دينية أو ثقافية.

تقول مريم 32 سنة طبيبة من أصول جزائرية¹ في حوار ونقاش طويل معها " تصاعدت

¹ علّقت منظمة العفو الدولية على هذا القانون بالقول أنه: «يخلق بواعث قلق بأن الحظر يمكن أن يشكل انتهاكا لحرية التعبير والعقيدة بالنسبة للنساء اللاتي يخترن ارتداء البرقع أو النقاب للتعبير عن هويتهم أو معتقداتهم». أنظر: تقرير منظمة العفو الدولية للعام 2011، ص 243.

ظاهرة كراهية الإسلام في السنوات الأخيرة إلى حد ينظر فيه للمسلمين بوصفهم معارضين لما يسمى بالقيم الغربية،... الخ وكثيرا ما يصورون كأعداء وكخطر يتهدد القيم الوطنية والتماسك الاجتماعي... الخ حيث يطلب من المسلمين بصورة ضمنية أو صريحة التخلي عن تراثهم الثقافي أو الديني، بل وحتى عن هويتهم المميزة. ... بالإضافة للمناخ العام من مواقف الريبة الممنهجة والواسعة الانتشار ضد المسلمين تفضي إلى جميع أنواع التعصب التي تتراوح بين أفعال فردية كالإساءات اللفظية العدوانية والتعبيرات التمييزية، وبين العنف المادي والتمييز المقنن....^{*}

الدستور الفرنسي ظل لفترة طويلة يُعتبر مرجعا أساسيا للدولة الحديثة التي ترغب في بناء دستور ديمقراطي يحترم قيم المواطنة ويؤسس لها، فهذا الدستور العريق يتخذ كشعار له قيم: الحرية والمساواة والإخاء، ومبني على مجموعة مبادئ: الجمهورية العلمانية والديمقراطية، والتكافل الاجتماعي، والمساواة أمام القانون والتنظيم اللامركزي (الذي يدعم المواطنة المحلية)، واحترام المعتقدات دون أي تمييز وفي مجال التعليم يلمس بعض التمييز في حق أبناء المهاجرين والفرنسيين من أصول أجنبية، وخاصة في مسألة التوجيه نحو مدرسة معينة أو فوج دراسي محدد.

عبر المهاجرون في فرنسا عن إحساسهم بتعرضهم للتمييز والمعالجة غير العادلة عند توجيههم في مسارات التعليم، حيث يعتبر قانون منع ارتداء الحجاب في المدارس الفرنسية من التراجعات، وصور التمييز الجديدة التي أخذت في الانتشار في مجال التعليم في فرنسا. وتجاوزت إدارة بعض المدارس حتى منع الأمهات المحجبات من الدخول إلى المدرسة لمرافقة إنباءهم وحتى مرافقتهم في الخرجات التي تنظمها المدرسة، فالقانون كان مجحف وتقرر بشكل سياسي إبيديولوجي فمن المستحيل أن يززع الحجاب كيان الجمهورية الفرنسية التي عمر دستوره الأخير أكثر من 50 سنة، ولم يتغير نظامها

¹ مقابلة مع بنات جزائريات مغتربات.
* حوار في مقابلة مع طبيبة في القطاع العام.

العلماني المتجذر فيها من أكثر من قرن من الزمان (1905).

الجدول رقم 23: يمثل مظاهر الكراهية والعداء

النسبة %	التكرار	مظاهر الكراهية والعداء
44,4	80	معاملة بحقد واستهزاء
40,6	73	لا شيء يذكر
15,0	27	نظرة احتقار
100	180	المجموع

تؤكد المبحوثات من المحجبات وبأعلى نسبة قدرت بـ 44.4% أنهن تشعرن بمعاملات حاقدة يصاحبها استهزاء تليها الفئة الثانية بنسبة 40.6% لا يشعرن بأي شيء من الكراهية، وتليها الفئة الثالثة بنسبة 15% تري بان البعض يعاملها باحتقار وسخرية.

هكذا يصبح الحجاب وعاء لكل ما لا يرغب في المهاجرين، إنَّ وجود الحجاب في الشارع الفرنسي يشكل نقطة بداية إعادة تفعيل خطاب يخيف من الإسلام تنتج حركات اليمين المتطرف وتتولى وسائل الإعلام الترويج له وتقديمه وفق نموذج نمطي تتكثف فيه وحدات ذهنية ضارية في القدم، تشكلت مع الخطاب الكنسي حول الإسلام في القرون الوسطى.

كما أن ذلك يعيد إلي الأذهان فكرة "صدام الحضارات" التي طرحها صمويل هنتنغتون عام 1993. وتتبا فيها بتقسيم العالم على أساس ما تدين به الأمم من ثقافات وحضارات وديانات. والأخطر من ذلك أن الصدام المستقبلي الأكبر سيكون بين الإسلام والأمم التي تدين بالحضارة الغربية، وهذا الفكر كفيل بممارسة كل مظاهر العداء والكراهية ويفسد إدارة التنوع الثقافي ويساهم في الإقصاء والتهميش للأجانب، وهو مؤشر يهدد المواطنة والأقليات

المسلمة والمحجبات على وجه الخصوص، وليس في فرنسا فحسب بل في كل أنحاء أوروبا والغرب بصفة عامة.

فعلى صعيد الخطاب والمعاملات العامة، لا يستخدم الفرنسيون عموماً عبارات تمييزية تجاه الآخر، ويكتفون بالقول "إنه فرنسي"، بغض النظر عن أصوله العرقية واللغوية والجغرافية... الخ وهذا لا ينفي طبعاً وجود بعض التجاوزات اللفظية من بعض المراهقين والمتطرفين، وحتى من بعض المسؤولين، وهي السلوكيات التي تحاربها السلطات الفرنسية بشكل مستمر.

وفي المعاملات العامة ظل المجتمع الفرنسي يميل إلى الاندماج والتعامل الإيجابي مع الآخر والتعايش معه متجنباً الإساءة عن طريق التمييز، ومع هذا يمكن تسجيل بعض التراجعات وتجاوزات في مجالات المعاملات العامة المتساوية في الشارع الفرنسي خاصة من طرف السلطات والشرطة الفرنسية تجاه العرب والمسلمين والسود.

كما تقول كاثرين بولوك في مقدمة الطبعة الثانية من كتابها (نظرة الغرب إلي الحجاب) أنه ليس هناك فرق بين النظرة «النخبوية» لأولئك المثقفين الذين من المفترض أن يكون لديهم وعي أكبر ونظرة غير المثقفين ممن هم أقل وعياً وإطلاعاً، إذ يمكن القول إن النظرة الجماهيرية غير الواعية التي تعادي الحجاب يعود سبب رواجها إلى أفكار ينشرها مفكرون من خلال كتاباتهم الصحافية.

الجدول رقم 24: يمثل الحرمان من امتيازات العمل

النسبة %	التكرار	الجواب
43,3	78	صعوبة الحصول على عمل
40,6	73	لا شيء يذكر
16,1	29	الحرمان من الترقيات المهنية
100	180	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول المبين أعلاه، أن أفراد عينة المجيبات على الاستبيان يمثل بأعلى نسبة قدرت بـ 43.3% تقول بصعوبات الحصول على منصب عمل بالنسبة للمحجبات تليها نسبة 40.6% لا شيء يذكر، وفي الرتبة الثالثة نسبة 16.1% الحرمان من الترقيات.

فرص وحظوظ المحجبات في العمل قليلة جدا مقارنة بغير المحجبات من المهاجرات والمرأة المهاجرة والمغتربة لا توجد بمفردها عادة، إلا في النادر من الأحوال والظروف "إما مهاجرة مع زوجها أو أبها أو أخها أو أبنها وهي تعيش نفس ظروف الاغتراب وتعرض لنفس الضغوط التي يتعرض لها الرجل، بل وتزيد لأنها بالإضافة إلى ذلك تتحمل مسئولية الأسرة كاملة"1 وخاصة ما يتعلق بالتربية والحفاظ على الموروث الثقافي للموطن الأصلي ونقله من عبر الأجيال (قيم وعادات وتقاليده....).

" العيش في أوروبا الغربية ليس بالأمر السهل بالنسبة للمحجبات اليوم هناك صعوبة كبيرة في فرصة حصول المرأة المحجبة على وظيفة حكومية في القطاع العام في فرنسا، بل إن

¹ مجدي أحمد محمد عبدالله، الاغتراب والهجرة غير الشرعية، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2013، ص

طالبات المدارس اللاتي يرتدين الحجاب يفقدن حقهن في الالتحاق بالمدارس الحكومية، أما المرأة المنقبة فلا يسمح لها بالظهور في الأماكن العامة والتجول بها، لذا فعليها الالتزام بمنزلها.¹ ليس معنى أن تملك الجنسية أن تتمتع بكل حقوق المواطنة ففرص العمل صعبة والامتيازات محتكرة، كل هذا يقودنا إلى القول إن المواطنة هي إحساس قبل أي شيء آخر فقد لا يحس بها الشخص رغم أنه يحمل جنسية البلد الذي ولد فيه، وقد يحس بها رغم أنه لا يحمل تلك الجنسية، وحتى يحس بالمواطنة يجب أن يشعر بأن هناك مساواة بين الجميع في فرص العمل وفي المجتمع، وفي معاملة الإدارة وغيرها من المؤسسات العمومية والخاصة، بل وفي نظرات الناس في الشارع العام. كل هذه المعاملات من شأنها أن تتسبب في الإساءة لواقع المواطن والمواطنة.

نموذج المواطنة الفرنسي من بين النماذج التي تعرف توازنا، ولو نسبيا في معادلة الحقوق والواجبات المترتبة على مختلف أطراف علاقة المواطنة. فمن جهتها تمنح الدولة الفرنسية حقوقا معتبرة جدا لمواطنيها خاصة في مجالات التأمين والرعاية الاجتماعية، كما تضمن أجرا قاعديا يكفل بدوره حياة كريمة، وخدمة عامة عصرية ولاتفة، وشرطة في خدمة أمن المواطن والأمن العام، كما توفر إطارا مؤسسيا عاما ومجتمعاً مدنيا قويا، يحرص على مصالح المواطن، وقضاء مستقل وعادل وصاحب قرارات نافذة وحاسمة، ونظام سياسي ديمقراطي يضمن للجميع حرية التعبير والمشاركة السياسية... وفي المقابل، يدرك المواطنون الفرنسيون أو شريحة غالبية منهم، ويعترفون بأداء مؤسسات دولتهم لواجباتها التي هي حقوق لهم، ويبادلونها "الفعل المواطني" بأداء واجباتهم التي هي حق للدولة ويبدون استعدادهم للالتفاف حول مشاريعها الإصلاحية وتقاسم الأعباء معها،² وينطبق الأمر هنا حتى على المواطنين الفرنسيين من أصول أجنبية.

¹ سحر عامر، الحجاب: الأصول- التنوعات- التداعيات، تر: فاطمة نصر، ط1، مكتبة سطور الجديدة، مصر، 2014، ص 124.

² أنظر: جاك شيراك، مرجع سابق، ص 83.

مواطنة المرأة تخرج حتى أعرق الديمقراطيات بما فيها فرنسا، حيث تأخرت هذه الأخيرة في الاعتراف بمكانة المرأة ومساواتها بالرجل*، ولكن عقب هذا الاعتراف تقدمت مكانة المرأة الفرنسية كثيرا، وأصبحت محسودة على "تحررها" والمناصب التي تشغلها في مختلف المجالات، ومقارعتها للرجل في التكاليف والأعباء والترشح... الخ وهذا بفضل سياسات الحماية والتمكين المنتهجة في هذا المجال، وبفضل إيمان السلطات الفرنسية بأن قضية المرأة "قضية عدل وليست مجرد قضية اجتماعية واقتصادية"¹.

ولكن المرأة الفرنسية تبقى تواجه "سقفا زجاجيا" يحول دون ارتقائها في المناصب السياسية خاصة ومساواتها التامة بالرجل،² وذلك بفعل الذهنية والثقافة الذكورية والعنف المجتمعي الممارس ضدها،³ وهو ما ينعكس على مكانتها المتفاوتة في مختلف المجالات والقطاعات مقارنة بالرجل. وعليه يرى كثيرون من بينهم الرئيس الفرنسي الأسبق "جاك شيراك" أن استكمال مواطنة المرأة لا ينبغي أن يتم البحث عنه وتكريسه في القوانين وعبر السياسات فقط، وإنما عبر تغيير الذهنيات أيضا.⁴

تركز عمل المرأة الفرنسية في قطاعات محددة ضعيفة الأجر، هي في الأصل قطاعات نسوية مثل: الوظيفة العامة، الشركات، التجارة، التعليم والصحة... وعدم التوسع إلى بقية القطاعات التي تكاد تبقى حكرا على الرجال لذلك يتحفظ بعض الفرنسيين والغرب على بعض ظروف المرأة الفرنسية، ويعتبرون تلك الظروف شكلا من التمييز، وانتقاصا من مواظنتها:⁵

* اعتباره عسكرياً، لم يكن يحق للجنرال شارل ديغول أن يدلي بصوته في الانتخابات التي جرت في فرنسا، عام 1945. لكن زوجته السيدة إيفون ديغول ارتدت معطفها الأسود وقبعتها السوداء وذهبت لتضع ورقتها في صندوق الاقتراع، أمام كاميرات الصحافة، مدسنة حق المرأة الفرنسية في التصويت. إن

¹ Olivia Dabbous, (ed), *Promouvoir L'égalité Entre Hommes Et Femmes :Initiatives Et Engagements Français En Matière De Genre Et Développement*, (France: Ministère des Affaires étrangères, 2006), p 03

² حسام شاكر، مرجع سابق، ص 51.

³ - على سبيل المثال، تعرّضت رئيسة الوزراء الفرنسية في عهد "فرنسوا ميتران" السيدة "اديت كريسون" إلى هجوم لاذع من طرف مجتمعها عند تقلدها لهذا المنصب، ما تسبب في تركها لمنصبها بعد فترة وجيزة؛ كما تتعرض المرأة الفرنسية بسبب الجنس للتمييز والإقصاء في مجالات مختلفة، وفي الوظائف والأجر

⁴ جاك شيراك، مرجع سابق، ص 55

⁵ - Etats Unis, Département d'État, *Op. Cit*, p 21.

وفي مجال **التوظيف والعمل**، ورغم صرامة القوانين في هذا المجال، أخذ التمييز في التزايد في السنوات الأخيرة، حيث 8% من المهاجرين في فرنسا يعتقدون أنه تم رفض توظيفهم لأسباب تتعلق بأصولهم الأجنبية، وفي كل حالتين من ثلاثة يأتي هذا الرفض عقب مقابلات التوظيف المباشرة مع المستخدمين،¹

كما يزداد الشعور بالتمييز وسوء المعاملة من طرف المستخدمين والرؤساء والزملاء في العمل عند المهاجرين من أصول أفريقية وبدرجة أقل لدى أصيلي الدول المغاربية ولا يكاد يذكر بالنسبة للمهاجرين من أوروبا وبعض الدول الآسيوية²، وتتعرض المساواة في مجال العمل لعدة تحديات أبرزها: تداعيات الأزمات الاقتصادية على سوق العمل، ومقتضيات المواطنة الأوروبية³، والمواقف والتوجهات تجاه عمل المرأة ومردوديتها... وجدير بالذكر أنه حسب الهيئة العليا لمحاربة التمييز وتحقيق المساواة في فرنسا، فإن التمييز في مجال العمل هو أكثر في القطاع الخاص منه في القطاع العام، حيث أن ثلثي الشكاوى التي تلقتها في العام 2010 تتعلق بالتمييز في القطاع الخاص.⁴ ويرجع هذا إلى كون مؤسسات الدولة العامة أكثر التزاما بمبادئ المساواة وعدم التمييز من مؤسسات القطاع الخاص.

¹ Olivier Monso et François Gleizes, « Langue, diplômes : des enjeux pour l'accès des immigrés au marché du travail », **INSEE PREMIÈRE**, N° 1262, Novembre 2009, p 04

² - Ibidem

³ تطبيقا لمقتضيات المواطنة الأوروبية، أصبح الرعايا الأوروبيين في فرنسا يتمتعون بفرص عمل أفضل من غيرهم أنظر: أشرف أبو الهول، «المهاجرون يتعرضون للتمييز في بلد المساواة»، الأهرام اليومي، 18 يوليو 2010. (النسخة الإلكترونية)، متاحة على الرابط التالي:

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=192023&eid=86>

⁴ - République Française, Haute Autorité de Lutte contre les Discriminations et pour l'égalité, **rapport annuel 2010**, (France: La Documentation française, 2010), p 38.

الجدول رقم 25: يمثل المضايقات التي تعرضن لهن

النسبة %	التكرار	المضايقات
55	99	اعتداءات لفظية في الشارع
40,6	73	لا شيء يذكر
4,4	8	اعتداءات جسدية
100	180	المجموع

تؤكد المبحوثات من المحجبات وبأعلى نسبة قدرت بـ 55% أنهن تعرضن لمعاكسات لفظية في الشارع، تليها الفئة الثانية بنسبة 40.6% لا شيء يذكر وتليها الفئة الثالثة بنسبة 4.4% تعرضن للاعتداءات جسدية في الشارع. بعض الفتيات عشن تجارب وصفنها بأنها مؤلمة ومهينة، وكلهن تحدثنا عن نظرات يومية تقطر بالعدوانية والاتهام. بعضهن سمعن كلمات يمكن تلخيصها في جمليتي "عودي إلى بلدك" وبأنهن "بنات بن لادن"، وقيل لهن "عودوا إلى طهران، عودوا إلى أفغانستان والبعض الآخر منهن تعرضن لاعتداءات جسدية وصلت إلى حد الضرب.....الخ" ¹ قد تحميك القوانين المدنية من العنصرية وبعض المضايقات في الحياة الدراسية والمهنية إلا أنك لا تسلم منها في الشارع فالشباب التيارات المناهضة للمهاجرين تلاحق المحجبات في مختلف الفضاءات، ليس فقط بالاعتداءات اللفظية المهين والمذل بل أحيانا يتعداه إلى الضرب والتعري أمامهن (حسبما ترويه إحدى المحجبات). وهو أقصى أنواع الإهانة والاحتقار يتنافى حتى مع كرامة الإنسان. إذن المواطنة ليست علاقة عمودية بين المواطن والدولة فقط، وإنما أيضا علاقة أفقية بين مواطنين الدولة الواحدة²

¹ مصدرها: مقابلات مع بعض المحجبات.

² برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المكتب الإقليمي للدول العربية، تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2009: تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، 2009، ص 59.

تكريس المواطنة وتفعيلها يتطلب إيمان المجتمع ومؤسساته بجملة من القيم أبرزها: المساواة والحرية الاجتماعية".

8-4- بناء وتحليل جداول الفرضية الرابعة:

• ممارسة المحجبات للحريات المدنية عامل ايجابي يؤكد حقوق المواطنة

الجدول رقم 26: يمثل امتلاك روح المبادرة للعمل الجماعي التطوعي.

النسبة %	التكرار	الجواب
64,4	116	أبدا
30,0	54	أحيانا
5,6	10	دائما
100	180	المجموع

لا تمتلك المحجبات من أفراد العينة لروح المبادرة في إطار العمل الجماعي أبدا بنسبة 64.4%، تليها نسبة 30% يمتلكن روح العمل الجماعي في بعض الأحيان، تليها نسبة 5.6% تملك روح المبادرة في العمل الجماعي بصفة دائمة.

تفتقد المحجبات لروح المبادرة في النشاطات الجموعية رغم الكم العددي الكبير للجمعيات والتنظيمات السياسية والاجتماعي للأجانب والمهاجرين، ومع عدم دخولهم المجالات السياسية بتنظيم أحزاب وجمعيات مجتمع مدني مفتوحة أو المشاركة فيها سيبقي هؤلاء في حالة انعدام وزن دائم.

تؤكد بعض المبحوثات¹ بأن جمعيات المجتمع المدني المكونة من الأجانب والمهاجرين من أصول أجنبية لا تأخذ بعين الاعتبار إلا المصلحة الضيقة للفئات المكونة لها، وكثيرا ما تتنافس وتتصارع فيما بينها لتعصب منتسبيها لأصولهم في بلدانهم الأصلية ولمفاهيم دينية

¹ من خلال المقابلات

وسياسية ضيقة...، مثل تلك الجمعيات لا تأخذ أبعاداً وطنية تهتم الوطن الذي يقيمون فيه. وإنما يحدث العكس أحياناً، حيث يجري التتكر للمصالح الوطنية وأحياناً معادتها. لم يحاول الأجانب والمهاجرون وغالبية حملة الجنسية الفرنسية من أصول أجنبية عربية ومسلمة بشكل خاص، وضع لبنة واحدة تحسب لهم في البناء الديمقراطي الذي يحميهم ويحمي حقوقهم، وتقديم إضافة إيجابية بناءة من خصوصياتهم إلى خصوصيات الآخرين. وإنما على عكس ذلك يكفر بعضهم بالديمقراطية نفسها كمفهوم غير ملائم لما يحملونه من أفكار يعتبرونها مغايرة لمفاهيمهم وأصول دينهم. ولا أحد يحاسبهم على هذه الكراهية ما لم تتجسد في أفعال مُجرّمة ومعاقب عليها بالقانون.

الجدول رقم 27: يمثل النشاط الجمعي

النسبة %	التكرار	الجواب
68,3	123	لا
31,7	57	نعم
100	180	المجموع

تؤكد المبحوثات من أفراد العينة بأغلبية بلغت نسبتها 68.3% عدم نشاطها في أي مجال جمعي معين في حين بلغت نسبة النشاطات في المجال الجمعي 31.7%. هناك أعراض عن النشاط الجمعي في مختلف التنظيمات الإسلامية، وذلك للصراعات التي تعيشها في داخلها وفيما بينها فلم تستطع الجمعيات الدينية الإسلامية حتى الآن أن تحقق انسجاماً في ما بينها يمكن أن يسهم في الحد من أزمة الهوية والمواطنة التي يعيشها المتحدّرون من أصول عربية وإسلامية. أما أسباب الاختلاف فتكمن في طبيعة هذه المؤسسات وعلاقتها ببعضها، ثم علاقتها بحكومات البلدان التي توجد بها وحكومات بلدانه الأصلية. ويعمّق الهوية بين هذه المؤسسات الاختلافات الكبيرة بين الإسلام السلفي والإسلام

الإخواني والإسلام الصوفي وكل مؤسسة تدعو إلى إسلام يمثل ثقافتها، وهو كذلك بعيد من إسلام أوروبا الذي يمثله المتحدرون من أصول مهاجرة.

من الأسباب الأخرى التي تحول دون أداء هذه المؤسسات دوراً إيجابياً لمصلحة المتحدرين من أصول عربية إسلامية، هناك غلبة الإسلام السياسي عليها، وبقاؤها حبيسة توجهات أيديولوجية محددة ورفضها فصل الدين عن الدولة، وكل ذلك يدفعها لتأسيس معتقد العرب الأوروبيين، وتكريس الهوية الدينية لديهم على حساب الهوية الوطنية. من هنا يأتي رفض تعليم ومواطنة قائمين على أسس علمانية. ويؤدي تصورهما هذا إلى جعل المواطنين المتحدرين من أصول عربية إسلامية الذين اقتنعوا بخطابها بعيدين كل البعد من مجتمعاتهم الأوروبية.

خطاب بعض هذه المؤسسات مزدوج: الأول موجّه للمجتمعات والهيئات الرسمية الأوروبية وهذا منسجم بشكل كامل مع العلمانية، وآخر موجّه إلى الجالية العربية الإسلامية، وهذا يتعارض في كثير من الأحيان مع العلمانية. هذا الخطاب يؤدي إلى نتائج سلبية عندما يكون المتلقي هو المتحدر من أصل عربي، أي الذي تربى في أوروبا وتشبّع بقيم المواطنة الموجودة بها؛ إنه خطاب يكرّس لديه أزمة في الهوية وفي التربية وفي المواطنة. هذه التعقيدات تجعل المؤسسات الدينية الإسلامية لا تحظى بمصداقية سواء من طرف العرب الأوروبيين أو من طرف الحكومات الأوروبية التي تشترط لتوقيع أية اتفاقية تعاوناً مع المسلمين الذين يوجدون بها وتقديم الدعم لهم أن يكون لهم ممثل واحد يصبح مخاطبها الرسمي، وهو أمر متعذر للأسباب التي أسلفناها.

وقد أقدمت بعض الحكومات الأوروبية على إنشاء هيئات إسلامية تابعة لها من بين مهامها مراقبة التعليم الديني الإسلامي والثقافة العربية في المؤسسات العمومية وإصدار فتاوى دينية منبثقة من واقع المجتمعات الأوروبية، إن على الجمعيات الدينية الإسلامية، وحتى تسهم في بلورة مواطنة فاعلة لدى العرب الأوروبيين أن تتجاوز الخلافات الطائفية والأيديولوجية والعقائدية التي توجد بينها كما عليها أن تعي بالتحول الطارئ نتيجة تعاقب

الأجيال داخل الجاليات العربية في أوروبا بحيث لم يعد الأمر يتعلق بالإسلام في أوروبا كما كان الحال مع المهاجرين وإنما بإسلام أوروبا.

ومن نتائج اتفاق هذه الجمعيات الإسلامية والسلطات الفرنسية مؤخراً كحل وسط يرضى كل الأطراف هو سماح الحكومة بترخيص إقامة مدارس إسلامية خاصة حيث تم تأسيس مدارس إسلامية خاصة مؤخراً في عام 2012. "والحقيقة أن هذه المدارس تكرر مفهوم الطائفية والتمييز، وعزل المحجبات هو رفض لهويتهن الثقافية. ونصبح أما مدارس انتقائية لا مدارس تربي على روح وقيم المواطنة وتعترف بالتنوع الثقافي وتحترم الخصوصيات. مع العلم أن المدارس الكاثوليكية واليهودية موجودة منذ قرون يزيد من تكريس الأصولية وتكريس الطائفية والراديكالية، وهذا عجز من الوطن عن احتواء مواطنيه في مدرس واحدة. والغريب ان القانون الفرنسي نفسه يمنع الأساتذة من في المؤسسات التربوي من أظهار عقائدهم الدينية علناً للتلاميذ، لأنهم لا يدرسون دين بعينه أو طائفة معينة، وإنما يدرسون أطفال مواطنين ينتمون إلي الجمهورية الفرنسية العلمانية، فالمدرسة فضاء تحترم فيه كل الحريات، لذلك يتحدث المحجبات على أن قانون المنع هو خرق لمبادئ العلمانية

إن الإسلام ينمو ويتطور بفعل نساء ورجال يناضلون ويشاركون بطريقة ملموسة جداً في تنظيم الحياة الروحية لمسلمي فرنسا وأوروبا، والجمعيات المسلمة يتزايد عددها أكثر فأكثر وتظهر في الفضاء العام يوماً بعد يوم. لقد أصبح الإسلام اليوم حقيقة فرونكو فرنسية، حتى قالت بعض المتطرفات ممن إجرينا معهن المقابلات: "نحن اليوم في الجمهورية الإسلامية الفرنسية".

الجدول رقم 28: يمثل المشاركة في التصويت في مختلف المجالس الانتخابية

التصويت (الاقتراع)						المجالس الانتخابية
المجموع		لا		نعم		
%	ك	%	ك	%	ك	
100	146	10.96	16	89.04	130	المجلس البلدي فقط
100	146	21.02	32	78.08	114	المجالس الولائية
100	146	26.02	38	73.97	108	المجالس البرلمانية
100	146	89.72	131	10.27	15	ولا مجلس

يوضح الجدول المبين أعلاه، أن أفراد العينة يمثل بأعلى نسبة قدرت بـ 89.04% يشاركون في التصويت في المجالس البلدية ممن يمتلك الجنسية الفرنسية (المعنيات بحق الانتخاب) ويشاركون بنسبة 78.08% في التصويت في المجالس الانتخابية الولائية وتشارك نسبة 73.97% في الانتخابات النيابية البرلمانية. بينما لا تقاطع الانتخابات والمشاركة فيها إلا نسبة بسيطة تقدر بـ 10.27%.

يمتلك المهاجرون المتمتعين بالجنسية الفرنسية قانونيا الحقوق المدنية كاملة كالحق في التصويت والترشح في كل المجالس الانتخابية، ولمواطني الاتحاد الأوروبي الحق في التصويت والاستحقاق به في الانتخابات البلدية" بموجب (توجيه مجلس الاتحاد الأوروبي رقم: 80/94/ بتاريخ 19 ديسمبر 1994). واضع حقوق التصويت في الانتخابات البلدية من قبل المواطنين في الاتحاد المقيمين في إحدى الدول الأعضاء الذين ليسوا من رعاياها نقلت إلى قانون وطني من قبل القانون الأساسي رقم: 98-404 بتاريخ 25 ماي 1998 الذي

يحدد شروط تطبيق المادة 88-3 من الدستور على ممارسة مواطني الاتحاد الذين يقيمون في فرنسا غير المواطنين الفرنسيين الحق في التصويت والاستحقاق به في الانتخابات البلدية)، رعايا الدول الأعضاء في المجتمع الفرنسي يتمتعون بنفس الحقوق المدنية والسياسية في كل من دول الاتحاد الأوروبي.

ومنذ عام 1981 أصبح يوجد مناظرة بين اليسار واليمين حول الحق في التصويت والاستحقاق به للأجانب المقيمين (غير الأوروبيين) في الانتخابات البلدية، وكانت هذه النقطة جزء من 110 مقترح لمرشح الاشتراكية فرنسوا ميتيران،. عكس نيكولا ساركوزي، الذي وضعها من أولوياته الشخصية في الاتحاد من أجل حركة شعبية. وبعد انتصار فرانسوا أولاند في الانتخابات الرئاسية الفرنسية 2012، تم إحياء هذا الاقتراح واعتماده في عام 2013، على الرغم من أن غالبية اليسار (3/5) من البرلمان لا يوافقون هذا الاقتراح. وهو مشروع قانون يجيز لحوالي مليون ونصف المليون من الأجانب غير الأوروبيين المقيمين في فرنسا الادلاء بأصواتهم في الانتخابات المحلية. وقد صوّت إلى جانب المشروع نواب الغالبية البرلمانية اليسارية الاشتراكيون والشيوعيون وأنصار البيئة وحركة المواطنين، وصوّت ضده نواب الأقلية اليمينية.

وبموجب مشروع القانون هذا، يحق للأجانب غير الأوروبيين المقيمين في فرنسا منذ أكثر من خمس سنوات الاقتراع في الانتخابات المحلية، كما يحق لهم أيضاً الترشيح إلى مناصب أعضاء في المجالس البلدية، ولكن لا يحق لهم الترشيح إلى رئاسة البلديات ولا إلى مناصب المساعدين الأولين لرؤساء البلديات، وفي المقابل يمكن القول إن تراجع المشاركة والحس والفعل المواطني في مجتمع ما يجعل "ديمقراطيته في خطر"، وهو ما بدأ يحصل في الحالة الفرنسية، "1. تعتبر الديمقراطية سبيلا لحل أزمة المواطنة وبناء الدولة في المجتمعات المتعددة والمتنوعة ثقافيا "1.

¹ Russell J. Dalton, «Citizenship Norms and the Expansion of Political Participation», Political Studies, (Political Studies Association), VOL 56, 2008, p 76.

في المجال السياسي باتت فرنسا تعاني أزمة على مستوى الديمقراطية التمثيلية، حيث يعاني السود والمسلمون والمرأة وبعض الطوائف من التمييز في هذا المجال وهم غير ممثلين بالشكل اللائق رغم عراقية الديمقراطية الفرنسية، كما تعتبر فرص هؤلاء في المشاركة والوصول إلى المناصب السياسية العليا ممكنة ولكنها محدودة للغاية؛ فالبرلمان الفرنسي المنقضية عهدته (2008-2012) لم يكن يضم سوى إفريقيا أسودا واحدا،² و182 امرأة في غرفتي البرلمان المكون من 920 عضوا،³ كما تشير بعض التقارير إلى ضعف انخراط المهاجرين والفرنسيين من أصول مهاجرة في المؤسسات السياسية والمدنية.

وقد وصل التمييز والعنصرية حتى إلى أكثر المجالات تسامحا إلى الرياضة أين أصبح الأفرقة والعرب والمسلمون يشكون من هذه الظاهرة التي باتت تداعياتها واضحة على الرياضيين في فرنسا، وأبرز أمثلتها أزمة فريق كرة القدم الفرنسي وتصريحات مختلفة للاعبين ومسؤولين رياضيين فرنسيين.* وحتى مع وجود حالات التمييز واللامساواة السابقة، وهي أمور نجدها في أغلب المجتمعات اليوم وبشكل قد يكون أكثر حدة، إلا أنه يُحسب لصالح فرنسا الوعي بهذا الأمر والاستعداد في كل مرة لمناقشته بشكل صريح وفي مختلف المنابر، وهي النقاشات التي تنتهي عادة بأطر قانونية ومؤسسية للتعامل معه، مثلما حدث بإنشاء "الهيئة العليا لمحاربة التمييز وتحقيق المساواة" (HALDE) سنة 2004، وغيرها من المؤسسات الحكومية، وغير الحكومية، التي تساهم في معالجة قضايا التمييز واللامساواة.

عبد الكريم قاسم سعيد، المواطنة ومشكلة الدولة في الفكر الإسلامي، سلسلة دراسات حقوق الإنسان عدد 13، (اليمين: ملتقى المرأة¹ للدراسات والتدريب، 2008)، ص 05.

² - Etats Unis, Département d'État, **Rapport sur les Droits de l'Homme en France en 2010**, Op. Cit, p

16

³ - Ibid, p 15

الجدول رقم 29: المشاركة في الاحتجاجات السلمية

النسبة %	التكرار	الجواب
66,1	119	نعم
33,9	61	لا
100,0	180	المجموع

يتبين من خلال الجدول أن نسبة 66.1%، والتي تمثل الاتجاه العام للعينة يقلن بأنهن شاركن في احتجاجات سلمية بخصوص حقوق المواطنة، تليها 33.9% يقلن بأنهن لم سبق لهن أن شاركن في احتجاجات سلمية.

ففي مظاهرة 21 ديسمبر 2003 التي نظمت في مدينة "ستراسبورغ" بالشرق الفرنسي خرج المتظاهرين والمتظاهرات باللافتات مكتوب عليها "نحن لا نخضع إلا لقانون الله الواحد القهار" فلا أخ ولا أب ولا زوج يمارس علينا ضغطا" فالحجاب كان اختيارنا، بل هاجم المتظاهرون والمتظاهرات "الأصولية العلمانية التي أعتبرتها خطرا على الجمهورية.

Linte Grisme Laïque est un Danger pour la république

ولافتة أخرى تقول "شيراك +ساركوزي" الحجاب نحن اخترناه" كما عرضت لافتة بخط عريض كتب عليها: "أيتها العلمانية كم من جرائم ترتكب باسمك"، وبجانبتها لافتة أخرى "لا تمس

حجابي " Touche pas mon voile

ليس الحجاب في حد ذاته هو الذي يخيف غالبية من الفرنسيين اليوم، بقدر ما أن مصدر الخوف هو الرمز الذي يثيره في المخيلة الوطنية، فعلى الصعيد التاريخي يمثل الحجاب عند الغرب علامة للجمود والظلامية الدينية، والحجاب الإسلامي عد علامة على دونية المرأة وسطوة الرجال على النساء (الأب والإخوة والأعمام)، وهذا الخيال التاريخي المجانب للحقيقة

يمتد بجذوره مباشرة في التجربة الاستعمارية، وقد عد الإسلام لمدة طويلة من لدن الإيديولوجيات الجمهورية بمثابة دين متخلف رجعي، حيث إن استسلام المرأة كان التعبير الاجتماعي الأبرز، والذين ظلوا يمسكون بإيديولوجيا جمهورية خالصة وصلبة اعتقدوا أن مهمتهم هي تحرير إزاء النساء ونزع الحجاب كان في نظرهم بمثابة واجب للتحرر الجنسي والحدثة الاجتماعية، ولم نخرج بعد من هذه الصورة الاستعمارية الجديدة للإسلام.

يثير الحجاب هاجس "الإسلام" الراديكالي والأصولية، بل "الإرهاب الإسلامي" أيضاً وفي هذا المستوى كان لهجمات 11 سبتمبر 2001 أثر جارح في التمثلات السوسيو سياسية للحجاب ومن خلال الحجاب، ينظر البعض إلى هاجس إرهاب المجموعات الإسلامية المسلحة، والفتيات الفرنسيات المرتديات للحجاب ينظر إليهن أحياناً كثيرة على أنهن تحت قبضة المنظمات والحركات المتطرفة.

فرنسا من البلدان التي تطورت فيها حرية التعبير إلى حد بعيد، حيث تمارس وسائل الإعلام العامة والخاصة والمواطنين حرية التعبير والإعلام بكل جرأة، وحرية الوصول إلى الانترنت واستخدامها، وحرية التجمع وتنظيم المسيرات. ولكن واقع الحريات بدأ يتراجع بفعل عدة عوامل أبرزها: الحرب على الإرهاب والتخوف من انتشار الإسلام... ما جعل الشعب الفرنسي الذي كان مضرباً للأمثال في مجال الحريات الشخصية يتدخل اليوم في أدق تفاصيل هذه الحرية. وهكذا تكون فرنسا المعاصرة صورة مناقضة تماماً لصورة فرنسا الديمقراطية حيث التحرر والإبداع بلغ أوجه.

8-5- بناء وتحليل جداول الفرضية الخامسة:

تزايد وتنامي ظاهرة الإسلاموفبيا في الغرب يهدد مواطنة المحجبات

الجدول رقم 30: يمثل علاقة بين قانون حظر الخمار في المدارس الحكومية وقانون منع النقاب في الأماكن العامة

المجموع		قانون منع النقاب في الأماكن العامة				قانون حظر الخمار في المدارس الحكومية
		حرية شخصية		انا لست مع النقاب		
ك	%	ك	%	ك	%	
65	117	43.75	28	76.72	89	يتضاد مع مبادئ العلمانية والحريات الشخصية
22.22	40	35.93	23	14.65	17	يتعارض وقانون الجمهورية الفرنسية
12.77	23	7.22	13	8.62	10	يتعارض مع الديمقراطية وحقوق الإنسان
100	180	35.55	64	64.44	116	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول المبين أعلاه، أن أغلبية المبحوثات و بأعلى نسبة 64.4% ضد فكرة النقاب، تدعمها نسبة 76.72% تقول بأنه يتضاد مع مبادئ العلمانية والحريات الشخصية وبالمقابل نجد أن نسبة 35.55% يعتبرن أن النقاب حرية شخصية. تدعمها نسبة 43.75% تقول بأنه يتضاد مع مبادئ العلمانية والحريات الشخصية كما تدعمها نسبة 35.93% تقول بأنه يتعارض وقانون الجمهورية الفرنسية.

تعتبر كثير من المبحوثات بأن النقاب ضمن "المعاملات المهينة" والمتنافية مع أبسط حقوق الإنسان، تقول سميرة 35 سنة موظفة من أصول تونسية: ما معنى أن تكون المرأة بلا وجه وأن تتحرك في الفضاء العام وكأنتها شبح من عالم الجن لا يعرف ولا يرى ولا يرى¹؟ وبأنه يطمس هوية المرأة ويعتبر نوعا من التطرف الديني. كما تشير بعض الاتجاهات المناهضة

¹ مقابلة شخصية

للنقاب سواء في فرنسا أو حتى في العالم الإسلامي والعربي بأنه لا يمكن اعتبار النقاب لباساً يميز ويشخص هوية المرأة بل شطباً لجسد المرأة. ومع بقاء حرية شخصية يجب أن تحترم.

دخل قانون حظر ارتداء النقاب في فرنسا حيز التنفيذ حين اعتقلت الشرطة الفرنسية امرأتين منتقبتين وعدداً آخر من المتظاهرين أمام كاتدرائية نوتردام في باريس لمشاركتهم في تظاهرة غير مرخص لها مناهضة لقانون حظر ارتداء النقاب والبرقع في الأماكن العامة في فرنسا ومن يخالف هذا القانون يضع نفسه تحت طائلة دفع غرامة مالية تصل إلى 150 يورو يدفعها*، أو الخضوع لدورة تأهيل حول المواطنة، وذلك استناداً إلى القانون الذي يمنع إخفاء الوجه، والذي دخل حيز التنفيذ اعتباراً من 11 أبريل 2011 بعد نقاش محتدم في البرلمان الفرنسي. وبهذا القانون، أصبحت فرنسا أول بلد أوروبي يفرض هذا الحظر. جدير بالإشارة أن أقل من 500 امرأة منتقبة فقط سيتأثرن بالحظر من بين 4-6 ملايين مسلم يعيشون في فرنسا، وهو أكبر عدد مسلمين في بلد أوروبي. وفي هذا الصدد قال الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي، في خطاب أمام مجلسي البرلمان في فرساي قرب باريس، إن البرقع أو النقاب الذي يغطي المرأة من رأسها إلى أخصص قداميها يشكل (علامة استعباد) للمرأة، وأن ارتدائه غير مرحب به في فرنسا. وتابع لا يمكن أن نقبل في بلادنا نساء سجينات خلف سياج ومعزولات عن أي حياة اجتماعية ومحرومات من الكرامة... وأعرب عن تأييده لقيام لجنة تحقيق حول مصير الحجاب الكامل في فرنسا التي كان طلب 60 نائباً بها في خطوة أعادت مجدداً الجدل حول العلمانية، الموضوع الحساس في فرنسا.¹

* عند إقرار قانون حظر ارتداء النقاب في الأماكن العمومية، وفرض غرامات مالية على المخالفات، تصدى رشيد نكاز لهذا القانون ومنذ بدء تطبيق قانون منع غطاء الوجه بعث نقاز بخطابات إلى كافة مراكز الشرطة في فرنسا يتطوع فيها لدفع كل الغرامات التي يحررها أفراد الدوريات ضد النساء اللاتي يخالفن القانون وينزلن إلى الشوارع بنقابهن. دفع جميع الغرامات المتوجبة على النساء لارتدائهن البرقع في فرنسا وبلجيكا، لكنه يقول أن الشرطة تتردد الآن في تغريم المنقبات لأنها تدرك أنه سيدفع الغرامة، عوضاً عن الغرامة فإنها تلجأ إلى مضايقة المنقبات بالاستجوابات

¹ خبر بعنوان "ساركوزي: النقاب غير مرحب به في فرنسا"، جريدة الشرق الأوسط، العدد 11165، الثلاثاء 01

رجب 1430 هـ 23 يونيو 2009

وهنا يثور الجدل حول اختصاص النظام السياسي الفرنسي رمزا لدين بعينه، وهو النقاب، عن بقية الرموز الدينية للديانات الأخرى، واتهامه بتهديد الهوية المدنية للدولة بالرغم من دعم النموذج العلماني الفرنسي لقيمة الاندماج التي تتطرق من ضرورة كسر التجمعات العرقية والدينية، ولكنه يعطي لها هامشا أقل من التعبير الثقافي المستقل مقارنة بالنموذج الأنجلوساكسوني، وقد أثار ذلك إشكالية الخصوصية الثقافية للأقليات العربية والمسلمة داخل المجتمعات الغربية من جانب ومحاولة النظام الفرنسي تهميط المجتمع من جانب آخر، وهو ما قد ينتج عنه تهميش للأقليات المسلمة في المجتمع الفرنسي.

كما أن ذلك يتناقض وقيمة المواطنة المترسخة في المجتمعات الليبرالية الغربية، وعلي رأسها فرنسا التي تعلي من قيمة الحرية كقيمة عليا في الفكر الليبرالي بصفة عامة. فالنساء المسلمات في فرنسا أغلبهن حاصلات علي الجنسية الفرنسية التي هي رمز المواطنة، ومن ثم يجب أن يعاملن علي النهج ذاته الذي تعامل به النساء الفرنسيات من غير المسلمات. لذلك لا ينبغي التمييز بين المواطنين والمواطنات وفقا لأية أسس مهما كانت سواء على أساس الدين أو اللون أو الجنس أو الأصل الاجتماعي، وهو ما تقتضيه الديمقراطية الليبرالية في حد ذاتها.

جدول رقم 31: يمثل مظاهر الصورة المشوهة التي يعكسها المهاجرين الاسلام

النسبة %	التكرار	مظاهر الصورة المشوهة
54.4	98	تورط مثقفين من أبناء الجاليات في تشويه الاسلام
45.6	82	انخراط بعض الشباب والشابات في تنظيمات إرهابية
100	180	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول المبين أعلاه، أن أغلبية المبحوثات و بأعلى نسبة 54.4% يقطن بتورط مثقفين من ابناء الجاليات في تشويه الإسلام، تليها نسبة 45.6% يرون بانخراط بعض الشباب والشابات في تنظيمات إرهابية.

بعض المسلمين في فرنسا يسيئون للإسلام أكثر من أعدائه، لذا ينبغي أن نقوم كمسلمين بنقد ذاتي بشأن هذه الظواهر الاجتماعية السلبية، بالإضافة إلى نظرتنا الدينية، فليس كل المسلمين هنا يقدمون صورة إيجابية عن التسامح في الدين الإسلام، التهويل من خطر الأصولية الإسلامية واعتباره التهديد الأكبر للوحدة الوطنية يقول البعض وكأننا في وضعية استعمارية جديدة، حيث تقوم نخب من بعض الأهالي بالتعاون مع السلطات الاستعمارية بإدانة "الخطر الوطني والمسلم"، ففرنسا لم تغادر بعد حالة "الأهالي"، وتحب أن تتشاهد "عربها" يشوهون سمعة العرب الآخرين، وفي هذا الصدد تقول حياة 35 سنة صحفية: يحاول بعض الصحافيين المغاربة اللاجئين إلى فرنسا الحصول على حياة مهنية متخذين من فزاعة التهديد الإسلامي رأس مالهم وأساساً تجارياً لهم، فهم يصدرن في تصرفاتهم عن انتهازية وليس عن اقتناع راسخ.

إن الإعلام الغربي بصفة عامة والأمريكي بصفة خاصة صار يربط بسخرية لافتة بين مفردات مثل (قرآن وجهاد وعرب وإسلام وأفغانستان، وفتنة في العراق) وبين صور أخرى مثل (صورة

زانية يقام عليها الحد في ملعب في كابل، أو بالمباني المهدامة في نيويورك)، وبصفة عامة فوسائل الإعلام الغربية تصور المسلم على أنه "فقيه ملتج متعصب أو إرهابي عديم الرحمة.

"وتصرح بعض تقارير مراكز البحوث عن الإسلام أنه دين غير متسامح مع الديانات والثقافات الأخرى وأن المسلمين ضد الحداثة، وبملاهم الحقد وإرادة الانتقام من الغربيين نتيجة شعورهم بأنهم أقل تحضراً وغير قادرين على التكيف والاندماج مع المجتمعات الغربية التي يعيشون فيها ويحملون جنسيتها"¹

لم يتغير هذا التفكير منذ عقود، فالمسلم حسب الصورة التي تقدمها وسائل الإعلام ليس هو المواطن وإنما هو الآخر، بغض النظر عن الجيل الذي ينتمي إليه والجنسية التي يحملها والأفكار التي يتشبع بها، وتزداد هذه القناعات عند وقوع أحداث عنف مثل عمليات إرهابية يقوم بها أوروبيون متحدرين من أصول إسلامية أو أعمال تخريب مثل التي حدثت في ضواحي باريس سنة 2005 .

كما تدفع وضعية الإقصاء التهميش بعض المتحدرين من أصول عربية إلى البحث عن هوية ومواطنة بديلة، يجدونها أحياناً في الدين، ويتحول الدين إلى تدين، أي إلى رغبة في إبراز الاختلاف من خلال بعض المظاهر مثل إطلاق اللحية، أو ارتداء اللباس الأفغاني أو النقاب. وبسبب غياب ثقافة دينية صحيحة، وبسبب تواضع مستواهم الثقافي تسقط قلة منهم فريسة في ما تقدمه بعض القنوات الفضائية ذات التوجه الإسلامي الراديكالي، أو بعض المواقع الإلكترونية التي تشجع على الإرهاب وهي مواقع تعتبر أوروبا - دار الكفر -

وهكذا يتشبع هؤلاء الشباب العربي الأوروبي بالفكر الجهادي ويتوجه بعضهم إلى العراق أو سوريا بهدف الجهاد والأمثلة كثيرة في هذا السياق من أشهرها حالة زكريا موساوي وهو فرنسي من أصول مغربية والناجي الوحيد من بين الانتحاريين العشرين الذين نفذوا تفجيرات 11 سبتمبر 2011 ومحمد بوييري وهو هولندي من أصول مغربية اغتال المخرج

¹ رجب البناء، مقال بعنوان "مشاكل المسلمين في الغرب"، جريدة الأهرام اليومية، صفحة قضايا وأراء، بتاريخ 1-3-2010

الهولندي تيبو فان غوغ الذي أساء للإسلام في أحد أفلامه، ومحمد لمراح وهو فرنسي من أصول جزائرية قتل أربعة جنود فرنسيين في تولوز، بعضهم من أصول عربية مثله، إضافة إلى عدد من الأطفال واليهود. وهذا الأمر يعود بالطبع سلبا على أوضاع أهاليهم وذويهم من جراء التحقيقات الأمنية ووضعهم تحت المراقبة البوليسية الدائمة، وربما يصل الأمر إلى سحب الجنسية والطرده من فرنسا، ويمثل هذا أكبر تحدى يواجهه المواطن.

الجدول رقم 32: يمثل علاقة سائل الاعلام حول الحجاب بمختلف مظاهر الكراهية والعداء

المجموع	أشكال العداء والكراهية						الحملات التي تشنها وسائل الاعلام	
	الوصف بالرجعية والتخلف		لا شيء يذكر		تسمع كلمات التمييز والعنصرية			
%	ك	ك	%	ك	%	ك	%	
58.33	106	57.1	20	42.2	19	67	67	تشويه صورة المهاجرين والمسلمين
41.11	74	42.8	15	57.7	26	33	33	تعمل لإصلاح أطراف سياسية معينة
100	180	19.4	35	25	45	55	100	المجموع

يبين لنا هذا الجدول أن الاتجاه العام للفتيات المبحوثات يسمعن كلمات التمييز والعنصرية بنسبة قدرت بـ 55% تدعمها نسبة 63.80% تقول بأنه ناتج عن تشويه الإعلام لصورة المهاجرين والمسلمين، كما تدعمها نسبة 33% تقول بأنها تعمل لإصلاح أطراف سياسية معينة وبالمقابل نجد أن نسبة 25% لم تعانى أشكال العداء والكراهية تدعمها نسبة 57.7% تقول بأنه ناتج عن تشويه الإعلام لصورة المهاجرين والمسلمين، كما تدعمها نسبة 42.2% تقول بأنها تعمل لإصلاح أطراف سياسية معينة.

يؤكد - ميشال فوكو - على دور المجتمع في الجسد إلى حد يجعل الجسد يكتفي بوصفه ظاهرة تتطلب بذاتها تقصياً تاريخياً مفصلاً. إنه حاضر بوصفه موضوعاً للنقاش لكنه غائب بوصفه موضوعاً للتحليل. ولأن الجسد هو ما يشكله الخطاب فإن الخطاب عوضاً عن الجسد هو الذي يحتاج إلى تحليل وفق رؤية فوكو، والخطاب يتجسد في دراستنا هذه في المؤسسات السياسية والإعلامية التي تريد التحكم في الجسد الأنثوي واستخدام ظاهرة الحجاب كمدخل لمهاجمة المسلمين.

حيث ربط الإعلام الأوروبي بشكل كبير بين الإسلام كدين وبين ممارسات بعض الحركات الإسلامية المتشددة، وفي كثير من الأحيان لم يفرق هذا الإعلام بين المسلم المعتدل في ممارسته الدينية، وبين المسلمين المنتمين لجماعات إسلامية تختلف في أطروحاتها وفي حركيتها، ويتأرجح هذا الاختلاف ما بين الاعتدال والتشدد، وتم استغلال أحداث تورط فيها بعض الإسلاميين المتشددين من أجل إصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، ولقد اعترف العديد من الإعلاميين بوجود صورة خاطئة عن الإسلام والمسلمين في مختلف وسائل الإعلام الأوروبية.

وعموماً يمكن تلخيص أهم عناوين الصور المغلوطة عن الإسلام في النقاط التالية: الإسلام دين العنف والإرهاب، يضطهد المرأة، وانتشر بالسيف، المسلمين يتزوجون بأربع نساء، محمداً (ص) هو مخترع الإسلام، الإسلام دين ضد السامية (من خلال تحريف الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية اليهود. الإسلام ضد حرية الاعتقاد. لم تكن الفتوحات الإسلامية سوى توسعات استعمارية ذات طابع اقتصادي للحصول على الغنائم وفرض الجزية.. الإسلام دين وحشي في تطبيقه للحدود والعقوبات. الإسلام يحرم الفنون (الموسيقى الرسم، الرقص..)، كان محمداً (ص) رجلاً شهوانياً.... الخ هذه هي صورة العرب والمسلمين في المجتمعات الأوروبية والتي ساهم الإعلام في تكريسها، هي أن المسلمين كل لا يتجزأ بحيث لا تميز فيهم بين المذاهب والتيارات وبين القناعات الدينية والاعتدال والتطرف.

ويقدم - توماس ديلتومب - خلاصة مهمة في هذا السياق، من خلال تحليله لخطاب البرامج الحوارية التي يقدمها التلفزيون الفرنسي عند وقوع مثل هذه الأحداث إذ تصبح الإشكالية هي: هل يجب على المسلمين الفرنسيين أن يتخلوا عن الإسلام حتى يتمكنوا من الاندماج في المجتمع، ويقود هذا النوع من النقاش إلى خلاصة أخرى هي أن الفرنسيين

اكتشفوا هويتهم من خلال المقابلة مع المسلم، بحيث تركز هذه الهوية على المسيحية، مع أن نسبة ممارسي هذه الديانة محدودة جداً.¹

وهنا تصبح المقابلة عقائدية - أنا والآخر - وليس أنا ونحن وهذا لا يشكل تهديداً لمواطنة المتحدرين من أصول عربية إسلامية فقط، وإنما يشكل تهديداً للمواطنة الفرنسية بشكل عام والتي حسمت في أمرها منذ أكثر من مئة عام عندما فصلت بين الدين والسياسة (قانون 1905) واعتبرت العلمانية ومبادئ الجمهورية أساس المواطنة.

تقول إيناس 30 سنة محامية من أصول تونسية " أن وسائل الإعلام تعمل على عكس مبادئ الجمهورية الفرنسية وتصنع المواطنة بطريقتها على أساس العرق والدين والتاريخ المشترك. وفق المفاهيم استعملتها أحزاب اليمين المتطرف والتيارات التي تدور في فلكها استعمالاً أيديولوجياً لتوزيع المواطنة على هواها، وكان الشعار الذي تلوح به دائماً هو الخطر الذي يهدد الهوية الوطنية إنها مفاهيم أسطورية أكثر منها واقعية؛ لأن أوروبا على امتداد تاريخها، لم يكن لها تاريخ مشترك وعرق مشترك ودين واحد، فقد عاشت حروباً سياسية وعرقية على امتداد قرون.

أن على وسائل الإعلام أن تركز على التعددية الثقافية والعرقية والدينية في إطار حقوق الأقليات المواطنة، وأن تخلق قناعة مفادها أن الجذور الثقافية المختلفة هي مصدر غنى للمجتمع وللمواطنة وليس العكس، وأن فرنسا القرن الحادي والعشرين لا يمكن أن تكون لها هوية واحدة، وأن الهويات تلتحم فيما بينها لتخلق مواطنة متجانسة يُعتبر الإسلام فيها على غرار بقية الثقافات الأخرى، جزءاً فاعلاً فيها فالصحافة عندما تتحو هذا المنحى، تكون فقط قد احترمت النصوص القانونية؛ فأوروبا تعمل بما يسمى - قانون الأرض - الذي يمنح حق المواطنة لكل من وُلد فوق أراضيها.

¹ - Thomas Deltombe, *L'Islam imaginaire* (Paris: La Découverte, 2007).

الجدول 33: يمثل انعكاسات تنامي ظاهرة الارهاب على أوضاع المحجبات

النسبة %	التكرار	الانعكاسات
61.11	110	تشديد الإجراءات الأمنية على المحجبات
38.88	70	تضييق حريات المحجبات في مختلف الفضاءات
100,0	180	المجموع

يتبين من خلال الجدول أعلاه أن اتجاه العينة المبحوثة وبأعلى نسبة قدرت بـ 61.11% يقول بأن انعكاسات تنامي ظاهرة الارهاب يضاعف من تشديد الإجراءات الأمنية على المحجبات، تليها نسبة 38.88% تقول بأنه يتزايد التضييق على حريات المحجبات في مختلف الفضاءات.

أظهر تحقيق أكاديمي حول تنوع السكان في فرنسا بعنوان "مسارات ومنشأ"، نشر مؤخرا تعرض المهاجرين وأبنائهم إلى سلوكات عنصرية والتمييز في أغلب المجالات خاصة ما تعلق بالتعليم العالي، العمل والسكن، وتراجع ثقتهم جراء ذلك، في بعض المؤسسات الفرنسية، أهمها جهاز العدالة والأمن، وكشف التحقيق الذي أعده المعهد الوطني للدراسات الديمغرافية والمعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية في نتائجه الأولية الوجه الآخر لفرنسا الديمقراطية وحقوق الإنسان، وذكر التحقيق الذي أنجز في الفترة ما بين سبتمبر 2008 وفيفري 2009، وشمل 21 ألفا من المهاجرين وأبنائهم، أن أغلب المستجوبين تعرضوا للتمييز، وأصبحوا يشعرون بـ "اللاعادلة" سواء في التوجيه خلال مسارهم التعليمي ورفض طلبات العمل دون مبرر، حشدهم في سكنات معينة أو تعريضهم إلى التفتيش من طرف الأمن لمرات عديدة مقارنة بباقي السكان الفرنسيين.

مؤخرا ومع أحداث شارلي إبدو "أو" شارلي الأسبوعية" تلك الصحيفة الساخرة الأسبوعية الصادرة في باريس، والتي تتسم منشوراتها بأنها غير وقورة وغير ملتزمة. نشرت رسوما كاريكاتورية مسيئة لنبي الإسلام محمد (ص) تسبب في هجوم إرهابي على مقرها حيث

اختفت المحجبات ولم يخرجن الى الشارع لمدة أكثر من أسبوع خوفا من ردة فعل المتطرفين من الحركات المناهضة للمهاجرين .

الهجوم حدث على صحيفة شارلي إبدو وقع باقتحام ملثمين اثنين مقر الصحيفة الساخرة شارلي إبدو في باريس في 7 يناير 2015 بحدود الساعة 11 صباحاً بتوقيت وسط أوروبا. أدى هذا الهجوم إلى مقتل 12 شخصاً وإصابة 11 آخرين .دخل المسلحون المبنى وبدؤوا إطلاق النار من أسلحة كلاشنكوف.

قامت في فرنسا مسيرات تحت اسم **مسيرة الجمهورية** مدعومة بمسيرات في مدن أخرى في العالم. هذه المسيرات أصبحت الأكبر في تاريخ البلاد شارك فيها حوالي 2 مليون في باريس وحدها، المسيرة المقامة في باريس شارك فيها حوالي 50 من قادة العالم.

ولقد ارتفعت وتيرة الأحداث والعنف بعد الهجوم على شارلي إبدو، وسجلت سلسلة من الاعتداءات على المباني والمساجد (33 اعتداء على المساجد) وتحولت إلى الافراد والأشخاص، وبالخصوص على النساء والأطفال، وانتقلت إلى الطلبة بالجامعة وغيرها في حالات شبه هستيرية، حيث تم قتل وطعن مواطن مغربي بجنوب فرنسا (95 حالة إهانة وتهديد).. وقد سجل 133 عملاً معادياً للإسلام بفرنسا خلال أسبوعين فقط ما تم تسجيله في السنة الماضية 2014 بحسب المرصد التابع للمجلس الفرنسي للديانة الإسلامية.

مواجهة الإسلاموفوبيا وكل أشكال التمييز العنصري ليست قضية المسلمين، ولكنها قضية كل المواطنين القاطنين بفرنسا هي قضية وطنية فهذه المعركة يجب أن تضم كل المواطنين الفرنسيين المتعلقين بمبادئ العلمانية والجمهورية.

لا تواجه الإسلاموفوبيا ب"الانكماش الطائفي"، ولكن بأسلحة المواطنة والدفاع عن الحريات الأساسية، هذا رهان ديمقراطي ضد كل الذين يريدون تحويل العلمانية إلى آلة حرب ضد المسلمين. إن فكرة حرب الحضارات مستوردة إلى فرنسا ومسلموا فرنسا ينتمون في غالبيتهم

إلى الحضارة الغربية. فالإسلام أيضاً في جزء كبير منه الآن "غربي". يجب ألا نسقط في مصيدة من يتمنون جعل الحجاب الإسلامي حرباً حضارية، والفتيات المحجبات مواطنات فرنسيات بل إن هناك من هي من الجيل الثالث أو الرابع من المهاجرين. كما يؤكد الدكتور عبد الناصر جابي في مقدمة كتاب الأستاذ منير مباركية "مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة، وحالة المواطنة في الجزائر": على أن الجالية الجزائرية والمغاربة شاركت بقوة في بناء فرنسا. وأنه يوجد من أبناء منطقة القبائل الجزائريين من حطوا الرحال في فرنسا قبل دخول عائلة الرئيس الفرنسي الأسبق نيكولا ساركوزي إليها بمدة طويلة. كما تحدث جابي عن أزمة النموذج الفرنسي في التعاطي مع المواطنة في الحياة اليومية ورفضه مبدأ القبول بالمواطن المختلف حتى وإن كان فرنسياً من الجيل الثالث أو الرابع لا يراهم كمواطنين لأنهم أفارقة أو عرب مسلمين، ويرفض إدماجهم إلا بشرط تخليهم عن كل ما يمت بصلة لانتماءاتهم الأصلية كالاسم والدين والثقافة وطريقة اللباس وحتى لون البشرة الطبيعي. وأن هذا النموذج ما يزال مصراً في عمقه على التشبث بالأصول المسيحية الأوروبية¹. فالقضية متعلقة بالحرية والديموقراطية والسياسيون والمتقنون ولإعلاميون الفرنسيون عليهم أن يدركوا هذا التطور والتحول في بنية وتركيبية المجتمع الفرنسي وأنه يمكن أن أكون مسلماً فرنسياً دون أن أتكرر لمعتقداتي أو أنسلخ من هويتي الدينية.

خلاصة الفصل: كغيرها من الدول، ليست فرنسا بمنأى عن التغيرات والتحديات العالمية المعاصرة والتي كان لها مفعولها على قيم المواطنة وتجسيدها، كالعولمة والإرهاب والهجرة الدولية وتراجع النموذج العلماني الفرنسي، وظهور اللاتسامح الديني والثقافي وتقوي تيارات اليمين المتطرف وخطابها الشعبوي، والأزمات الاقتصادية العالمية وعجز الديمقراطية التمثيلية الفرنسية،* وظهور المواطنة الأوروبية، وبروز الخنوع والروح الإتكالية، وتآكل نظام "الرعاية والمساعدة الاجتماعية، وتسييس المواطنة وقضاياها...

¹ الأستاذ منير مباركية، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة، مرجع سابق، ص 49-50.

الفصل التاسع: النتائج العامة للدراسة

تمهيد

9-1- نتائج الفرضية الأولى

9-2- نتائج الفرضية الثانية

9-3- نتائج الفرضية الثالثة

9-4- نتائج الفرضية الرابعة

9-5- نتائج الفرضية الخامسة

تمهيد

يمكن الإشارة منذ البدء إلى قاعدة سوسولوجية، قد تبدو بديهية ولكنها أساسية حتى نبني استنتاجنا على أسس منطقية مفادها أن أجساد بنى البشر تخضع لمتغيرات تتحكم فيها مختلف أشكال الخطاب الديني والسياسي على حدة سواء.

وفي هذه الدراسة نحاول إبراز بعض الأبعاد والمتغيرات الاجتماعية والسياسية المتحكمة في ظاهرة الحجاب في مجتمع علماني يؤمن بالديمقراطية وحقوق الإنسان، فعلى مستوى الدساتير والعهود والمواثيق الدولية هناك الكثير من القوانين التي تكفل احترام التنوع الثقافي وتعترف بحقوق الأقليات العرقية والدينية. لكن الأمر يختلف على مستوى الممارسة الواقعية وهذا ما لمسناه من خلال دراستنا كما سنرى في مختلف النتائج المتوصل إليها.

ايضا على المستوى الرسمي يصرح المسؤولون بأن السلطات العامة تعمل على أن يتمتع المهاجرون بنفس الحقوق المخولة لمواطني البلدان المستقبلية وكذا تكافؤ الفرص خاصة فيما يتعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية في ميادين التعليم والصحة والسكن والعمل، إلا أن الواقع يتناقض في بعض الأحيان مع هذه التصريحات.

إن إدماج المحجبات عملية معقدة تستدعي تضافر جهود كل الفاعلين في الحقل السياسي والديني والإعلامي، والتعليمي وكذا مختلف مكونات المجتمع المدني من أجل نشر وتعميق وتطبيق مبادئ التسامح والاعتراف بحق الاختلاف في المعتقدات الدينية والأصول الثقافية تحت مظلة المواطنة والوطن الواحد، فبعد عملية البحث والتحليل نصل إلى جملة من الاستنتاجات نلخصها فيما يلي:

9-1 مناقشة وتحليل نتائج الفرضية الأولى:

- احترام الحرية الشخصية للمحجبة في الأسرة عامل أساسي لتنمية روح المواطنة
- الاتجاه العام لعينة الدراسة يؤكد أن النساء موضوع الدراسة لبسن الحجاب باختيار شخصي. مما يؤكد هامش الحرية المتاح للمرأة داخل الأسرة، في اختيار شكل الملابس التي تتوافق مع معتقدها الديني وقناعاتها وثقافتها. وذلك عكس ما تروج له الكثير من الكتابات وما تتحدث عنه وسائل الإعلام في فرنسا على أن الحجاب يلبس بالإكراه والإجبار من الآباء والأزواج.
 - مسألة التحجب من عدمه هي قرار شخصي نابع من حرية المرأة الشخصية، ولا ينبغي فرضه بالقوة والإكراه ولا نزعه وخلعه بحكم القوانين الوضعية، لأن الأساس في قضية الحجاب هو أن يكون قرار الفتاة المسلمة بالتحجب من عدمه نابعاً أولاً من خيارها الشخصي وحريتها الفردية وقناعاتها الذاتية.
 - غالبية نساء العينة اخترن الحجاب ما بين سن [23-29]، وهذا يتلازم ويتزامن مع سن الاختيار والتمييز والتكليف الشرعي بأحكام الفقه الإسلامي. وبناء الاتجاهات ونضج القيم وتحديد مختلف الانتماءات الثقافية. وهو أيضاً سن المسؤولية الكاملة من وجهة نظر القانون المدني، وهو اختيار واع يتطلب الاحترام.
 - فرض الأولياء للحجاب مسألة نادرة وإن وجدت تكون في سن مبكرة ما بين سن [16-22] كما توضحها الدراسة وكلما ارتفع معدل العمر كانت الاستقلالية والتحرر في الاختيار. وهو مؤشر يدعم احترام الحريات الشخصية حتى داخل الأسرة.
 - غالبية أفراد العينة لا يتدخل الأهل في ملابسهن للخروج إلى الفضاء العمومي ويتمتعن بحرية كاملة في ملابس الخروج وهو مؤشر يؤكد حقيقة الاستقلالية الذاتية.

- أغلب نساء العينة متشبثات بالحجاب ولا يفكرن بتاتا بخلعه مهما كانت الظروف والتحديات التي تواجههن من أجل ذلك. وكلما طال ارتدائه اشتد التمسك به.
- وضوح موقف الأولياء الراض للحجاب، أمر ليس موجودا فقط عند الفتيات المسلمات اللواتي ينحدرن من أصول فرنسية. وإنما المفارقة حينما يتجاوزهن إلى أولياء فتيات من أصول مغربية " ويكون هذا عادة بدواعي الخوف من المتابعات الأمنية، وأحيانا نتيجة التأثير والذوبان في الثقافة الغربية".^أ
- غالبية أفراد العينة يشعرون بالتناقض مع المعتقدات الدينية اذا ما خرجن دون حجاب كما يشعرون أنهم شبه عاريات ويمتلكهن الإحساس بالذنب، وهذا يرتبط بطريقة الوعظ والإرشاد الديني التي يتلقينها منذ الطفولة المبكرة في مختلف المناسبات، ومن مختلف أفراد الأسرة وكل أساليب الترغيب والترهيب المتعلقة بوجود الستر وعدم كشف الجسد للأجانب في الفضاء العام.
- الجسد شأن خاص يصب في الحريات الفردية، ومن قيم المواطنة احترام الهوية الذاتية للفرد، وينبغي تقديس حرمة الجسد، لأنه مؤشر ايجابي يعكس إنسانية الإنسان مدنته وتحضره.
- من خلال هذه النتائج نستنتج أن المبحوثات اخترن الحجاب بكل حرية بعيدا عن كل الضغوط، وفي سن التمييز والنضج الكامل، وتحضى باحترام الأسرة وهو ما يحقق فرضيتنا الأولى:

احترام الحرية الشخصية للمحبة في الأسرة عامل أساسي لتنمية روح المواطنة

^أ بناء على أقوال بعض المبحوثات أثناء المقابلات الشخصية.

9-2 مناقشة وتحليل نتائج الفرضية الثانية:

احترام الهوية الثقافية للمحجبة في الفضاء العام (على المستوى الفردي) عامل إيجابي لتأكيد المواطنة

- جل العينة ترى بأن الحجاب يقع في منزلة الفرض من الواجبات الدينية. وهو ما يعكس تنمية الوازع الديني عند الفتاة عبر خطاب مختلف مؤسسات التنشئة الدينية.
 - تأكد المحجبات بالأغلبية أن ارتداء الحجاب أمر تعبدية، وواجب شرعي، وليس مجرد رمز ديني أو سياسي، وأن هذا الالتزام أمر غير مرهون بأي مكان عام أو زمان وأن تعاليم الإسلام بطبيعتها لا تعرف التناقض والتجزؤ في حياة المسلمة الملتزم بدورها.
 - أغلبية الفتيات لم يتعرضن للمعاكسات، وهو ما يعكس أن ثقافة المجتمع وتحضره في التعامل مع الآخر راقية. وأن المرأة حرة في طريقة لباسها، وأن ما تقوم به يبقى اختيارا شخصيا لا دخل لأحد فيه. ويبقى الاحترام مؤشرا يدعم ويعضد متغير تأكيد احترام الهوية الثقافية للفتاة.
 - عدم التحرش بالمحجبة مؤشر ايجابي يؤيد تقدير وحرمة جسد الفتاة واحترامها دون المساس بكرامتها. وهو ما يدعم متغير احترام الخصوصيات الثقافية في الفضاء العام.
 - الأغلبية من المبحوثات يعتبرن الحجاب أمرا تعبدية يقرب من الله كما يعد جزءا من هويتهم الشخصية والثقافية.
- من خلال هذه النتائج نستنتج أن المبحوثات يحظين بالتقدير واحترام هويتهم الثقافية من الناحية الاجتماعية في الفضاء العام (على المستوى الفردي) وهو عامل إيجابي لتأكيد المواطنة وهذا ما يحقق فرضيتنا الثانية: احترام الهوية الثقافية للمحجبة على المستوى الفردي عامل إيجابي لتأكيد المواطنة

3-9 مناقشة وتحليل نتائج الفرضية الثالثة:

- إقصاء وتهميش المحجبات قانونيا (التمييز المؤسسي) عامل يهدد قيم المواطنة
- هناك احترام اجتماعي (شعوبي) للحجاب إلا أن هناك رفض من بعض الاتجاهات الحكومية (السياسية، القانونية. الإدارية) تجسد في قانون منع الحجاب في المدارس العمومية والذي تعتبره المحجبات قانونا مؤسفا وغير عادل ويتضاد مع الحريات الشخصية، والمبادئ العلمانية، ويتعارض وقانون الجمهورية الفرنسية كما يتناقض مع الديمقراطية وحقوق الإنسان.
 - تعاني أغلب المحجبات تسلطا قانونيا وإداريا في كثير من الأحيان وهو ما يجعلهن يعشن نوعا من التحدي في مختلف الفضاءات الاجتماعية من أجل التمسك باختيارهن.
 - تتعرض المحجبات للحرمان من فرص العمل وبالأخص في الوظائف الحكومية رغم ما تحصلن عليه من مؤهلات علمية وهو ما يعد شكلا من الإقصاء والتهميش الذي يهدد أوضاع وحقوق المواطنة.
 - تواجه أغلب المحجبات بعض أشكال التمييز العنصري الذي تمثل في سماع كلمات رافضة لرموز التدين وعلى رأسها الحجاب مع اتهامهن بالرجعية والتخلف والتمسك بتقاليد البادية العربية.
 - تعاني المحجبات من أساليب التعامل بحقد واستهزاء واحتقار وهو ما يعكس مظاهر الكراهية والعداء التي تطرحها نظرية صدام الحضارات (الأديان) عند - صموئيل هنتنغتون -.
 - تمارس على بعض أفراد العينة مضايقة في العمل وحرمان من الامتيازات المهنية كالترقيات وغيرها، وذلك بسبب ارتداء الحجاب وذلك بخلاف غيرهن من المهاجرات غير المحجبات.

- تتعرض غالبية نساء العينة للمضايقات في مختلف أماكن العمل والدراسة، ليس فقط بالاعتداءات اللفظية المهينة والمذلة، بل يتعدى الأمر ذلك أحيانا إلى الضرب والتعري أمامهن وهو أقصى أنواع الإهانة والاحتقار مما يتنافى مع كرامة الإنسان.

من خلال تحليل النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة نخلص إلى أن قانون حظر الحجاب في المدارس الحكومية، وإعلان مختلف أشكال العداء والكراهية والحرمان من العمل والدراسة والمضايقات والتعسف الإداري في المؤسسات الحكومية الذي تتعرض لها المحجبات يلخص دلالات التهميش والإقصاء مما يحقق فرضتنا الثالثة:

إقصاء وتهميش المحجبات قانونيا (التمييز المؤسسي) عامل يهدد قيم المواطنة

4-9 مناقشة وتحليل نتائج الفرضية الرابعة:

ممارسة المحجبات للحريات المدنية عامل ايجابي يؤكد حقوق المواطنة

- هناك إعراض عام لأفراد العينة عن النشاط الجمعي في مختلف التنظيمات الإسلامية وذلك نتيجة الصراعات التي تعيشها في داخلها وفي ما بينها، فلم تستطع الجمعيات الدينية الإسلامية حتى الآن أن تحقق انسجاماً في ما بينها يمكن أن يسهم في الحد من أزمة الهوية والمواطنة التي يعيشها المتحدرون من أصول عربية وإسلامية.
- تؤكد الاغلبية على أن هناك صراعات داخل الجمعيات الدينية وعلاقاتها ببعضها ثم علاقتها بالحكومة الفرنسية، وحكومات بلدانها الأصلية. ويعمق الهوة بين هذه الجمعيات الاختلافات الكبيرة بين الإسلام السلفي والإسلام الإخواني والإسلام الصوفي وكل مؤسسة تدعو إلى إسلام يمثل ثقافة مرجعيتها الدينية.
- ومن الأسباب الأخرى التي تحول دون أداء هذه المؤسسات دوراً إيجابياً لمصلحة المتحدرين من أصول عربية إسلامية هو غلبة الإسلام السياسي عليها، وبقاؤها حبيسة توجهات أيديولوجية محددة، ورفضها فصل الدين عن الدولة، وكل ذلك يدفعها لتأسيس معتقد العرب الأوروبيين، وتكريس الهوية الدينية لديهم على حساب الهوية الوطنية.
- لا تأخذ جمعيات المهاجرين بالاعتبار إلا المصلحة الضيقة للفئات المكونة لها، وكثيراً ما تتنافس وتتصارع فيما بينها لتعصب منتسبيها لأصولهم في بلدانهم الأصلية.

من خلال تحليل النتائج المتعلقة بالفرضية الرابعة والتي تعكس ممارسة مختلف الحريات المدنية، بداية من حق الانتخاب والترشح والاحتجاج السلمى والتمثيل الجمعي... نخلص إلى تحقق فرضيتنا: ممارسة المحجبات للحريات المدنية عامل ايجابي يؤكد حقوق المواطنة.

5-9 مناقشة وتحليل نتائج الفرضية الخامسة:

تزايد وتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب عامل يهدد مواطنة المحجبات

- تعتبر كثير من المبحوثات بأن النقاب ضمن "المعاملات المهينة" والمتنافية مع أبسط حقوق الإنسان فما معنى أن تكون المرأة بلا وجه، وأن تتحرك في الفضاء العام وكأنها شبح من عالم الجن لا يعرف ولا يرى ولا يرى؟ وبأنه يطمس هوية المرأة.
- كما تعتبره البعض نوعاً من التطرف الديني. وتشير بعض الاتجاهات المناهضة للنقاب سواء في فرنسا أو حتى في العالم الإسلامي والعربي بأنه لا يمكن اعتبار النقاب لباساً يميز ويشخص هوية المرأة بل شطباً لجسد المرأة.
- بعض المسلمين في فرنسا يسيئون للإسلام أكثر من أعدائه، لذا ينبغي أن نقوم كمسلمين بنقد ذاتي بشأن هذه الظواهر الاجتماعية السلبية، بالإضافة إلى نظرتنا الدينية، فليس كل المسلمين هناك يقدمون صورة إيجابية عن التسامح في الدين الإسلامي.
- من خلال الحجاب، ينظر البعض إلى هاجس إرهاب المجموعات الإسلامية المسلحة والفتيات الفرنسيات المرتديات للحجاب ينظر إليهن أحياناً كثيرة على أنهن تحت قبضة المنظمات والحركات المتطرفة، وينبغي أن يقال كذلك: إن كثيراً من المثقفين اللاجئيين بفرنسا يساهمون في إبقاء هذه الفكرة.
- التهويل من خطر الأصولية الإسلامية واعتباره التهديد الأكبر للوحدة الوطنية إذ يقول البعض وكأننا في وضعية استعمارية جديدة، حيث تقوم نخب من بعض الأهالي بالتعاون مع السلطات الاستعمارية بإدانة "الخطر الوطني والمسلم.
- كما تدفع وضعية الإقصاء التهميش بعض المتحدرين من أصول عربية إلى البحث عن هوية ومواطنة بديلة، يجدونها أحياناً في الدين، ويتحول الدين إلى تديّن، أي إلى رغبة في إبراز الاختلاف من خلال بعض المظاهر مثل إطلاق اللحية، أو ارتداء اللباس الأفغاني أو النقاب.

- ويسبب غياب ثقافة دينية صحيحة، تسقط قلة منهم فريسة في ما تقدمه بعض القنوات الفضائية ذات التوجه الإسلامي الراديكالي. أو بعض المواقع الإلكترونية التي تشجع على الإرهاب والتي تُعتبر أوروبا - دار الكفر- وهكذا ينتشع هؤلاء الشباب العرب الأوروبيين بالفكر الجهادي.
- أن قانون منع الحجاب رغم كل تبريراته، فإن له جوانب واضحة مرتبطة باللعبة السياسية الداخلية في فرنسا. حيث ترى أكثر من جهة أن الأكثرية اليمينية ساندت قانون منع الحجاب ونقاب لتحقيق مآرب انتخابية.
- ربط الإعلام الأوروبي بشكل كبير بين الإسلام كدين وبين ممارسات بعض الحركات الإسلامية المتشددة، وفي كثير من الأحيان لم يفرق هذا الإعلام بين المسلمين المعتدلين، وبين المسلمين المنتمين لجماعات إرهابية.
- وسائل الإعلام تعمل على عكس مبادئ الجمهورية الفرنسية وتصنع المواطنة بطريقتها على أساس العرق والدين، ووفق المفاهيم التي تستعملها أحزاب اليمين المتطرف والتيارات التي تدور في فلكها استعمالاً أيديولوجياً لتوزيع المواطنة كما ترغب وتريد حيث كان الشعار الذي تلوح به دائماً هو الخطر الذي يهدد الهوية الوطنية.
- من خلال تحليل النتائج المتعلقة بالفرضية الخامسة دلالات الكراهية والحملات التي تشنها وسائل الإعلام الغربي على الحجاب، والصورة المشوهة التي يحملها بعض المسلمين عن الإسلام نخلص إلى تحققها: تزايد وتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب عامل يهدد مواطنة المحجبات.

خلاصة الفصل:

لم يعد لنموذج المواطنة الفرنسي نفس البريق الذي كان عليه، كنموذج يحتذى به للمواطنة في دولة ديمقراطية عريقة، فقد أصبحت تتخلله عدة مظاهر ودلائل لأزمة مواطنة، وبانت تواجهه عدة تحديات جادة، وقد شكّلت "أحداث الضواحي"، وقضية الحجاب وغيرها من الأحداث الكثيرة، معالم لأزمة مواطنة حقيقية في فرنسا، ننجزها في الاستنتاجات العامة والتوصيات.

خاتمة:

كانت الدراسة تهدف لفهم العلاقة بين دلالات الرمزية للحجاب وتأكيد المواطنة كالحقوق وواجبات، في وطن جامع حر تحت مظلة دستورية ضابطة وضامنة لتلك الشراكة والمساواة من خلال آليات دستورية وقانونية فاعلة. تحترم كل أشكال الاختلافات العرقية والعقائدية والثقافية في مكونات المجتمع وتسعى لاستيعابها دون إقصاء أو تهميش، ليتم التفاعل والتمازج بينها بما يؤدي إلى تولد ثقافة وطنية تدعم من روح الشراكة والترايط في المجتمع.

إلا أن أهم نتائج الدراسة تؤكد أن منع المرأة المسلمة من وضع الحجاب في دولة ديمقراطية ليبرالية يمثل - بصفة مجردة ومطلقة- مخالفة لمبدأ حرية الضمير للكائن الإنساني، فذلك ما ينبغي أن يترك لقناعاته الضميرية. لكننا نخطئ إذا تصورنا أن النظم الديمقراطية الليبرالية نظم محايدة لانحيازات قيمة لديها، فهي كأى نظم سياسية واجتماعية في واقع العالم تعكس مصالح ورؤى القوى التي تشكلها خصوصا في ما يتعلق بعقيدتها العلمانية التي قاتلت من اجلها. واذا كانت الحرية من مبادئها فإن مبدأ السيادة الوطنية لا يقل اهمية لديها ؟

إن هذه النظم على ليبراليتها وتسامحها النسبي لا يمكن أن تتسامح إلا مع من يقبل قواعد اللعبة في النظام الديمقراطي العلماني، ويسلم بأصولها. فهذه النظم عبر صراعها المصيري مع خصومها التاريخيين من اقطاعيين وكنسيين وفاشييين وشيوعيين، لم تسمح أية قوة منهم بالخروج على أصول لعبتها، وإذا قبلت بهم، فبعد تهميشهم وإخضاعهم لمنطقها السياسي.

أن نظرية المواطنة المتنوعة التي تراعى وتتفهم الاختلافات، لاتزال قيد البحث وأن الوصول الى مفهوم جديد للمواطنة لديه القدرة على المحافظة على قيم المساواة والعدالة ومراعاة الاختلافات العرقية والثقافية للتركيبية المجتمع، أمر يتجاوز الحيز السياسي لتشمل الحيز

المدني والاجتماعي بما يمس كل مظاهر حياة المواطنة اليومية لأن ممارسة مفهوم غير مناسب للمواطنة، قد يتسبب في الغضب والعنف وزعزعت الاستقرار والأمن من مختلف الأقليات. كما أن تجاهل مطالب التعددية الثقافية قد يؤدي ربما الى الثورات الجماعية وحتى الى الانتشاق السياسي.

كما أنه من نتائج الدراسة أن الخطاب الإسلامي في مسألة حجاب المرأة مرتبط بعالم الأشياء بعيدا عن عالم القيم ، فلا يركز في مقارنته على المضمون (الستر والاحتشام). لذلك يجب أن تكون المواجهة بين الحجاب وغيره من اللباس وإنما بين قيمة الستر والحشمة وبين التهنك والتبرج والإثارة بالجسد، وهو ما لم يمنعه الحجاب الحالي من الاحتشام والستر هي روح ما قرره العلماء في مواصفات لباس المرأة من أنه ينبغي ألا يصف ولا يشف ولا يكون زينة في ذاته. وهو ما يسهل عملية الاندماج الاجتماعي في المجتمعات الغربية، ويسمح للمرأة بممارسة كل أنشطة الحياة اليومية في مختلف الفضاءات.

ويمكن القول أن دراستنا هذه للحجاب والمواطنة كانت هذه محاولة منا وفق رؤية تظهر مدى حرية الفتاة لاختياره للحجاب كرمز يعكس هويتها الدينية والثقافية، وفق مبادئ العلمانية والديمقراطية واحترام الحريات الشخصية الداعية لتعايش مع مختلف التنوعات الثقافية الأخرى بالروح من التسامح والحوار والاحترام المتبادل من أجل تحقيق مواطنة فاعلة وحضارية. وفي نهاية هذه الدراسة نقول بأن سوسيولوجيا الحجاب والمواطنة وحقوق الانسان من المواضيع التي أصبحت تستهوى الباحثين للدراسة والتنقيب والتحليل، كونها مرتبطة بمختلف المقاربات الأنثروبولوجية والدينية والسيكولوجية والقيم السوسيوثقافية.

استنتاجات عامة وتوصيات الدراسة

استنتاجات عامة:

- طبيعة النظام الديمقراطي الفرنسي رغم كثرت مساعيه وجهوده على تكريس وتجسيد قيم المواطنة، إلا أنه لا يضمن بالضرورة مواطنة كاملة وتامة ومتساوية للجميع.
- تلعب وسائل الإعلام دورا مركزيا في تكريس مفهوم المواطنة ومضمونه وتجسيده على أرض الواقع، وهو ما سهل المهمة أمام الدولة في النموذج الفرنسي.
- تعتبر خصائص وثقافة الشعوب (الخصائص الجمعية والفردية) عاملا حاسما في تكريس أو تثبيط عملية تجسيد مبدأ المواطنة، في النموذج الفرنسي سواء الشعبي أو الرسمي.
- في فرنسا تنتشر سلوكيات التمييز واللامساواة بين المواطنين المهاجرين وتيار اليمين المتطرف ووسائل الإعلام أكثر بكثير من الأوساط الشعبية التي تعتبر أكثر التزاما بمبادئ المواطنة وقوانينها.
- المسلمين الذين يعيشون في الغرب "سلبيون" عموماً يعيشون حالة انسحاب من المشاركة في الحياة السياسية رغم أن القانون الفرنسي يضمن لهم ذلك.

توصيات الدراسة:

بناء على النتائج التي توصلت إليها الدراسة فإنه يمكن أن يوصى بما يلي:

- ✓ تضافر وتكثيف الجهود العلمية من خلال المؤسسات الاعلامية والعلمية في العالم الاسلامي لوضع إستراتيجية متكاملة طويلة المدى لتصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين وقضاياهم العادلة.

- ✓ إعادة صياغة الخطاب الديني الدعوي في الغرب حيث ينبغي أن يكون خطاب منطقي عقلاني يتناسب مع العقلية الغربية والفكر العلماني. ومنصب على القضايا الغربية ذات الأهمية مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية.
- ✓ على وسائل الإعلام الغربية تحاشي الخطاب المعادي للأجانب والمسلمين.
- ✓ تتقية الخطاب الرسمي والشعبي الفرنسي من كل العبارات والألفاظ التي تثير الشعور بالتمايز والتمييز بين المواطنين، وتفعيل دور الأسرة والمدرسة في هذا المجال، لما لهذه المؤسسات من بالغ الأثر على التوعية بقيم المواطنة وتكريسها في المجتمع، مع ضرورة سن واعتماد قوانين وإجراءات ردية ضد عديد الظواهر المنافية والمعادية للمواطنة من قبيل العنصرية والكراهية، والتزام الجدية والصرامة في تطبيقها.

قائمة المراجع

❖ المراجع باللغة العربية :

أ - المعاجم والقواميس :

- 1) ابن منظور، لسان العرب، مادة وطن حرف الواو، ج 6، دار المعارف، القاهرة، 1984.
- 2) العمر معن خليل، معجم علم الاجتماع المعاصر، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، 2000.
- 3) بودبوس رجب، القاموس السياسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الجماهيرية الليبية، 2003.
- 4) زكي بدوي أحمد، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1978
- 5) عبد الجواد رجب، المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2002.
- 6) غيث محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
- 7) كورنو جيرار، معجم المصطلحات القانونية، تر: منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1998.
- 8) مذكور إبراهيم وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- 9) ميشيل دينكن ، معجم علم الاجتماع، تر: احسان محمد الحسن، دار الرشيد، بغداد، 1980.

ب - الكتب:

- 1- ابراهيم محمد عباس، الثقافة والشخصية، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2013.
- 2- أبو طاحون عدلي علي، مناهج وإجراءات البحث الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1988.
- 3- أبو غضة زكي على السيد، المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، ط1، دار الوفاء، 2003.
- 4- أبو النجا شيرين، الحجاب بين المحلي والعولمي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2008.
- 5- إحسان محمد حسن ، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، (د.ن).
- 6- أوبيير دريفوس وبول راينوف ، ميشيل فوكو: مسيرة فلسفية، تر: جورج أبي صالح، مركز الإنماء العربي، بيروت.
- 7- الجابري محمد عابد، مسألة الهوية - العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.
- 8- الجولاني فادية عمر، تصميم البحوث الاجتماعية وتنفيذها، المكتبة المصرية، الإسكندرية، 2006 ,
- 9- الجوهري عائدة، رمزية الحجاب مفاهيم ودلالات، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2007.
- 10- موفق الحمداني، الطفولة، بيت الحكمة، بغداد-1989.
- 11- الحوزي فؤاد، إيديولوجيا الجسد، دار الساقى، ط1، بيروت، لبنان، 1997 .
- 12- الدجاني أحمد صدقي، مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية الإسلامية، مركز يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة، 1999.
- 13- الرايس حياة، جسد المرأة من سلطة الإنس إلى سلطة الجن، سينا للنشر، تونس، 1995 .
- 14- الزبيدي محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، 1969 .
- 15- الزين صالح علي، قضايا في علم الاجتماع والأثروبولوجيا، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1996.
- 16- الشراعية محمد عرفات، التنشئة الاجتماعية ، ط1 ، دار يافا العلمية ، الأردن، 2006.
- 17- العمر معن خليل، التغير الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان .

- 18- الكبره هيفاء فوزي، المرأة والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق،
- 19- الكتاني محمد ، أي منظور لمستقبل الهوية في مواجهة تحديات العولمة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997.
- 20- الكعبي حاتم، التغيير الاجتماعي وحركات المودة، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1982.
- 21- الكندري يعقوب يوسف، الثقافة والصحة والمرض، مجلس النشر العلمي الجامعة، الكويت، 2003،
- 22- المرسي سرحان منير، في اجتماعات التربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981 .
- 23- المريني فاطمة، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، ط4، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
- 24- المطهري مرتضى، مسألة الحجاب، ط1، الدار الإسلامية ، بيروت، 1987.
- 25- أمين قاسم، تحرير المرأة والمرأة الجديدة، المركز اوعربي للبحث والنشر ، مصر ، 1984 .
- 26- أوكين سوزان مولر، النساء في الفكر السياسي الغربي، تر: إمام عبدالفتاح إمام، مكتبة الأسرة، القاهرة، (د.ن).
- 27- بختي العربي، التربية العائلية في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- 28- برغثي حمد حسن، الثقافة العربية والعولمة، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 2007.
- 29- بركة إقبال، الحجاب رؤية عصرية ، ط1، دار كيوان ، سورية ، 2003.
- 30- بن سلامة رجاء، النساء في الخطاب العربي المعاصرة، تجمع الباحثات اللبنانيات ، بيروت ، 2004.
- 31- بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين ، ط4، دار الفكر، مصر، 1986.
- 32- بودريار جان، المجتمع الاستهلاكي، تر: خليل أحمد خليل ، ط1، دار الفكر اللبناني، ، بيروت، 1995.
- 33- بورايو عبد الحميد، تطور ملابس المرأة الجزائرية، ط2 ، دار أنوثة للنشر، الجزائر، 2007.
- 34- بيليس جون، عولمة السياسية العالمية، تر: مجموعة من الباحثين، مركز الخليج للأبحاث، دبي، 2004.
- 35- تورين ألان، ما هي الديمقراطية حكم الأكثر أم ضمانات الأقلية، تر: حسن قبسي، ط2، دار الساقى، بيروت، 2001.
- 36- جرار أماني غازي ، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
- 37- جلال الدين سعيد، فلسفة الجسد، ط2، دار أمية للنشر، تونس ، 1993.
- 38- جمانة طه، المرأة العربية في منظور الدين والواقع، ط1، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004.
- 39- جورج شهلا و آخرون، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1978.
- 40- حولي سناء، الأسرة و الحياة العائلية، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1984،
- 41- دافيد لوبروتون، في أصول تصور حديث للجسد، تر: هشام الحاجي، تونس، (د.ن).
- 42- دافيد لوبروتون، أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، تر: محمد عرب، ط2، المؤسسة الجامعية لنشر، لبنان 1997،
- 43- دباب قايد ، المواطنة والعولمة تساؤلات الزمن الصعب، مركز القاهرة لدراسة حقوق الإنسان، القاهرة، 2007
- 44- دياب فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت ، 1980
- 45- ديال كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ط1، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.
- 46- راضي محمد، التفاعل الاجتماعي عند إرفين جوفمان، ط1، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.
- 47- رشوان حسين أحمد، حقوق الإنسان، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2012.
- 48- زهران حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، ط5، عالم الكتب، القاهرة، 1984،
- 49- سرحان عبدالعزيز محمد، الإطار القانوني لحقوق الإنسان في القانون الدولي، جامعة عين شمس، القاهرة، 1987..

- 50- سليم الشمري، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001،
- 51- شروخ صلاح الدين، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2004 .
- 52- شلنج كرس، الجسد والنظرية الاجتماعية، تر: منى البحر، ط1. دار العين للنشر، مصر، 2014،
- 53- شيراك جاك شيراك، فرنسا جديدة...فرنسا للجميع، تر: أنطوان الهاشم، الهاشم أحمر، منشورات عويدات، 1995.
- 54- طعيمة رشدي أحمد، الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس، دار الفكر العرب القاهرة، (د،ن)،
- 55- عابدين عليه، دراسات في سيكولوجية الملابس، ط1، دار المسيرة، عمان، 2008.
- 56- عامر مصباح، التنشئة الاجتماعية السلوك الإنحرفي لتلميذ المدرسة الثانوية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2003
- 57- سحر عامر، الحجاب: الأصول، التنوعات، التدايعات، تر: فاطمة نصر، ط1، مكتبة سطور الجديدة، مصر، 2014.
- 58- عباس المهدي، الذات و التفوق، دار المناهل، بيروت، 1998 .
- 59- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ط5، دارالقلم، بيروت، بدون سنة طبع.
- 60- عبداللطيف كامل، المواطنة والتربية على قيمها، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012.
- 61- عبدالله، مجدي أحمد محمد، الاغتراب والهجرة غير الشرعية، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2013.
- 62- عثمان سيد أحمد، التطبيع الاجتماعي، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975.
- 63- عزى عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003 .
- 64- عزى عبد الرحمن، دراسات في نظرية الاتصال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003 .
- 65- على حسن، حماية حقوق الإنسان ضمانات الحرية في نظم السياسة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1985.
- 66- عماد عبد الغنى، سوسولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008.
- 67- عيسوي عبد الرحمن، مشكلات الطفولة و المراهقة، دار العلوم العربية، مصر، 994 .
- 68- غراويتز مادلين، مناهج العلوم الاجتماعية العلم والعلوم الاجتماعية، ج1، تر: سام عمار المركز العربي للتعريب والترجمة و التأليف النشر، دمشق، 1993 .
- 69- غراويتز (مادلين)، مناهج العلوم الاجتماعية منطوق البحث في العلوم الاجتماعية، ج2، تر: سام عمار، المركز العربي للتعريب والترجمة و التأليف النشر، دمشق، 1993،
- 70- غريب سيد أحمد، البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1998 .
- 71- غليون برهان، اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر. 1987.
- 72- فانون فرانس، سوسولوجيا ثورة، تر: ذوقان قرقوط، ط1، دار الطليعة، لبنان، 1970 .
- 73- فلسفي محمد تقي، الطفل بين الوراثة والبيئة، ط2، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، دار التربية، بغداد-1969.
- 74- فوت ريان، النسوية والمواطنة، تر: أيمن بكر وسمر الشيشكلي، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2005.
- 75- فوكو ميشيل، تكنولوجيا الخطاب، تر: محمد على كيسي، دار سيراس، تونس 1993.
- 76- كاترين بلوك، نظرة الغرب إلى الحجاب، تر: شكري عبدالمنعم مجاهد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2011.
- 77- كاريب إيان، النظرية الاجتماعية، تر: محمد حسن غلوم، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1999.
- 78- كاسيرر أرنست، الدولة والأسطورة، تر: أحمد حمدي محمود، هيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975 .
- 79- كيفي ريمون، فان لوك، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، تر: يوسف الجباعي، المكتبة العصرية، بيروت، 1997،

- 80- لحسن وي، الحجاج والمواطنة، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014.
- 81- ماركوز هربرت، الإنسان ذو البعد الواحد" تر: جورج طرايشي، ط3، دار الآداب، بيروت، 1988 .
- 82- مباركية منير، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2013،
- 83- الغزالي محمد، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الشروق، الجزائر، بدون سنة وطبعة .
- 84- محمد سامية جابر، الثقافة و الشخصية، دار النهضة، بيروت، 1983،
- 85- محمد صفوح الأخرس، العائلة السورية و وظائفها، بدون دار النشر، بدون بلد، 1976.
- 86- العقاد عباس محمود، المرأة في القرآن الكريم، دار الكتاب العربي، لبنان، 1967.
- 87- محي الدين مختار، دراسات في المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995،
- 88- مشيل فوكو، تكنولوجيا الخطاب، تر: محمد على كيبسي، دار سيراس، تونس، 1993 .
- 89- معركة الحجاب الإسلامي في فرنسا، سعدي بزيان، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- 90- معمري مدهش عبدالله، الحماية القانونية لحقوق الإنسان، ط1، المكتب الجامعي الحديث، لبنان، 2007.
- 91- منير سرحان، في اجتماعات التربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- 92- مهران، حمدي، المواطنة والمواطن في الفكر السياسي، ط1، دار الوفاء لطباعة والنشر، الإسكندرية، 2012،
- 93- مي خيران، الموضة لغة الجسد، تر: هشام الحاجي، بدون دار نشر. بدون (د.ن).
- 94- ناصر إبراهيم، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل، بيروت بدون سنة طبع.
- 95- ناصر ابراهيم، علم الاجتماع التربوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 2000.
- 96- نمر فريجة، فعالية المدرسة في التربية المواطنة، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، القاهرة، 2006.
- 97- هشام شرابي، النظام الأبوي و إشكالية تخلف المجتمع العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.
- 98- ولد خليفة محمد العربي، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2003.

ت - البحوث الجامعية:

1. جنيدي عبدالرحمان، موضة الحجاب بين التنشئة الدينية والتغير الاجتماعي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2011.
2. ولد موسى حسينة، ظاهرة الموضة، حالة اللباس النسوي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2000.
3. براهيم سامية، دلالات الجسد الأنثوي عند الطالبات رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008.
4. إزوين (رتيبة)، الحجاب بين الشرعية والموضة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008.
5. المعمري، سيف بن ناصر (2002). تقويم مقررات التربية الوطنية بالمرحلة الإعدادية بسلطنة عمان في ضوء خصائص المواطنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس.

6. Solfrid Cecilie Widme. **Le voile islamique à l'école catholique**. Mémoire de maîtrise en civilisation française. Institut for littérature, (ILOS).Faculté des Sciences Humaines. UNIVERSITETET I OSLO.2009.
7. Élisabeth Mercier. **Ni hyper sexualisées ni voilées!** Tensions et enjeux croisés dans les discours sur l'hyper sexualisation et le port du voile « islamique » au Québec. Thèse présentée à la Faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de Philosophie Doctorat (Ph. D.) en communication Mars 2013.
8. ISABELLE GAGNE. AU-DELA DES APPARENCES : **LE CORPS INVESTI PAR LE VOILE**. Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures de l'Université Laval dans le cadre du programme de maîtrise en anthropologie pour l'obtention du grade de maître es arts (M.A) DEPARTEMENT 'ANTHROPOLOGIE FACULTÉ DES SCIENCES SOCIALES UNIVERSITÉ LAVAL QUÉBEC
9. Mireille Vallette. **Islamophobie ou légitime défiance?Égalité des sexes et démocratie:** les Suisses face à l'intégrisme islamique, Éditions Favre SA, Lausanne . 2009. Paris

ث- المؤتمرات والملتقيات والأيام الدراسية:

- 1- إسماعيل الفقي، إدراك طلاب الجامعة لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية والانتماء (دراسة امبريقية)، المؤتمر القومي السنوي الحادي والعشرون للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس لعولمة ومناهج التعليم .
- 2- حسين تكريتي، دور التخطيط التربوي في تغيير القيم الاجتماعية . دراسة مقدمة إلى مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير عمان : جامعة اليرموك ،. 1999
- 3- فرج إلهام عبد الحميد (2001)، "برنامج تدريبي مقترح لتنمية السلوك الديمقراطي والتفاعل الاجتماعي للمعلم العربي"، أعمال المؤتمر العلمي الثالث لقسم أصول التربية: الديمقراطية والتربية في الوطن العربي، كلية التربية، جامعة الكويت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- 4- سعيد إسماعيل علي: التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين، المؤتمر التربوي الأول لكلية التربية والعلوم الإسلامية بجامعة السلطان قابوس بعنوان " اتجاهات التربية وتحديات المستقبل، في الفترة 7 - 10 ديسمبر 1997.
- 5- حمود أمين العالم: الهوية مفهوم في طور التشكيل، مؤتمر " العولمة والهوية الثقافية "، في الفترة 12 - 16 إبريل 1998 سلسلة أبحاث المؤتمرات رقم 7، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

ج- المجالات العامة:

- 1- جاب الله، عبدالحמיד صبري(2005)، " تطوير التربية للمواطنة في العالم العربي في ضوء الاتجاهات العالمية "، مجلة التربية، قطر، السنة 34، العدد152.
- 2- عبدالتواب، عبدالله عبدالتواب، دور كليات التربية في تأصيل الولاء الوطني، القاهرة ، مجلة دراسات تربوية، 1993.
- 3- السليمان، سليمان سعد، اتجاهات بعض المربين نحو الدراسات الاجتماعية في مدينة الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، رسالة الخليج العربي، ع38 ، 1991.
- 4- محي الدين مختار، التنشئة الاجتماعية (المفهوم والأهداف): مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، ع9، 1999.
- 5- محسن خضر، استجابة التربية العربية لتحولات الهوية الثقافية ، مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، ع 30، ج 1، 2006
- 6- محمود مدحت، الهوية الثقافية للطفل العربي ، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد1، ع 3، المجلس العربي للطفولة والتنمية، 2001.
- 7- محمد عمارة: مخاطر العولمة علي الهوية الثقافية، سلسلة " في التنوير الإسلامي" ع 32 ، القاهرة : دار نخبضة مصر.
- 8- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية. عشر أطروحات، مجلة المستقبل العربي، ع: 228 – 1998/2.
- 9- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الخطة الشاملة للثقافة العربية ، ط 2 ، تونس : إدارة الثقافة ، د . ت .
- 10- محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، ع 228 / بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998
- 11- يد محمد إبراهيم ، الهوية الثقافية العربية في عالم متغير، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد1 ، ع 3 .

ح- مقالات وبحوث:

- 1- متولي موسى، مقال بعنوان: "الهوية الإسلامية في الغرب المشكلة والحل "، مجلة الرائد العدد: 201، ربيع الثاني 1419هـ الموافق أغسطس-1998م
- 2- رجب البنا، مقال بعنوان "مشاكل المسلمين في الغرب"، جريدة الأهرام اليومية، صفحة قضايا وآراء، بتاريخ 1-3-2010
- 3- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المكتب الإقليمي للدول العربية، تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2009: تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، 2009.
- 4- خالد قرواني، الاتجاهات المعاصرة للتربية على المواطنة، بحث مقدم للمشاركة في مؤتمر المناهج والمواطنة الذي نظّمته جامعة الأقصى في غزة يوم 2011/5/3.

- 5- عبد الكريم قاسم سعيد، المواطنة ومشكلة الدولة في الفكر الإسلامي، سلسلة دراسات حقوق الإنسان عدد 13، (اليمن: ملتقى المرأة للدراسات والتدريب، 2008)، .
- 6- عثمان الحياي، «وزير الداخلية كلود فيون يعتبر طريقة دخول المهاجرين غير مقبولة: "فرنسا ترفض أن يستورد المهاجرون معهم قيمهم الدينية والثقافية»، جريدة الخبر، العدد الصادر بتاريخ: 18 نوفمبر 2011.
- 7- Olivia Dabbous,(ed), **Promouvoir L'égalité Entre Hommes Et Femmes :Initiatives Et Engagements Français En Matière De Genre Et Développement**, (France: Ministère des Affaires étrangères, 2006), p 03
- 8- Etats Unis, Département d'État, **Rapport sur les Droits de l'Homme en France en 2010**, Op. Cit, p16
- 9- Olivier Monso et François Gleizes, « Langue, diplômes : des enjeux pour l'accès des immigrés au marché du travail », **INSEE PREMIÈRE**, N° 1262, Novembre 2009, p 04
- 10- République Française, Haute Autorité de Lutte contre les Discriminations et pour l'égalité,**rapport annuel 2010**, (France: La Documentation française, 2010), p 38.
- 11- Équipe TeO, coordonné par Cris BEAUCHEMIN, Christelle HAMEL et Patrick SIMON, **Op. Cit**, p 47

خ- قائمة المراجع باللغات الأجنبية :

1. ARABIC, J.C, **PRATIQUES SOCIALES ET REPRESENTATIONS**, PUF, 1997.
2. Douglas. mary. **Natural Symbols. Explorations in Cosmology**. The Cresset Press. London.1970.
3. Dreyfus. H. and Rainbow. **Michel Foucault**. Beyond Structuralism. And Hermeneutics. Harvester.Brighton.1982.
4. Edmond marc.et Dominique. Picard. **L'interaction**. ED PUF. 1989 .
5. Encyclopedia , Boor international nnica .Inc , **The New Encyclopedia peered** , Britannica ,vol .
6. Erving Goffman..**La mise en senne de la vie quotidienne La présentation de soi**. trad. Alain accado.Ed de Minuit.1973.
7. Featherstone. M. **The body in Consumer Culture. Theory culture and Society**. 1982.

8. Foucault. M. **The Archaeology Of Knowledge**. Tavistock. London. 1974 .
9. François audigier. **L'éducation à la citoyenneté** ،Institut national de recherche édagogique.1999
10. Fus. D. Essentially Speaking. **Feminism. Nature and Difference**. Rout ledge. London. 1990 .
11. Goffman. E. Behaviour in Public Places. **Notes on Social Organization. Of Gatherings**. The Free Press. New York. 1983.
12. j Baudrillard. **La société de consommation**, éd Folio, 1970 ,
13. LAZER ; J. **SOCIOLOGIE DE L'ACCOMMODATION DE MASSE** .A colin 1991 .
14. M egherbi abdelghani . **La culture et la personnalité dans la société algérienne**, de Massinissa
15. Marcel Mauss. **Techniques Of Body**. Economy and Society 2-p 70.
16. Marshall Gordan. **Oxford dictionary. of Sociology** ،Art. Multi culturel. Society. New York.1998.
17. Michel foucault ; **histoire de la sexualite**, bibliotheque des hisoires ,3vols ;paris ,1984.
18. Paine Thomas .**Rights of Man**. dover thrift. New York. 1999 .
19. Pierre Bourdieu ,**questions de sociologie**, Paris, 1980,
20. Pierre Bourdieu, **La domination masculine**, Paris, Seuil, Coll. Liber, 1998.
21. The New Ency. Britannica. art. citizenship. vol 3-19
22. Turner. BS. Regulating Bodies . **Essays in Medical Sociology**. Rout ledge. London.1992 .
23. Turner. BS. **The body and Society**. Basil Blackwell. . Oxford. 1984.

د- مواقع على الانترنت:

- 1- حكيمة بولعشيب: تحديات-الهوية-الثقافية-العربية في ظل العولمة، من موقع: <http://www.aranthropos.com>
- 2- محمد الحنفي: الهوية والعولمة، من موقع: <http://www.mokarabat.com/s797.htm>
- 3- محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات، من موقع: <http://awraq-com.maktoobblog.com>
- 4- إبراهيم القادري بوتشيش: حول مفهوم الهوية ومكوناتها الأساسية، من موقع

<http://histoire.maktoobblog.com>

6 - عبد الرحمن عبد الخالق، بحث بعنوان: "أولويات العمل الإسلامي في الغرب"، منشور على موقع "كلمات"، على الرابط التالي <<http://www.kl28.com/knol2/index.php?p=view&book=1066>> (20NOVEMBER 2011).

7- شبكة النباء المعلوماتية، «فرنسا... انخسار مستمر نحو العنصرية»، شبكة النباء المعلوماتية، الأحد 25 تموز 2010 الموافق 12 شعبان 1432.

<http://www.annabaa.org/nbanews/2010/07/282.htm>

8- د. ياسين الغضبان: حوار بعنوان "مسلمو الغرب بتفريطهم لا يمثلون الإسلام بشكل جيد.. وأوروبا ترتد عن النصرانية"، أجرى الحوار معه "همام عبد المعبود"، بتاريخ 1-2-1429 هـ، نقلا عن موقع المسلم، على الرابط التالي <<http://almoslim.net/node/86818>> (12 NOVEMBER 2011)

9- أشرف أبو الهول، «المهاجرون يتعرضون للتمييز في بلد المساواة»، الأهرام اليومي، 18 يوليو 2010. (النسخة الإلكترونية)، متاحة على الرابط التالي:

<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=192023&eid=>

10-Stephan Dahl : **Communications and Culture Transformation** , available in : <http://www.Stephweb.com/capstone/1html>

11- Center For Civic Education (1994). **National Standards for Civic and Government** , from the world wide web: <http://www.Civiced.org/stds-htm>

12- John. Patrick, J.(1999), The Concept of Citizenship in Education for Democracy. ERIC Digest- ED432532-www.eric.ed.gov

13- Center For Civic Education (1998 September). The Role of Civic Education, from the world wide web: <http://www.Civiced.org/stds-htm>

14- Hebert, Y., & SEARS, A. (2003) Citizenship education. The Canadian Education Association, retrieved from Available at http://www.cea.ca/media/en/Citizenship_Education.pdf

15 - Center For Civic Education (1998 September). **The Role of Civic Education**, from the world wide web: <http://www.Civiced.org/stds-htm>

الملاحق

(الملحق ق01)

جامعة الجزائر

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم الاجتماع

تخصص: علم الاجتماع التربوي الثقافي

رقم الاستمارة: /....

استمارة بحث حول:

الحجاب

بين الدلالات الرمزية وتأکید المواطنة

- أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة -

عزيزتي، أقدم لك استمارة بحث بين يديك لتملأها بكل صدق، حول إشكالية فعل التحجب كحق من حقوق المواطنة . أملين أن نفهم بعض المعاني والدلالات التي يحملها الحجاب.

لأجل ذلك، من فضلك ضع علامة (x) في الخانة التي تتناسب مع أفكارك. وكني على يقين أن هذه المعلومات التي أنت بصدد تدوينها تخص البحث العلمي لا غير.

شكرا على تعاونك معنا.

إشراف الأستاذ:

د/ رميثة أحمد.

إعداد الطالب:

عبد الرحمان جنيدي.

السنة الجامعية: 2013-2014

بيانات شخصية:

- السن : - البلد الأصلي :
- هل تحملين الجنسية الفرنسية؟ - نعم - لا - مزدوجة الجنسية
- المستوى الدراسي : بدون مستوى - ابتدائي - متوسط - ثانوي - جامعي
- الوضع المهني:
- الحالة العائلية: - عزباء - متزوجة - أرملة - مطلقة

بيانات تتعلق بالفرضية الأولى:

احترام الحرية الشخصية للمحبة في الأسرة عامل أساسي لتنمية روح المواطنة

- 01- عندما لبست الخمار لأول مرة هل كان ذلك؟
- اختيار شخصي - بطلب من العائلة - باقتراح من شخص آخر - بفرض من العائلة
- 02- كم كان عمرك عندما ارتديت الخمار للمرة الأولى:
- 03 - هل يتدخل الأهل في اختيار ملابس خروجك إلى الفضاء العام (الشارع، العمل، الدراسة)؟
- دائما - أحيانا - أبدا
- 04- ماذا تتوقعين كرد فعل من الأهل (الأب، الأخوة)، اذا خرجت بدون خمار إلى الفضاء العام؟
-
-
- 05- هل يعتبر الحجاب؟ - فرض سنة - مستحب
- 06- ما هو شعورك الشخصي إثناء خروجك من البيت دون خمار؟
-
-
- 07- هل يمكنك مواكبة موضة الملابس؟
-
-

بيانات تتعلق بالفرضية الثانية:

احترام الهوية الثقافية للمحجبة في الفضاء العام (على المستوى الفردي) عامل إيجابي لتأكيد المواطنة

08- ماذا يمثل لك الخمار؟.....

09- هل تجدين أن الحجاب يحقق لك القبول الاجتماعي؟ - دائما - أحيانا - أبدا

10- هل يعرضك حجابك لمعاكسات الشباب؟ - دائما - أحيانا - أبدا

11- هل تتعرضين مع لبس الحجاب لتحرش جنسي؟ - دائما - أحيانا - أبدا

12- ما هو الحجاب بالنسبة لك؟

13- ما هي المهن التي لا تستطيعين ممارستها بسبب الحجاب؟

بيانات تتعلق بالفرضية الثالثة:

إقصاء وتهميش المحجبات قانونيا (التمييز المؤسسي) عامل يهدد قيم المواطنة

14- ما رأيك في قانون حظر الحجاب في المدارس الحكومية؟

15- كيف هي فرص حصول المحجبات على عمل؟

16- ماهي اشكال التمييز العنصري التي تشعرين بها؟

17- ماهي أشكال العداء والكراهية التي تتعرضين لها؟

- اعتداءات لفظية - اعتداءات جسدية - لا شيء يذكر

18- هل حرمتي من امتيازات في الدراسة أو العمل بسبب الحجاب؟

19- ماهي أهم المضايقات التي تتعرضين لها؟

بيانات تتعلق بالفرضية الرابعة:

ممارسة المحجبات للحريات المدنية عامل ايجابي يؤكد حقوق المواطنة

20- هل تملكين روح المبادرة لممارسة العمل الجماعي الاسلامي التطوعي؟

- دائما - أحيانا - أبدا

21- هل انت عضو نشطة في جمعية إسلامية ما؟ - نعم - لا

22- الى مدي تعتقد أن المهاجرين يملكون الحق في حرية التعبير؟

23- المشاركة في التصويت في مختلف المجالس الانتخابية؟

24- هل سبق وأن شاركت في احتجاج سلمي؟ - نعم - لا

25- ماهي الحريات المدنية الممنوعة في النموذج الديمقراطي الفرنسي؟

بيانات تتعلق بالفرضية الخامسة:

تزايد وتنامي ظاهرة الإسلاموفبيا في الغرب يهدد مواطنة المحجبات

26- ما هو رأيك في قانون منع النقاب في الأماكن العامة في فرنسا؟

27- ماهي مظاهر الصورة المشوهة التي يحملها بعض المهاجرين عن الاسلام؟

28- كيف يمكن تفسير كراهية بعض الأحزاب السياسية للحجاب؟

29- ما رأيك في الحملات التي تشنها وسائل الاعلام حول الحجاب؟

30- ماهي انعكاسات تنامي ظاهرة الارهاب على أوضاع المحجبات؟

الملحق 02

LE Le ministère de l'enseignement supérieur Et de la recherche scientifique

Université d'Alger/02

Faculté des sciences sociales et humaines

Département de sociologie

Sociologie culturelle de l'éducation

Email / Imad1747@gmail.com

Questionnaire de Recherche sur :

Le HIDJAB

Entre les significations symboliques et la confirmation de la citoyenneté

Thèse présentée par

DJENAIIDI Abderahman

Pour l'obtention d'un diplôme de doctorat

Sous la direction du Professeur : AHMED Rumaitha

Ce formulaire de recherche a comme thème : la problématique du hidjab comme l'un des droits de citoyenneté. Son objectif est de comprendre les significations et le symbolisme que représente le hidjab. Je vous prie de bien vouloir le remplir avec sincérité.

Pour cela, veuillez cocher (x) dans la case qui correspond à vos réponses. Je tiens à vous informer que les informations que vous allez nous communiquer seront utilisées uniquement dans le cadre de notre recherche scientifique.

Nous vous remercions pour votre collaboration.

Année Universitaire: 2013/2014

Informations générales

-Âge:..... Pays d'origine:

Avez-vous la nationalité française

Oui Non double nationalité

Niveau d'instruction:

Sans niveau Primaire Moyen Secondaire Universitaire

Situation professionnelle:

Etudiante Salariée Sans emploi Autre.....

Situation familiale:

Célibataire Mariée Veuve Divorcé Autre.....

Données liées A première hypothèse:

• Respecter la liberté personnelle de la femme voilée dans la famille est un facteur essentiel pour le développement de l'esprit de citoyenneté.

01 – la décision de porter le voile c'était :

Un choix personnel Une obligation parentale Obligation familiale

Proposition d'une autre personne

02 - Quel âge aviez-vous lorsque vous portiez le hidjab pour la première fois:

03 – Est ce que vos parents interviennent au choix de votre tenue vestimentaire

- Toujours - parfois - jamais

04 – En sortant sans hidjab comment vos parents réagissent ?

.....

05 – A votre avis, le hidjab est ? - devoir religieux souna facultatif

06 – Qu'est ce que vous ressentiez en sortant sans hijab?

.....

07- Pouvez-vous suivre la mode des vêtements?

.....

Données liées A deuxième hypothèse:

● **Respecter l'identité culturelle de la femme voilée en public (sur le plan personnel) est un facteur positif pour conformer la citoyenneté.**

08- Que représente pour vous le voile ?

.....

09 - Pensez-vous que le hidjab vous apporte l'acceptabilité sociale?

- Toujours - parfois - jamais

10- Avez-vous déjà été victime de harcèlement verbal ?

Toujours parfois jamais

11- Avez-vous déjà été victime de harcèlement physique?

Toujours parfois jamais

12 - Quelles sont les activités incompatibles avec le hidjab?

.....

.....

13- Que représente le hidjab pour vous?

.....

.....

Données liées A troisième deuxième hypothèse:

● **L'exclusion et la marginalisation par la loi envers les femmes voilées (La discrimination institutionnelle) est un élément qui menace les valeurs de la citoyenneté.**

14 - Que pensez-vous de la loi qui interdit le voile à l'école?

.....

.....

15 - Avez-vous été interdit d'entrer dans le lieu de travail ou d'étude?

Toujours parfois jamais

16 –avez-vous subi des actes racistes ?

.....

17 –avez-vous pressenti des actes xénophobes ?

.....

.....

18 - Avez-vous perdu certains privilèges au travail parce que vous êtes voilée ? Indiquez-les s'il serait possible?

.....

.....

19- Quelles sont les agacements (taquine ment) que vous rencontrez à cause du hidjab?

.....

.....

Données liées A quatrième hypothèse:

• la pratique des femmes voilées des libertés civiles est un élément qui confirme les droits de la citoyenneté.

20- Participez-vous bénévolement à toutes sortes de projets ?

Toujours parfois jamais

21 - Êtes-vous un membre active dans une association islamique? - Oui - Non

22- pensez- vous que les immigrés ont le droit à la liberté d'expression?

- Toujours - parfois - jamais

23 - Quelles sont les commissions électorales Avez-vous participez aux élections?

.....

.....

24 - Dans les protestations pacifiques ont -ils le droit de participer?

- Oui - Non

25 - Quels sont les droits civiles interdites dans le modèle démocratique français?

.....

.....

-Données liées A cinquième hypothèse:

- **L'augmentation et accroissement du phénomène de l'islamophobie en occident menace la citoyenneté des femmes voilées.**

26 – Quel votre avis sur la loi qui interdit le niqab dans les lieux publics ?

.....
.....

27 - Quels sont les manifestations de l'image déformée des immigrés sur l'Islam ?

.....
.....

28 – Comment expliquer la haine de quelque partis politiques envers le hidjab ?

.....
.....

29 – Quel est votre avis sur les campagnes que mènent les médias sur le hidjab ?

.....
.....

30- Quels sont les conséquences de la croissance du terrorisme sur la situation des femmes voilées ?

.....
.....

-MERCI POUR VOTRE EMABLE CLABORATION-

(الملحق 03)

دليل المقابلة:

حول موضوع:

الحجاب بين الدلالات الرمزية وتأکید المواطنة

التاريخ..... زمن المقابلة..... المكان.....

الاسم..... السن..... المهنة..... الحالة العائلية.....

المحور الأول: ما علاقة الحجاب بمسألة الجسد والجنس والموضة.

-Quelle est la relation entre le voile et le corps et le sexe et la mode .

المحور الثاني: كيف يمكن تفسير قضية كراهية المحجبات في الغرب على المستوى (الفردى، المؤسساتى).

- Comment expliquer la cause de la haine voilée dans l'Ouest au niveau (individuel, institutionnel, politique).

المحور الثالث: هل هناك تعارض بالهوية الثقافية والمواطنة

-Y at-il un conflit d'identité culturelle et de la citoyenneté

المحور الرابع: كيف يمكن تفسير فكرة الاندماج عند المحجبات في مختلف الأوساط الاجتماعية.

- Comment expliquer l'idée de la fusion cecercles lorsque voilée dans les différents.

المحور الخامس: كيف هو واقع ومستقبل مواطنة المحجبات في ظل ظاهرة الإرهاب.

- Comment voyez-vous l'avenir de la citoyenneté voilée sous le phénomène du terrorisme.

المحور السادس: كيف تعامل الإعلام الغربى مع قضية الحجاب فى فرنسا.

-Comment les médias discours et l'Ouest avec la question du voile en France.

المحور السابع: ماهى علاقات ظاهرة الإسلاموفوبيا برمزىة الحجاب وواقع المواطنة؟

- Quel est le relations phénomène de l'islam phobie avec le symbolisme de voile et effet de la citoyenneté

Annexe 04

ORF n°65 du 17 mars 2004 page 5190
texte n° 1

LOI

LOI n° 2004-228 du 15 mars 2004 encadrant, en application du principe de laïcité, le port de signes ou de tenues manifestant une appartenance religieuse dans les écoles, collèges et lycées publics (1)

NOR: MENX0400001L

ELI: <http://www.legifrance.gouv.fr/eli/loi/2004/3/15/MENX0400001L/jo/texte>

Alias: <http://www.legifrance.gouv.fr/eli/loi/2004/3/15/2004-228/jo/texte>

L'Assemblée nationale et le Sénat ont adopté,
Le Président de la République promulgue la loi dont la teneur suit :

Article 1

Il est inséré, dans le code de l'éducation, après l'article L. 141-5, un article L. 141-5-1 ainsi rédigé :

« Art. L. 141-5-1. - Dans les écoles, les collèges et les lycées publics, le port de signes ou tenues par lesquels les élèves manifestent ostensiblement une appartenance religieuse est interdit.

Le règlement intérieur rappelle que la mise en oeuvre d'une procédure disciplinaire est précédée d'un dialogue avec l'élève. »

Article 2 [En savoir plus sur cet article...](#)

I. - La présente loi est applicable :

1° Dans les îles Wallis et Futuna ;

2° Dans la collectivité départementale de Mayotte ;

3° En Nouvelle-Calédonie, dans les établissements publics d'enseignement du second degré relevant de la compétence de l'Etat en vertu du III de l'article 21 de la loi organique n° 99-209 du 19 mars 1999 relative à la Nouvelle-Calédonie.

II. - Le code de l'éducation est ainsi modifié :

1° Au premier alinéa de l'article L. 161-1, les références : « L. 141-4, L. 141-6 » sont remplacées par les références : « L. 141-4, L. 141-5-1, L. 141-6 » ;

2° A l'article L. 162-1, les références : « L. 141-4 à L. 141-6 » sont remplacées par les références : « L. 141-4, L. 141-5, L. 141-5-1, L. 141-6 » ;

3° A l'article L. 163-1, les références : « L. 141-4 à L. 141-6 » sont remplacées par les références : « L. 141-4, L. 141-5, L. 141-6 » ;

4° L'article L. 164-1 est ainsi modifié :

a) Les références : « L. 141-4 à L. 141-6 » sont remplacées par les références : « L. 141-4, L. 141-5, L. 141-6 » ;

b) Il est complété par un alinéa ainsi rédigé :

« L'article L. 141-5-1 est applicable aux établissements publics d'enseignement du second degré mentionnés au III de l'article 21 de la loi organique n° 99-209 du 19 mars 1999 relative à la Nouvelle-Calédonie qui relèvent de la compétence de l'Etat. »
III. - Dans l'article L. 451-1 du même code, il est inséré, après la référence : « L. 132-1, », la référence : « L. 141-5-1, ».

Article 3 [En savoir plus sur cet article...](#)

Les dispositions de la présente loi entrent en vigueur à compter de la rentrée de l'année scolaire qui suit sa publication.

Article 4

Les dispositions de la présente loi font l'objet d'une évaluation un an après son entrée en vigueur.

La présente loi sera exécutée comme loi de l'Etat.

Fait à Paris, le 15 mars 2004.

Annexe 05

ORF n°0237 du 12 octobre 2010 page 18344
texte n° 1

LOI

LOI n° 2010-1192 du 11 octobre 2010 interdisant la dissimulation du visage dans l'espace public (1)

NOR: JUSX1011390L

ELI:

<http://www.legifrance.gouv.fr/eli/loi/2010/10/11/JUSX1011390L/jo/texte>
Alias: <http://www.legifrance.gouv.fr/eli/loi/2010/10/11/2010-1192/jo/texte>

L'Assemblée nationale et le Sénat ont adopté,

Vu la [décision du Conseil constitutionnel n° 2010-613 DC du 7 octobre 2010](#) ;

Le Président de la République promulgue la loi dont la teneur suit :

Article 1 [En savoir plus sur cet article...](#)

Nul ne peut, dans l'espace public, porter une tenue destinée à dissimuler son visage.

Article 2 [En savoir plus sur cet article...](#)

I. — Pour l'application de l'article 1er, l'espace public est constitué des voies publiques ainsi que des lieux ouverts au public ou affectés à un service public.

II. — L'interdiction prévue à l'article 1er ne s'applique pas si la tenue est prescrite ou autorisée par des dispositions législatives ou réglementaires, si elle est justifiée par des raisons de santé ou des motifs professionnels, ou si elle s'inscrit dans le cadre de pratiques sportives, de fêtes ou de manifestations artistiques ou traditionnelles.

Article 3 [En savoir plus sur cet article...](#)

La méconnaissance de l'interdiction édictée à l'article 1er est punie de l'amende prévue pour les contraventions de la deuxième classe.

L'obligation d'accomplir le stage de citoyenneté mentionné au [8° de](#)

[l'article 131-16 du code pénal](#) peut être prononcée en même temps ou à la place de la peine d'amende.

Article 4 [En savoir plus sur cet article...](#)

Après la section 1 bis du chapitre V du titre II du livre II du code pénal, il est inséré une section 1 ter ainsi rédigée :

« Section 1 ter

« De la dissimulation forcée du visage

« Art. 225-4-10.-Le fait pour toute personne d'imposer à une ou plusieurs autres personnes de dissimuler leur visage par menace, violence, contrainte, abus d'autorité ou abus de pouvoir, en raison de leur sexe, est puni d'un an d'emprisonnement et de 30 000 € d'amende.

« Lorsque le fait est commis au préjudice d'un mineur, les peines sont portées à deux ans d'emprisonnement et à 60 000 € d'amende. »

Article 5 [En savoir plus sur cet article...](#)

Les articles 1er à 3 entrent en vigueur à l'expiration d'un délai de six mois à compter de la promulgation de la présente loi.

Article 6 [En savoir plus sur cet article...](#)

La présente loi s'applique sur l'ensemble du territoire de la République.

Article 7 [En savoir plus sur cet article...](#)

Le Gouvernement remet au Parlement un rapport sur l'application de la présente loi dix-huit mois après sa promulgation. Ce rapport dresse un bilan de la mise en œuvre de la présente loi, des mesures d'accompagnement élaborées par les pouvoirs publics et des difficultés rencontrées.

La présente loi sera exécutée comme loi de l'Etat.

annexe 06

تعبر عن ألوان العلم الفرنسي وهي : الأزرق (الحرية) ، الأبيض (المساواة)
الأحمر (الإخاء) .. هذه الألوان الثلاثة التي تحمل هذه المعاني المحددة هي تعبر عن
شعارات الثورة الفرنسية





Adresse : Grande Mosquée de Paris 2bis Place du Puits de l'Ermite 75005 Paris France



شيد من قبل مهاجري شمال أفريقيا الاوائل في فرنسا، الذين كان أغلبهم من الجزائريين، تكريماً للجنود المسلمين الذين دافعوا عن فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، بتمويل فرنسي، حيث خصصت فرنسا 500.000 فرنك فرنسي، وساهم سلطان المغرب في إنشاء وقف إسلامي لإنهاء البناء، ساهم فيه كذلك باي تونس ومسؤولين جزائريين. ودشن في يوم 15 يوليو 1926 من طرف الرئيس الفرنسي آنذاك دومارغ والسلطان المغربي مولاي يوسف بن الحسن.

بني هذا الصرح الإسلامي على مساحة كبيرة تقدر بـ7500 متر مربع، على أنقاض مستشفى «الرحمة» الذي تم نقله سنة 1911م إلى مكان آخر. ترتفع مئذنة هذا المسجد إلى طول 33 متراً. في المدخل الرئيسي توجد حديقة بـ3500 متر مربع، تذكر بحقائق قصر «الحمراء» في «غرناطة»، حيث يغلب الطابع الأندلسي على الهندسة المعمارية للمسجد المستوحاة من الفن الأندلسي بمدينة فاس وتلمسان، كما هو حال النقوش التي تغطي جدران المسجد من الداخل، خاصة في مستوى البهو الكبير خارج قاعة الصلاة على يمين الحديقة. ويغلب على هذه النقوش اللون الأزرق. وباعتبار أن اللون الأخضر هو اللون الذي يُعرف به الإسلام، تم استخدام هذا اللون لتزيين شرفات البهو الذي تتوسطه نافورة جميلة. كما تمت تغطية البهو بمادة بلاستيكية بيضاء حتى يتم استغلاله كمكان للصلاة يوم الجمعة. أما قاعة الصلاة فهي أيضاً تحفة معمارية تجمع بين الطابع القديم والحديث، حيث تم الاحتفاظ بالطريقة التقليدية في الإنارة، وتوجد ثريا معلقة في قبة المسجد تزن 300 كلج، كما يوجد على يمين المحراب منبر قُدّم هدية من الملك فؤاد ملك مصر. والفقير والشاعر أحمد سكيرج هو ناظم الأبيات الشعرية المنقوشة داخل وخارج المسجد.

¹ <https://ar.wikipedia.org/wiki>

الملحق رقم 08: مسجد ايفري كوركورون 2'

Adresse : Mosquee Evry Courcouronnes 20 Rue Georges Brassens
91080 Courcouronnes France



مسجد ايفري كوركورون هو مسجد فرنسي يقع في مدينة ايفري التي تبعد 26 كيلومتر عن العاصمة باريس. في سنة 1984 وضع حجر الأساس في نفس السنة بدأت الأشغال العامة سنة 1985 وبعد 9 سنوات و نيف فتح المسجد رسميا المهندس المشرف على هذا المسجد كان هنري بودو الذي له عدة مباني في الجزائر و تونس. سنة 1996 وقع مرسوم يقتضي منح المسجد صفة هيئة دينية مشرفة على التضحية (الذبح الإسلامي) و مراقبة المحلات التجارية الإسلامية (المطاعم) التي تستخدم اللحم الحلال، و أيضا الإشراف على مراقبة اللحوم المذبوحة على الطريقة الإسلامية في فرنسا.

منذ إفتتاحه سنة 1994 من طرف عميد المسجد خليل مرون، أصبح المسجد يستقبل الرجال والنساء و يتجون المسجد من:

- مئذنة وحيدة يبلغ طولها 25 م.
 - 9 قاعات للدراسة كل واحدة لديها طاقة إستيعاب 25 شخص.
 - بضع قاعات للوضوء تلبية حاجات ذوي الإحتياجات الخصوصية.
 - قاعة صلاة تتسع لـ 5000 شخص.
 - مركز ثقافي تحت رعاية المسجد.
- مع مساحة 7000 متر²، مسجد ايفري كوركورون هو من أكبر مساجد فرنسا مع مسجد باريس، و أيضا من أكبر مساجد أوروبا بعد المسجد الكبير في روما و مسجد بيت الفتوح في لندن.

² <https://ar.wikipedia.org/wiki>

الملحق رقم 09: اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا³

[Adresse](#) : Union des Organisations Islamiques de France 20 Rue de la Prévoté 93120 La Courneuve France



أصبح اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا من أكبر الفيدراليات الإسلامية، ويستمد هذا التنظيم الذي أنشئ سنة 1983 قوته من شبكة تضم أكثر من 100 مسجد و 2000 جمعية تغطي مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، ووفق النظرة الشمولية للإسلام الموروثة عن [الاخوان المسلمين](#) وهي حركة إسلامية انشئت في مصر عام 1928^{[1][2]}.

ويوجد مقر الاتحاد في المنطقة الصناعية ب "كورناف" في فرنسا. وهو الفرع الفرنسي من [اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا](#). وينقسم اتحاد المنظمات الإسلامية فرنسا إلى 8 جهات إدارية، ممثلة فيها بمندوب، وهي تجزم بارتباط أكثر من 200 جمعية بها. وهي ذاتها مقسمة إلى ثلاث مجموعات حسب درجة الولاء والالتزام، فهناك العاملون (50 فردا) والاصدقاء (50 فردا) والمتعاطفون (100 فردا) وللاتحاد روابط مع جمعيات متخصصة تنشط في قطاعات خاصة فالعاملون من الشبان ينتمون إلى الشباب الإسلامي الفرنسي، أو إلى الطلبة المسلمين الفرنسيين. وللنساء المنتميات إلى الاحاد جمعية أيضا تسمى (الرابطة الفرنسية للمرأة المسلمة). وفي المجال الإنساني هناك اللجنة الخيرية ودعم فلسطين اما جمعية ابن سينا فتضم الأطباء. والاطارات الدينية تنتمي لجمعية أئمة فرنسا. وهناك المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية الكائن ب"سان ليجي دوفوجري" في "نياقر"، ومن مهامه تكوين الأئمة والاطارات الدينية. نشهد ادن للنسيج الإسلامي وهو ما يتوافق والنظرة الشمولية للإسلام حسب ايدولوجية "الاخوان المسلمون"

³ <https://ar.wikipedia.org/wiki>

Annexe 10

Les voiles islamiques interdits et autorisés en France



Burqa



- ▶ Vêtement traditionnel des tribus pachtounes d'Afghanistan
- ▶ Couvre complètement la tête et le corps, un grillage dissimulant les yeux
- ▶ Symbole des talibans en Afghanistan qui l'ont rendue obligatoire



Niqab



- ▶ Voile intégral complété par une étoffe
- ▶ Ne laisse apparaître qu'une fente pour les yeux
- ▶ L'usage s'est répandu sous l'influence de l'islam wahhabite, surtout en milieu urbain



Hidjab

- ▶ Signifie "dérober aux regards"
- ▶ Cache les cheveux, les oreilles et le cou. Ne laisse voir que l'ovale du visage
- ▶ Usage généralisé dans le monde musulman



Tchador

- ▶ Vêtement traditionnel des femmes en Iran (surtout pratiquantes)
- ▶ Grande pièce de tissu posée sur la tête, ouverte sur le devant
- ▶ Non obligatoire dans la République islamique, contrairement au port du voile

AFP



LE VOILE INTÉGRAL EN FRANCE

■ Répartition du nombre de femmes voilées intégralement sur le territoire français, selon les estimations du ministère de l'Intérieur

France entière : **1 900** (3 cas pour 100 000 habitants) dont :



■ Qui sont les femmes portant le voile intégral ?



90%
ont moins de 40 ans



65%
ont la nationalité française



25%
sont converties, nées dans une famille non musulmane

Source : estimations du ministère de l'Intérieur

Idé REUTERS



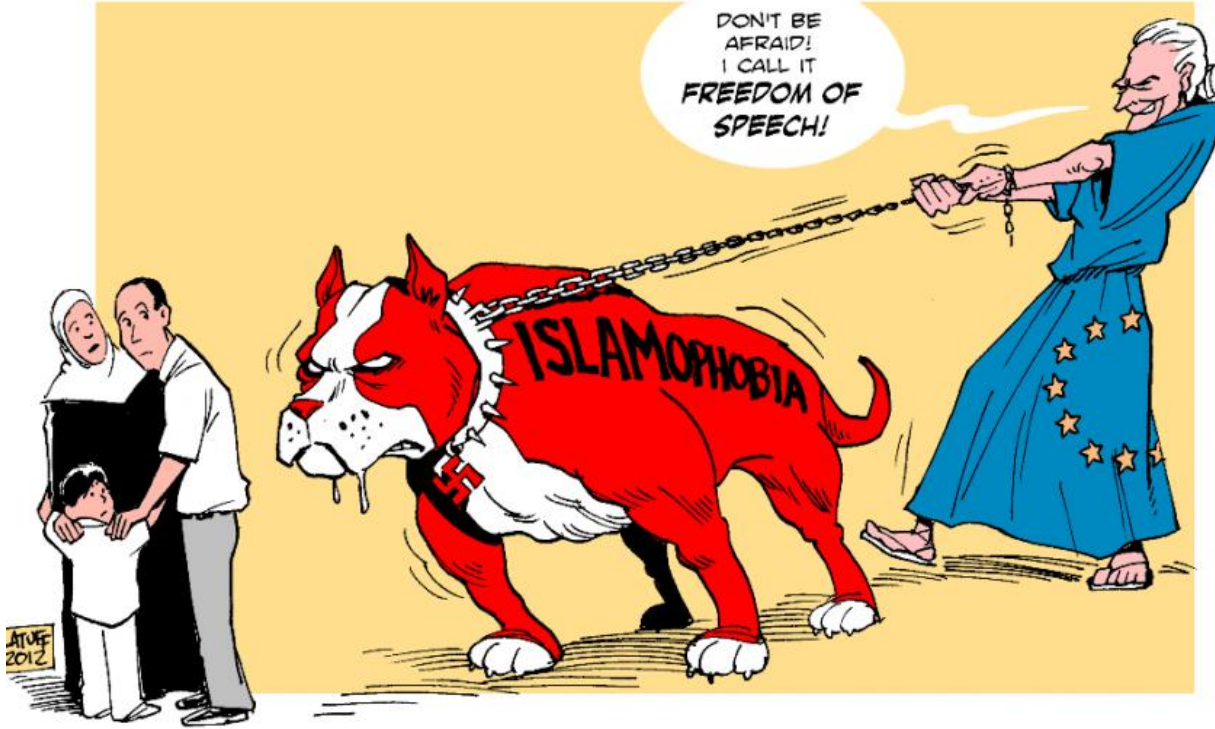
NON !

AU PROJET DE LOI CONTRE LE
DROIT DES FEMMES



Annexe 11

لا تخافوا أنا أسميها حرية التعبير



Annexe 12

Petit lexique du voile

Burga (البرقع) : Utilisé en Inde, il cache la figure à l'exception des yeux et descend jusqu'aux pieds. Il peut être un ample vêtement de dessus de n'importe quelle couleur, ou une simple bande de fine étoffe blanche cousue avec un ruban qui fait le tour de la tête.

Haik (الحايك) : Voile traditionnel algérien de couleur blanche. Il peut aussi désigner le costume des paysannes constitué d'une longue étoffe et connu dans d'autres régions du Maghreb sous les noms de izar, houli, malya ou khent.

Hidjab (الحجاب) : Ses racines HJB, dont le verbe hajaba signifie « cacher, dérober, ne pas laisser voir ». Il désigne tout obstacle placé entre un objet ou un être pour l'isoler ou le soustraire à la vue. Il évoque aussi « rideau, portière, nuit, charme, talisman, membrane, hymen, moyen d'enchantement au sens positif ». L'interprétation de l'islam classique donnera au mot des utilisations reliées surtout aux femmes : le voile sépare les épouses du Prophète du reste des converties; il marque le passage de l'enfance à la puberté et du célibat au mariage. Il devient une institution lorsqu'il s'est érigé en une obligation de le porter dans certains pays. Aujourd'hui, il désigne couramment le foulard, le fichu ou toute la tenue que portent certaines musulmanes.

Niqab (النقاب) : Objet vestimentaire très ancien qui consiste en une voilette qu'on met sur le visage, sauf devant les yeux